بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم أصول الدين

الإيجاز وأثره في بيان إعجاز القرآن الكريم

(دراسة تأصيلية)

The conciseness and its impact to show the Inimitability in the Noble Qur'an

(A fundamental Study)

إعداد

عبد الله علي عبد الرحمن أبو السعود

المشرف

الدكتور أحمد البشايرة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في

التفسير وعلوم القرآن الكريم

كلية الدراسات العليا

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

عمان/المملكة الأردنية الهاشمية

حزيران ٢٠١١م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (الإيجاز وأثره في بيان إعجاز القرآن الكريم' دراسة تأصيلية)
وأجيزت بتاريخ: ١٦/٥/٢٠١١م

أعضاء اللجنة	التوقيع
١. **الدكتور أحمد سليمان البشايرة: (مشرفاً)** أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن	
٢. **الأستاذ الدكتور شحادة بخيت العمري: (عضواً)** أستاذ في التفسير وعلوم القرآن	
٣. **الأستاذ الدكتور عبد الجواد خلف عبدالجواد: (عضواً)** أستاذ في التفسير وعلوم القرآن	
٤. **الدكتور أحمد إسماعيل نوفل: (عضوا خارجيا)** أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن (الجامعة الأردنية)	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى روح والدتي التي لم أرها في الدنيا، وأسأل المولى أن يجمعني بها في الجنان ...

إلى والدي وجدتي وجدي الذين ربوني على الإسلام ...

إلى زوجتي وأشقائي وشقيقاتي ...

إلى كل من له فضل علي، أوقدم لي المساعدة من الأهل والأقرباء والأصدقاء ...

إلى كل هؤلاء أهدي هذا الجهد المتواضع، راجياً الله –تعالى-أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشكر والتقدير

الحمد لله القائل: ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الزمر:٦٦).

والصلاة والسلام على قائدنا وقدوتنا ومعلمنا محمد e القائل: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)(١). وبعد..

فبعد شكر الله -تعالى- الذي منّ عليّ بإتمام هذه الرسالة، وعرفاناً بالجميل، واعترافاً بالفضل، فإني أتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذتي الكرام الأفاضل في كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

وأخص بالشكر والتقدير أستاذي الدكتور أحمد سليمان البشايرة –حفظه الله تعالى- الذي غمرني برعايته، وتفضل مشكوراً -جزاه الله خيراً - بالإشراف على هذه الرسالة، فبذل لي من جهده ووقته، وفتح لي عقله وقلبه ومكتبه، أزوره مستمعاً إلى توجيهاته الكريمة ونصائحه الغالية المفيدة، منتفعاً بعلمه الغزير وخبرته الواسعة حتى خرجت هذه الرسالة بهذه الصورة، وأسأل المولى تعالى أن ينفع بها، وأن يجعلنا وإياه من الفائزين بالجنة.

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى الأساتذة الكرام على تفضلهم بقبول مناقشتهم لهذه الرسالة، أدامهم الله –تعالى-ذخراً لهذا الدين.

---

(١)أبو داود، سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشدق من الكلام، (٤ / ٤٠٣)، رقم٤٨١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفهرس

الإهداء..... ج

الشكر والتقدير..... د

الفهرس ..... ه

ملخص.....ك

المقدّمة ١

الفصل التمهيدي: مقدمات في الإعجاز والإيجاز. ٤

المبحث الأول: مقدمات في الإعجاز: ٤

المطلب الأول: الإعجاز في اللغة والاصطلاح: ٥

أولاً : الإعجاز في اللغة:..... ٥

ثانياً : الإعجاز والمعجزة في الاصطلاح:..... ٧

المطلب الثاني: شروط المعجزة: ٩

المطلب الثالث: آراء العلماء في وجوه الإعجاز القرآني:..... ١١

أولاً آراء العلماء السابقين:..... ١١

ثانياً :آراء العلماء المحدثين في وجوه الإعجاز..... ١٥

المطلب الرابع: هل يشترط في المعجزة التحدي:..... ١٨

المبحث الثاني: مقدمات في الإيجاز: ٢١

المطلب الأول: الإيجاز في اللغة والاصطلاح. ٢٢

أولاً :الإيجاز في اللغة:..... ٢٢

ثانياً :الإيجاز في الاصطلاح: ٢٤

المطلب الثاني: حد الإيجاز وعلاقته بالكلام المسجوع. ٢٨

أولاً : حد الإيجاز ومقداره. ٢٨

ثانياً :علاقة الإيجاز بالكلام المسجوع. ٣٠

المطلب الثالث: ضروب الإيجاز وأغراضه..... ٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً : ضروب الإيجاز..... ٣٣
ثانياً : أغراض الإيجاز..... ٣٧
الأول: أن يحذف لمجرد الاختصار..... ٣٧
المطلب الرابع: الإيجاز القرآني والكتب التي أشارت إليه أنه لون من ألوان الإعجاز: ٤٠
أولاً : من أشار إلى الإيجاز القرآني من الأقدمين:..... ٤٠
ثانياً : أبرز من أشار إلى الإيجاز من المحدثين: ٤٤
المطلب الخامس: الفنون ذات الصلة المباشرة بالإيجاز..... ٥٠
أولاً : أسلوب التشبيه: ٥٠
ثانياً : أسلوب الاستعارة:..... ٥١
الثاً : أسلوب المبالغة: ٥٢
المطلب السادس: أصول وضوابط ومسوغات جعل الإيجاز أحد معالم الإعجاز القرآني:..... ٥٣
أولاً : أصول وضوابط الإيجاز القرآني:..... ٥٣
هـ.النظر في الآيات التي تبين الإيجاز بالحصر والقصر في القرآن الكريم، وبعدها بيان معناه وأنواعه، ومن ثم إبراز الغرض منه وأثره على إعجاز الجملة القرآنية. ٥٤
و.النظر في الآيات التي تبين الإيجاز بالتضمين في القرآن الكريم، وبعدها بيان معناه وأنواعه، ومن ثم إبراز الغرض منه وأثره على إعجاز الجملة القرآنية ٥٤
ثانياً : قيمة الإيجاز ومسوغات جعل الإيجاز القرآني أحد معالم الإعجاز البياني للقرآن الكريم.... ٥٥

الفصل الأول: الإيجاز بالحذف و أثره في الإعجاز القرآني. ٥٧

المبحث الأول: الإيجاز بالحذف، دراسة نظرية و أثره في الإعجاز القرآني: ٥٨
المطلب الأول: الحذف في اللغة والاصطلاح:..... ٥٩
أولاً : الحذف في اللغة: ٥٩
ثانياً : الحذف في الاصطلاح:..... ٦٠
المطلب الثاني: أنواع وأسباب الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم: ٦٣
أولاً : أنواع الإيجاز الحذف في القرآن الكريم: ٦٣
أولها: جُزْءٍ مِن الكلمة أو ما يُنَزَّلُ منزلة جُزْءِ الكلمة:..... ٦٤
ثانيها: حذفُ جُزْءٍ مِن الجملة:..... ٦٦
(١) حذف الاسم المضاف. ٦٦
(٢) حذف المضاف إليه..... ٦٧
(٣) حذف اسمين مضافين. ٦٧
(٤) حذف الموصول الاسمي..... ٦٨
(٥) حذف الموصوف. ٦٨
(٨) حذف المعطوف عليه. ٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٩) حذف المبدَل منه..... ٦٩
(١٠) حذف المبتدأ..... ٦٩
(١١) حذف الخبر. ٦٩
(١٢) حذف الفعل..... ٦٩
(١٣) حذف المفعول..... ٧٠
(١٤) حذف الحال. ٧٠
(١٥) حذف التمييز. ٧٠
(١٦) حذف"لا"النافية وغيرها..... ٧٠
(١٧) حذف القسم وإبقاء لام التوطئة..... ٧٠
(١٨)حذف الجار، ويطّردُ معأَنَّ وأَنْ ". ٧١
(١٩) حذف لام الطلب. ٧١
(٢٠) حذف حرف النداء..... ٧١
ثالثها:حذفُ الجملة كاملة:..... ٧١
رابعها:حذفُ أكثر من الجملة:..... ٧٣
ثانياً : شروط الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم:..... ٧٥
الأول: أحدها وجود دليل حالي أو مقالي..... ٧٥
الثاني: ألا يكون المحذوف كالجزء، فلا يحذف الفاعل، ولا نائبه ولا ما يشبهه ٧٦
الثالث: ألا يكون مؤكدا..... ٧٦
الرابع: ألا يكون عاملا ضعيفا..... ٧٦
الخامس: ألا يؤدي الحذف إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه..... ٧٦
السادس: ألا يؤدي الحذف إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القوي. ٧٧
المطلب الثالث: دواعي الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم و أثرهما في الإعجاز القرآني: ٧٨
الداعي الأول: مجرد الاختصار..... ٧٨
الداعي الثاني: التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام..... ٧٨
الداعي الثالث: التخفيف لكثرة دورانه في الكلام..... ٧٩
الداعي الرابع: الاتساع. ٧٩
الداعي الخامس: صيانة المحذوف عن الذكر في مقام معين تشريفا له. ٨٠
الداعي السادس: تحقير شأن المحذوف..... ٨٠
الداعي السابع: قصد البيان بعد الإبهام. ٨١
الداعي الثامن: قصد الإبهام:..... ٨١
الداعي التاسع: قصد التشويق واللهفة:..... ٨١
الداعي العاشر: العلم الواضح بالمحذوف:..... ٨٢
الداعي الحادي عشر: قصد العموم ٨٢
الداعي الثاني عشر: رعاية الفاصلة والمحافظة على النسق القرآني:..... ٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الداعي الثالث عشر: طول الكلام: ٨٣
الداعي الرابع عشر: كثرة الاستعمال. ٨٣
الداعي الخامس عشر: أسباب نحوية وصوتية وشعرية. ٨٤

المبحث الثاني: الإيجاز بالحذف دراسة تطبيقية و أثره في الإعجاز القرآني. ٨٦
المطلب الأول: الإيجاز بالنقلة في القصة القرآنية(الفجوة المقصودة)، وأثرها في الإعجاز القرآني.. ٨٧
المطلب الثاني: شواهد من الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم، أثرها في الإعجاز القرآني..... ٩٢

الفصل الثاني: الإيجاز بالاحتباك والاكتفاء، وأثرهما في الإعجاز القرآني. ١٠١

المبحث الأول: الإيجاز بالاحتباك و أثره في الإعجاز القرآني. ١٠٢
المطلب الأول: الاحتباك في اللغة والاصطلاح: ١٠٣
أولاً : الاحتباك في اللغة: ١٠٣
ثانياً : الاحتباك في الاصطلاح: ١٠٤
المطلب الثاني: أنواع الإيجاز بالاحتباك في القرآن الكريم: ١٠٨
الأول: الإيجاز بالاحتباك الضدي ١٠٩
الثاني: الإيجاز بالاحتباك المتشابه ١١١
الثالث: الإيجاز بالاحتباك في الصيغة ١١٢
الرابع:الإيجاز بالاحتباك المنفي المثبت ١١٣
الخامس: (الإيجاز بالاحتباك الظرفي) ١١٤
السادس: الإيجاز بالاحتباك المتناظر ١١٥
السابع: الإيجاز بالاحتباك المشترك ١١٦
الثامن: (الإيجاز بالاحتباك التقابلي): ١١٧
المطلب الثالث: شروط الإيجاز بالاحتباك في القرآن الكريم، بلاغته، وكونه من مظاهر الإيجاز في القرآن الكريم: ١٢١
أولاً . شروطه..... ١٢١
ثانياً . بلاغته..... ١٢١
المطلب الرابع: شواهد من الإيجاز بالاحتباك وأثرها في إعجاز القرآن الكريم. ١٢٣

المبحث الثاني: الإيجاز بالاكتفاء و أثره في بالإعجاز القرآني. ١٣٤
المطلب الأول: الاكتفاء في اللغة والاصطلاح وأمثلة على ذلك..... ١٣٥
أولاً :الاكتفاء في اللغة٠..... ١٣٥
ثانياً : الاكتفاء في الاصطلاح: ١٣٦
ثالثاً : من الأمثلة على الاكتفاء. ١٣٦
المطلب الثاني:الأساليب التي تعطي مدلولاً قريباً من إيجاز الاكتفاء. ١٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث: شواهد من الإيجاز بالاكتفاء وتلك المدلولات وأثرها في إعجاز القرآن الكريم.... ١٤٣

الفصل الثالث: الإيجاز بالقصر والإيجاز بالتضمين، وأثرهما في الإعجاز القرآني.. ١٤٧

المدخل:..... ١٤٨

المبحث الأول: الإيجاز بالقصر وأثره في الإعجاز القرآني. ١٥٢

المطلب الأول: الحصر والقصر في اللغة و الاصطلاح:..... ١٥٣

أولاً : الحصر والقصر في اللغة: ١٥٣

ثانياً : الحصر والقصر في الاصطلاح:..... ١٥٦

الثاً : القصر في الاصطلاح القرآني:..... ١٥٧

المطلب الثاني: طرق الحصر والقصر في القرآن الكريم:..... ١٥٩

الطريق الأول: أن يكون بعبارة تدلُّ عليه بمادَّتها اللّغويَّة صراحةً ١٥٩

الطريق الثالث: أن يكون القصر ببعض الأدوات التي تدلُّ عليه بالوضع اللّغوي. ١٦٠

أولاً : النفي والاستثناء، ١٦٠

ثانياً :كَلِمتا "إنَّما" بكَسْر الهمزة، و"أنَّما" بفتح الهمزة..... ١٦٢

الثاً : العطف بالحروف التالية: "لا - لَ - لكن"..... ١٦٤

الطريق الرابع: أن يكون القصر بدلالات في الكلام تفهم من:..... ١٦٦

المطلب الثالث: أركان إيجاز القصر وأقسامه في القرآن الكريم: ١٧١

أولاً :أركان إيجاز القصر..... ١٧١

الركن الأول: المقصور، صفةً كان أو موصوفاً ١٧١

الركن الثاني: المقصورُ عليه، صفةً كان أو موصوفاً ١٧١

الركن الثالث: المقصورُ عنه، وهو المنفيُّ المستَبْعَدُ بالْقَصر. ١٧١

الركن الرابع: القولُ الْمَقصُورُ به. ١٧١

ثانياً : أقسام إيجاز القصر:..... ١٧٢

١. بحسب أحوال المقصور والمقصور عليه ١٧٢

٢. بحسب أحوال من يوجّه له الكلام ١٧٤

المطلب الرابع: شواهد من الإيجاز بالقصر، وأثرهما في الإعجاز القرآني. ١٧٦

المبحث الثاني: الإيجاز بالتضمين وأثره في الإعجاز القرآني.: ١٨٤

المطلب الأول: التضمين في اللغة والاصطلاح:..... ١٨٥

أولاً : التضمين في اللغة: ١٨٥

ثانياً : التضمين في الاصطلاح:..... ١٨٦

المطلب الثاني: مذاهب العلماء في إثبات الإيجاز التضمين ونفيه:..... ١٨٩

المذهب الأول: نفي التناوب والتضمين. ١٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المذهب الثاني: القائلون بتناوب حروف الجر في المعاني. ١٩٠
المذهب الثالث: أن التضمين خاص بالأفعال والأسماء دون الحروف..... ١٩١
المذهب الرابع: القائلين بالتضمين بالأسماء والأفعال والحروف:..... ١٩٢
المطلب الثالث: أنواع الإيجاز بالتضمين في القرآن الكريم٠:..... ١٩٤
أولاً : في الأسماء:..... ١٩٤
ثانياً : في الأفعال: ١٩٤
ثالثاً في الحروف:..... ١٩٧
المطلب الرابع: شواهد من الإيجاز بالتضمين، وأثرها في الإعجاز القرآني. ١٩٩

الخاتمة ٢٠٦

أولاً : أهم النتائج.....٢٠٦

ثانياً :أهم التوصيات. ٢٠٧

ABSTRACT ٢٠٨

قائمة المصادر والمراجع ٢٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإيجاز وأثره في بيان إعجاز القرآن الكريم
(دراسة تأصيلية)

The conciseness and its impact to show the Inimitability in the Noble Qur'an
(A fundamental Study)

إعداد

عبد الله علي عبد الرحمن أبو السعود

إشراف

الدكتور أحمد البشايرة

ملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع الإيجاز وأثره في بيان إعجاز القرآن الكريم بدراسة تأصيلية؛نظراً لأهمية الموضوع في إبراز أساليب الإيجاز القرآني وأثر الدلالة البيانية للإيجاز في الإعجاز القرآني.

وتهدف هذه الدراسة لإثبات وجه من وجوه الإعجاز القرآني؛ وهو الإعجاز المتعلق بالإيجاز القرآني، بدراسة تأصيلية؛ وذلك من خلال تقدير المحذوفات في الجملة القرآنية، وبيان أثر أسلوب القصر في حصول المعاني الكثيرة من اللفظ القليل المتقن في نظمه.

واشتملت هذه الدراسة على أربعة فصول:

فتحدثت في الفصل التمهيدي عما يتعلق بالإعجاز من حيث معناه في اللغة والاصطلاح، وشروط المعجزة، وآراء العلماء بها، كما تطرق الباحث فيه إلى معنى الإيجاز في اللغة والاصطلاح، حد الإيجاز وعلاقته بالكلام المسجوع، ضروب وأغراض الإيجاز، وأبرز الكتب التي أشارت إليه أنه لون من ألوان الإعجاز، والفنون ذات الصلة بالإيجاز القرآني، وختمت المبحث بالحديث عن أصول وضوابط ومسوغات جعل الإيجاز أحد معالم الإعجاز القرآني، وأما الفصل الأول: فتحدثت فيه عن الإيجاز بالحذف وفنونه و أثره في الإعجاز القرآني، وقسمته إلى دراسة نظرية وتطبيقية، كما تحدثت فيه عن الإيجاز بالاحتباك، والإيجاز بالاكتفاء والإيجاز بالنقلة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القرآنية، وأثرهم في الإعجاز القرآني، وفي الفصل الثالث: تحدثت عن الإيجاز بالقصر، والإيجاز بالتضمين أثرهما في الإعجاز القرآني.

كما كنت في كل فصل من هذه الفصول أتحدث عن تعريف اللغوي والاصطلاحي لذلك الفن، ثم أتحدث عن أنواعه وأقسامه ودواعيه، وآتي بالشواهد التي تدلل عليه من القرآن الكريم، وأبين علاقة ذلك الفن بالإيجاز القرآني.

ثم بعد ذلك كانت الخاتمة التي حوت أهم النتائج والتوصيات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدّمة

حمداً لله على نعمائه، وشكراً له على مزيد آلائه وصلاة وسلاماً على سيدنا وحبيبنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، ورضي اللهعن الصحابة الكرام، الذين لم يألوا جهداً في خدمة القرآن، بل بذلوا وسعهم في تحقيق ما أمروا به، فجمعوه بعد شتات ونقلوه من الصدور إلى السطور، وهذا أمر ليس بالميسور، فجزاهم الله عن هذه الأمةخيراً .

أولاً : أهمية الموضوع وسبب اختياره:

فإنّ القرآن الكريم كلام الله وحبله المتين، والذكر الحكيم والنور المبين، لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء ولا تنقضي عجائبه ولا يملّ مع كثرة التكرار، وقد بذلت الجهود في خدمته، وسخّرت الأوقات في تدبّره، وهيّئت له الهمم، وخير ما خدم به كتاب الله تعالى بيان علومه، وإثبات إعجازه، فقد أسهم العلماء في بيان إعجازه، وكتبت الكتب، وصنّفت المصنّفات لإثبات مصدره، ففي القرآن الكريم الدليل الأكبر على إعجازه، قال تعالى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) (الإسراء:٨٨)، ويقول تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهَّ ِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (هود:١٣)، ويقول تعالى: وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهَّ ِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة:٢٣)، فبدءاً من هذه الآيات انطلقت جهود العلماء من كل حدب وصوب في خدمة كتاب الله عز وجل وإبراز مظاهر روعته وبيانه وإعجازه، بين باحث في البيان القرآني، وباحث في الدلالات العلمية فيه، أو الدلالات النفسية أو الاجتماعية، أو الاقتصادية أو التشريعية.

ولم تقف جهود العلماء عند هذا الحد، بل تعدت ذلك لتبرز ما كان من شأنه أن يعزز ما ذهبوا إليه كل على طريقة ومنهاج؛ فذاك ينظر للسورة القرآنية ككل، وآخر ينظر لكل جملة يظهر دلالاتها البيانية، وثالث يمعن النظر في الكلمة وموقعها، ورابع يمعن النظر في جرس حروفها وقشرتها اللفظية.

وجاءت رسالتي هذه محاولة لإبراز ما من شأنه إعطاء صورة متكاملة للإيجاز في القرآن الكريم، وأثره في الكشف عن الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: الدراسات السابقة:

لم أجد من أفرد هذا الموضوع بالبحث والدراسة المستقلة الشمولية ودراسته دراسة تأصيلية وإبراز جوانبه، وإنما هنالك كتب وأبحاث تناولت موضوع الإعجاز بصورة عامة، وتطرقت للإيجاز القرآني بصورة عارضة، أو بجزء منه، وأبرز من من تحدث عن الإيجاز الإمام الرماني،علي بن عيسى،(ت٣٨٦هـ)، في كتابه القيم النكت في إعجاز القرآن، مطبوع ضمن كتاب (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ط٣، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م.

ثالثاً: منهجية البحث:

يقوم هذا البحث على المنهج الاستنباطي التحليلي التأصيلي، حيث قام الباحث بتتبع بعضاً من الآيات القرآنية وتفسيرها من كتب التفسير التي تخدم بحثه، وتحليل عبارات الآية المتعلقة بالموضوع وبيان دلالاتها، ثم الخروج بقواعد تضم وتشمل الفروع الجزئية من البحث.

وكانت المنهجية كالآتي:

- جمع بعضاً من الآيات القرآنية وبعض الأحاديث ذات الصلة بالموضوع، وتحليلها والاستنباط منها، والتعليق عليها.
- الرجوع إلى المصادر الأصلية وأمهات الكتب ما أمكن في التفسير والإعجاز، والبلاغة والبيان، بالإضافة إلى بعض الكتب المعاصرة.
- استعراض ومناقشة آراء العلماء فيما تحدثوا به في هذا الموضوع.
- ترقيم الآيات وتخريج الأحاديث النبوية، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، اكتفى الباحث بتخريجه منهما، وإلا عزاه لمن ذكره من أصحاب السنن أو المصنفات، مع ذكر حكم المحققين لتلك الكتب إن وجد.
- توثيق المعلومات حسب الأصول العلمية المتبعة، اسم الشهرة، ثم الاسم، ثم الكتاب، ثم دار النشر ثم الطبعة، ثم تاريخها، ثم الجزء والصفحة.

رابعاً: خطة الرسالة:

اشتملت رسالتي أربعة فصول.

أما الفصل التمهيدي فتحدثت فيه عما يتعلق بالإعجاز والإيجاز من متعلقات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفيه مبحثان:

فالمبحث الأول: تحدثت فيه عن مقدمات في الإعجاز.

والمبحث الثاني: تحدثت فيه عن مقدمات في الإيجاز:

وتحدثت في الفصل الأول منه: عن الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم، دراسة نظرية وتطبيقية و أثرهما في الإعجاز القرآني.

وفي الفصل الثاني: عن الإيجاز بالاحتباك والاكتفاء في القرآن الكريم وأثرهما في الإعجاز القرآني.

وفي الفصل الثالث: تحدثت عن الإيجاز بالقصر والإيجاز بالتضمين و أثرهما في الإعجاز القرآني.

وحوت الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

وإني لأرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في عملي هذا راجياً منه القبول، فهذا جهد المُقل إلا أن عزائي أني بذلت ما أستطيع، فما كان فيه من توفيق فبفضل من الله وتوفيقه وتأييده بفضلٍ ونصحٍ وإرشادٍ من أستاذي الدكتور أحمد سليمان البشايره –حفظه الله تعالى- فله عظيم الشكر والامتنان، والله تعالى أسأل أن يلهمني الرشد والصواب، وأن يأخذ بيدي للخير والصلاح، والحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل التمهيدي: مقدمات في الإعجاز والإيجاز.

المبحث الأول: مقدمات في الإعجاز:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإعجاز في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: شروط المعجزة.

المطلب الثالث: آراء العلماء في وجوه الإعجاز القرآني.

المطلب الرابع: هل يشترط في المعجزة التحدي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول: الإعجاز في اللغة والاصطلاح:

أولاً: الإعجاز في اللغة:

قال ابن فارس: "العين والجيم والزاي أصلان، يدل أحدهما على الضعف، ويدل الآخر على مؤخرة الشيء"(١).

وقال الراغب في كتاب المفردات: "عجز: عجُزُ الإنسان مؤخره وبه شبه مؤخر غيره. ثم تنوزع فيه فقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ (القمر:٢٠)، وأصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عَجُزِ الأمر أي تأخره"(٢).

والعَجْزُ: أصله التأخر عن الشيء، وحصوله عند عجُز الأمر: أي مؤخره، كما ذكر في الدبر، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، قال تعالى: ﴿أَعَجَزتُ أَنْ أَكُونَ﴾ (المائدة:٣١)، عَجَزتُ فلاناً وعَجّزتُه وعاجَزْتُه: جعلته عاجزاً ... والعجوز سُميت؛ لعجزها في كثير من الأمور، قال تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ﴾ (الصافات:١٣٥)، وقال: ﴿أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ (هود:٧٢)"(٣)، وجاء في مختار الصحاح: أعجَزَهُ الشيء: فاتَه، وعَجَّزَه تعجيزاً: ثبَّطه أو نسبه إلى العجز (٤).

وقال ابن منظور في لسان العرب:

العَجْزُ: نقيض الجزم، عجز عن الأمر يَعْجَزُ عجزاً.

والعِجزُ: الضعف. تقول: عجِزتُ عن كذا. وفي حديث ابن عمر: (لا تلبثوا بدار معجزة)(٥).

---

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم المقاييس في اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، ط ١٩٩٤، ص٧٣٨.

(٢)الراغب الأصفهاني، الحسين بن أحمد، المفردات، المكتبة التوفيقية، ص٣٢٥.

(٣)الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة عجز، وينظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الرسالة، ط٣،٢٠٠٠م، المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ١٤١٠هـ، مادة عجز.

(٤)الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت٦٦٠هـ)، مختار الصحاح، ط١، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م مادة عجز، ص٤٦٧.

(٥) الصنعاني، عبدالرزاق بن همام، مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، حديث رقم ٩٢٥٠ ١٦٢/٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أي لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والعيش.والمُعْجَزةُ بفتح الجيم وكسرها مُفْعَلَة من العجز: عدم المقدرة. وفي الحديث: (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس (١)، (٢)".

وجاء في المعجم الوسيط: "إعجاز مصدر الفعل الماضي الرباعي (أعجز) يعجز إعجازاً، والجذر الثلاثي عَجزه عَجّزَ يُعْجِزُ إعجازاً".

ومن لطائف الإشارة أن عين الكلمة (الجيم)في الفعل الماضي تُقرأ مثلثة بالفتح والضم والكسر.

فهي بالفتح عَجَزَ يعجزُ عَجزاً: من باب ضرب يضرب والمعنى ضعف عن الشيء ولم يقدر عليه.

وبالكسر:عَجِزَيَعجز من باب شَرِبَ يشرب والمعنى عظمت عجيزته كبرت مؤخرته.

وبالضم: عجُزَيَعجُزُ عجوزاً بمعنى صار عجوزاً عاجزاً (٣).

ويمكن رَجْعُ هذه المعاني كلها إلى أصل واحد، وهو مؤخر الشيء، وهذا ما رجّحه الأستاذ الدكتور فضل عباس في كتابيه (إعجاز القرآن) و(إتقان البرهان في علوم القرآن) بعد أن ذكر قول الراغب الأصفهاني وابن فارس، حيث قال: "وأمام هذه الآراء نرى أن أولاها قول الراغب الأصفهاني، فأصلالعَجُز في اللغة: مؤخر الإنسان، واستعير لغيره، وهناك صلة وثيقة بين هذا المعنى وبين لقصور عن الشيء؛ فإن التأخر والقصور متلازمان؛ لأن مَن تأخر عن غيره إنما يرجع ذلك إلى تقصيره"(٤).

ويستحسن هذا الرأي؛ لما فيه من الجمع بين الأقوال المختلفة وردّها إلى معنى واحد، بدلاً من أن تتعدد المعاني، ويستقل كلٌ منها بنفسه، وهي في الحقيقة تشترك في أصل واحد. ومن ذلك يتضح لنا أن الإعجاز في أصل اللغة مأخوذ من العجز الذي يدل على الضعف والتأخر وعدم المقدرة.

---

(١) مسلم بن الحجاج، صحيح الإمام مسلم، دار الحدث، القاهرة، ط١/١٤١٨هـ١٩٩٧م، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، حديث رقم ٢٦٥٥

(٢) انظر ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م، مادة عجز، ٣٦٩/٥.

(٣) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة ١٩٨٩، ص٥٨٥.

(٤) فضل عباس، فضل حسن، سناء فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، بدون دار نشر،١٩٩١م ص(١٠،١١)، وإتقان البرهان في علوم القرآن (ص١٠٧_١٠٨)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: الإعجاز والمعجزة في الاصطلاح:

قال الجرجاني في التعريفات: "الإعجاز في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق (١)".

والمعجزة (بالمفهوم العام): هي أمر خارق للعادة سالم من المعارضة يجريه الله على يد رسوله تصديقاً له في دعوى النبوة وتكون حسية ومعنوية (٢).

و سميت معجزة لأن الخلق(إنساً وجناً) يعجزون عن الإتيان بمثلها (٣). وتقييد العجز بالعرب أمر مرجوح، وإنما العجز عام لجميع الإنس والجن بصريح نصوص القرآن الكريم.

وعرفها الزرقاني بأنها"أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة يظهره الله على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها شاهداً على صدقه"(٤).

وذهب الدكتور الخالدي في حديثه عن المعجزة (في القرآن الكريم): أنها عدم مقدرة الخلق على معارضة القرآن وقصورهم عن الإتيان بمثله رغم توفر ملكتهم البيانية وقيام الداعي على ذلك، وهو استمرار تحديهم (٥)، وتقرير عجزهم(٦).

يقول الشيخ الزرقاني: "إعجاز القرآن مركب إضافي، معناه بحسب أصل اللغة :إثبات القرآن عجزَ الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من إضافة المصدر إلى فاعله، والمفعول وما

---

(١) الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي السيد الدين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي (٨٢٦ هـ)، التعريفات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٢٥، مصطلح رقم ١٦٩.

(٢) انظر تعريف المعجزة: الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن يحيى (ت ٧٥٦ هـ)، المواقف في علم الكلام، شرح السيد الشريف علي ابن محمد الجرجاني ٨١٦هـ، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١هـ ١٩٩٧م، ٣٣٨/٣، والبيجوري، إبراهيم بن محمد، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ١٩٨٣م، ص١٣٨، عبيدات، محمود سالم، العقيدة الإسلامية، المطابع العسكرية، عمان – الأردن، ص٤٢٢.

(٣) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن العمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق سالم محمد البدري، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م، ٥١/١.

(٤) انظر الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، ٧٣/١، وحبنكة، عبد الرحمن حسن، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم دمشق، ط٥، ١٤٠٨هـ١٩٨٨ م، ص٢٣٨.

(٥) سنشير إلى مسألة اشتراط التحدي في المعجزة عند حديثنا عن أقوال العلماء في اشتراط التحدي في المعجزة في المطلب الرابع.

(٦) الخالدي، د.صلاح، إعجاز القرآن البياني، دار عمار، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقديرأعجزَ القرآنُ خلقَ الله عن الإتيان بما تحداهم به (١).

والعلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ظاهرة، وهي تأخر الخلق عن المجيء بمثل القرآن الكريم، نتيجة لقصور طاقاتهم، وضعف قُوَ هم.

وإذا أمعنّا النظر إلى هذه التعريفات فستدلّنا إلى معنى إجمالي وهو ما يمنحه الله لنبيّه ليستدل على صدق نبوّته، ومعجزة القرآن الكريم،قد تميّزت عن غيرها بأنّها عامّة وشاملة لكلّ زمان ومكان؛ فلا يجوز حصرها بالعرب أو بالكافر، أو بلون واحد من الإعجاز، والعجز يظهر بدلالة الحال والأقوال أمّا دلالة الحال فالقرآن الكريم والسنّة النبويّة فيها من الشواهد الكثيرة التي تدلّ على ذلك وكذلك دلالة الأقوال.

(١)الزرقاني، مناهل العرفان، (٢:٣٥٤)، وينظر: فضل عباس، إتقان البرهان، (١/١١٠)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: شروط المعجزة:

لقد وضع العلماء مجموعة من الشروط للمعجزة و لمن جاء بها وهي:

١. أن تكون أمراً من الله –تعالى- ليصدق مدعي النبوة والأمر يشمل:

- القول كالقرآ ن الكريم.
- الفعل كنبع الما ء من بين أصابع الرسول عليه الصلاة والسلام، وناقة صالح عليه الصلاة والسلام، وعصا موسى عليه الصلاة والسلام.
- الترك كعدم إحراق النار لإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

٢. أن تكون خارقة للعادة التي اعتاد عليها الناس واستمروا عليها مرة بعد أخرى. وهذا الشرط يقيد أن يخرق الخارق لا يكون معجزة مما إذا قال آتٍ صدق طلوع الشمس من حيث تطلع وغروبها من حيث تغرب.

٣. أن تكون لمدعي النبوة الرسالة، أي أن صاحبها يقوم بدعوة إلى دين فيه سعادة الناس في الدنيا والآخرة وعندئذ لا تخرج المعجزة في الأمور التالية:

- الإهانة التي تظهر على يد فاسق أو كافر كما وقع لمسيلمة الكذاب حيث بصق في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة .
- الاستدراج: وهي ما ظهر على يد فاسق أو كافر خديعة أو مكرا به أو استدراجاً له وزيادة في غيهم حتى يأتيهم أمر الله وهو غافلون كما في قوله تعالى: **(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ)** (الأنعام:٤٤).
- المعونة: وهي ما يظهر على يد الولي تخليصا لهم من شدة أو ضيق.
- الكرامة: وهي ما يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح والاستقامة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤. أن لا تكون متقدمة على دعوى النبوة، بل مقارنة لها أو متأخرة عنها بزمن يسير يعتاد مثله. فتخرج بذلك الإرهاصات وهي ما كان قبل النبوة من الخوارق تأسيساً لها، كما في تظليل الغمام له عليه الصلاة والسلام قبل بعثته، وشق صدره، وككلام عيسى –عليه الصلاة والسلام- في المهد.

٥. أن لا تكون مكذبة له. فيخرج بذلك ما إذا كانت مكذبة له كما إذا قال آية صدقي نطق الجماد، فنطق الجماد أنه كذاب.

٦. أن تتعذر معارضتها.

ويخرج بذلك:

- السحر: وهو قواعد تكتسب بالتعليم يقتدر بها على أفعال غريبة.
- الشعوذة: وهي خفة في اليد يرى أن لها حقيقة، ولا حقيقة لها (١).

(١)ابن تيمية، أحمد بن تيمية، النبوات، أصول السلف، ط١/٢٠٠٠م، ص٢٥٩، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٥١/١ والبيجوري، تحفة المريد٣٣٨/٣، فضل عبّاس، إعجاز القرآن، ص ١٨، د. الخالدي، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص ١٨، الميداني، العقيدة الإسلاميّة، ص ٢٣٨، عبيدات، العقيدة الإسلاميّة،ص٤٢٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث: آراء العلماء في وجوه الإعجاز القرآني:

اختلف العلماء في تحديد وجوه الإعجاز القرآني (١)، فمنهم مضيق ومنهم موسع ومنهم من قصر الإعجاز على الوجه البياني ومنهم تعددت وجوه الإعجاز لديه، وسيعرض الباحث لأشهر العلماء وآراءهم.

أولاً آراء العلماء السابقين:

فممن اهتم ببيان إعجاز القرآن وأسهم في الرد على الطاعنين فيه من علماء القرن الثالث الهجري الإمام أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري حيث تصدى للطاعنين في القرآن وأسلوبه والمعترضين عليه وألف في ذلك كتابه تأويل مشكل القرآن حيث قال في مقدمته: "الحمد لله الذي نهج لنا سبل الرشاد وهدانا بنور الكتاب، .... وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين، وجعله مثلواً، لا يمل على طول التلاوة ومسموعاً لاتمجه الآذان، وغضاً لا يخلق على كثرة الرد وعجيباً لا تنقضي عجائبه، ومفيداً لا تنقطع فوائده، ونسخ به سالف الكتب، وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه"(٢).

ثم ردعلى أولئك الطاعنين مبيناً وموضحاً حالهم وتأثيرهم علىالناس قائلاً : (وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة،وأبصار عليلة ونظر مدخول،فحرفوا الكلام عن مواضعه،وعدلوه عن سبله، ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة وفساد النظم والاختلاف(٣).

وفي هذا تصوير لحال الطاعنين مع بيان أنهم يتبعون المتشابه من آي الكتاب الحكيم ثم دخل القرن الرابع الهجري فتتالت فيه المؤلفات للدفاع عن أسلوب القرآن فألف في نظم القرآن محمد بن يزيد الواسطي (ت٣٠٧هـ)"كتابه نظم القرآن ويعرف بإعجاز القرآن في نظمه وتأليفه"أيضاً ، وتبعه في التأليف في النظم آخرون (٤).

---

(١) يذكر الباحث هذا المبحث؛ لأن معظم من اعتنى بالكتابة عن الإعجاز القرآني أشار إليه، فلا يترتب على هذا المبحث أي اختلاف على نتائج الأطروحة وذلك أن جميع العلماء متفقون على الوجه البياني من الإعجاز القرآني والذي من أبرز ملامحه الإيجاز القرآني.

(٢) ابن قتيبة، مقدمة تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الثراث القاهرة، (ط٢) ص٣.

(٣) ابن قتيبة، تاويل مشكل القرآن، ص٢٢.

(٤) ينظر ابن النديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨ هـ- ١٩٧٨م، ص٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما ذهب الإمام الرماني(٣٨٤هـ) (١) إلى أن الإعجاز القرآني لا يقتصر على وجه واحد، بل لهوجوه عِدّة، وهي:

١. ترك المعارضة مع توفر الدواعيوشدّة الحاجة.
٢. التحدي للكافّة.
٣. الصرفة.
٤. البلاغة.
٥. الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة.
٦. نقض العادة.
٧. القياس بكل معجزة(٢).

أما الإمام الخطابي (٣)، فقدعدّالقرآن معجزاً بفصاحة ألفاظه، وحسن تأليفه،وصحة معانيه. هذا من جهة، ومن جهة أخرى،فقد لَفَت الأنظار إلى صنيع القرآن في القلوب، وتأثيره في النفوس(٤)

يقول في ذلك"في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب(٥) والقلق، وتغشاها من الخوف والفرق(١) ما تقشعر

---

(١)هو أبو الحسن علي بن عيسى، النحوي المعتزلي، المعروف بالرماني (ت٣٨٤هـ) كان متفنناً في علوم كثيرة، منها:علوم القرآن والفقه والنحو والكلام، على مذهب المعتزلة، صنّف في التفسير والنحو واللغة ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، (١٤٢:٢)، والذهبي، سير أعلام النبلاء، (٥٤١:١٢)، ودول الإسلام، (١٨٢:١)، وابن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه، (٦٣٢:٢).

(٢)الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ص٧٥

(٣)هو الإمام العلامة الحافظ اللغوي، أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البُستي، الخطابي، (ت٣٨٨هـ)، صاحب التصانيف،رحل في الحديث وقراءة العلوم، وطوّف،ثم ألّف في فنون العلم، وصنّف، وفي شيوخه كثرة، وكذلك في تصانيفه، ومنها: (شرح السنن)، و(غريب الحديث)، و(شرح الأسماء الحسنى)، وغير ذلك ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، تذكرة الحفاظ، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، (١٤٩:٢)، ودول الإسلام، (١٨٣:١)، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب،، ٢٥٦:٣.

(٤) ينظر :الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ص٢٧، ص٧٠.

(٥)وجب القلب وجيباً ووجباناً : خفق واضطرب ورجف. انظر المعجم الوسيط، مادة وجب، ١٠٢٣/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منه الجلود وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول عليه الصلاة والسلام من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيماناً (٢).

وأتم الإمام أبو بكر بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)المسيرة التي بدأها علماء القرن الرابع الهجري لبيان إعجاز القرآن بكتابه"إعجاز القرآن" حيث وضح فيه أن نبوة نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام بنيت على القرآن، وأنها معجزة عمت الثقلين، وأن السور المبدوءة بالحروف المقطعة إذا تأملتها فهي من أولها إلى آخرها مبنية على لزوم حجة القرآن والتنبيه على وجه معجزته(٣).

ثم عقد فصلاً في جملة وجوه إعجاز القرآن قال فيه: "ذكر أصحابنا وغيرهم فيه ثلاثة وجوه:

أحدها: يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه.

والوجه الثاني: أنه كان معلوماً من حال النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان أمياً لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ.وكذلك كان معروفاً من حاله أنه لم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم، ثم أتى بجملة ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، ومهمات السير، من حين خلق الله آدم عليه الصلاة والسلام إلى حين مبعثه.

والوجه الثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه، والذي أطلقه العلماء هو على هذه الجملة، وبيّن أن هذا الوجه يتضمن عشرة أوجه(٤).

ثم أثنى على هذا النوع من العلم فقال: "واعلم أن هذا علم شريف المحل عظيم المكان قليل الطلاب ضعيف الأصحاب ليست له عشيرة تحميه ولا أهل عصمة تفطن لما فيه وهو أدق من السحر وأهول من البحر وأعجب من الشعر"(٥).

---

(١)الفرَق: الجزع وشدة الخوف. للمزيد انظر، المعجم الوسيط، ٦٩٢/٢.

(٢) الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص٩٢ و ٩٣، تحقيق: عبد الله الصديق، مطبعة دار التأليف بمصر، ينظر ثلاث رسائل في الإعجاز من تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ود.محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط الثالثة ص٧٠.

(٣) ينظر الباقلاني، إعجاز القرآن ص٨-٩.

(٤) ينظر الباقلاني، إعجاز القرآن ص٣٣-٣٥.

(٥) ينظر الباقلاني، إعجاز القرآن ص١٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم أشار إلى ما قاله القادحون في نظم القرآن بقوله: (فإن قال قائل: فقد قدح الملحد في نظم القرآن وادعي عليه الخلل في البيان وأضاف إليه الخطأ في المعنى واللفظ وزعم وقال ما قال فهل من فصل ؟ قيل: الكلام على مطاعن الملحدة في القرآن مما قد سبقنا إليه وصنف أهل الأدب في بعضه فكفوا، وأتى المتكلمون على ما وقع إليهم فشفوا ولولا ذلك لا ستقصينا القول في كتا نا (١).

وممن تناول الإعجاز القاضي عبد الجبار الهمداني (ت ٤١٥هـ) الذي تعرض للكلام في إعجاز القرآن في عدد من كتبه (٢)، ورد الطعون الموجهة للقرآن مما أورده ابن الرواندي في كتابه (الدامغ)من أن فيه تناقضاً واختلافاً (٣)، بينما الإمامين: عبد الجبار الهمذاني(٤)، وعبد القاهر الجرجاني(٥)، فقد قصرا وجوه الإعجاز على وجه واحد، وهو فصاحة الكلام التي لا تظهر إلا في الكلمات المضمومةبعضها إلى بعض، لا في الكلمات المفردة، على حدّ تعبير القاضي عبد الجبار (٦)، وهو ما عبّر عنه الشيخ عبد القاهر بالنظم(٧)، وقد كان للنظام(١)، رأي آخر هو أن إعجاز القرآن يكمن بالصرفة(٢).

---

(١) ينظر الباقلاني، إعجاز القرآن ص٢٤٥ – ٢٤٦.

(٢) ينظر عماد الدين عبدالجبار بن أحمد، تنزيه القرآن عن المطاعن، دار النهضة الحديثة لبنان، ص١٧.

(٣) ينظر القاضي عبدالجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل ٣٤٦/١٦ إملاء القاضي عبدالجبار، ولقد فصل القول بأكثر من ذلك بآراء السابقين ممن كتب بالتفسير والإعجاز د/عبد الله بن مقبل القرني، الأستاذ المساعد بجامعة أم القرى والباحث المتعاون بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي، مكة المكرمة، في بحثه آراء العلماء في تحديد أوجه الإعجاز، فللمزيد ينظر له.

(٤)القاضي عبد الجبار بن أحمد، العلامة المتكلم، أبو الحسن الهمذاني، (ت٤١٥هـ)، شيخ المعتزلة، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية، وليَ القضاء في الريّ، من تصانيفه: (متشابه القرآن)، و(تنزيه القرآن عن المطاعن)، و(المغني) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٥١:١٣)، ودول الإسلام، (١٩١:١)، وأحمد المرتضى، طبقات المعتزلة، ص١١٢.

(٥)أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، (ت ٤٧١هـ، وقيل: ٤٧٤هـ)،شيخ العربية، كان عالماً، ذا نسك ودين، أشعرياً، شافعياً صنّف شرحاً حافلاً (للإيضاح)، وله (دلائل الإعجاز)، و(أسرار البلاغة)، وغيرها، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦٨٧:١٣، وتاريخ الإسلام، (٥٤:٣٢)، وأحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني: بلاغته ونقده، ص١١

(٦)ينظر: عبد الجبار الهمذاني، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ١٩٩:١٦.

(٧)ينظر: الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، تحقيق: د.محمد التنجي، ص٤٥٨، ص٤٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً :آراء العلماء المحدثين في وجوه الإعجاز

من المحدَثين كذلك مَن قصر الإعجاز على وجه واحد، ومنهم مَن قال بتعدد وجوهه، أمّا مدرسة الإمام محمد عبده ـ ومن أبرز أعلامها :الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ محمد مصطفى المراغي، فقد ارتضو أن يكون للإعجاز أكثر من وجه(٣).

أما الأستاذ مصطفى صادق الرافعي فقد ذكر أربعة أوجه للإعجاز:

١. فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب.

٢. ومعجز في أثره الإنساني

٣.ومعجز من حيث حقائقُه.

وأخيراً، فإنه معجز في بلاغته وبيانه(٤).

وللإعجاز نواحٍ ثلاث عند د. محمد عبد الله دراز :

١. الإعجاز من الناحية اللغوية.

٢.الإعجاز العلمي.

٣.الإعجاز الإصلاحي التهذيبي الاجتماعي(٥).

أما الأستاذ سيد قطب، فقدصبّ جُل اهتمامه على الناحية البيانية، وقد أشار إلى وجوه أخرى حين قال: "إن إعجاز القرآن أبعد مدى من إعجاز نظمه ومعانيه، وعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله، هو عجز عن إبداع منهج كمنهجه يحيط بما يحيط به(٦).

---

(١) هو إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري المعروف بالنظام بالظاء المعجمة المشددة، من علماء القرن الثالث، قالت المعتزلةإنما لقب بذلك لحسن كلامه نظماً ونثراً ، وقال غيرهم: إنما سمي بذلك لأنه كان ينظم الخرز بسوق البصرة ويبيعها توفي ٢٣١ هـ، ٨٤٥ م ينظر الذهبي،سير أعلام النبلاء، (٥٤٢/١٠)، الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢٢٦/٢)، الزركلي، الأعلام، (٤٣/١)

(٢)القائلون بالصرفة كالنظام، لا يجعلون الإعجاز البياني وجهاً من وجوه الإعجاز؛ لأنهم يرون أن بلاغة القرآن في مقدور البشر، ولكن الله صرفهم عن الإتيان بمثل القرآن ينظر: فضل عباس، بحث (رسالة الرماني: النكت في إعجاز القرآن ـ تحليل ونقد، مجلة (دراسات)، ص١٢٠.

(٣)ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار،:٢١٠/١، وعبد العزيز إسماعيل، الإسلام والطب الحديث، مقدمة الشيخ المراغي، ص ج-د.

(٤)ينظر: الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص١٥٦-١٥٧.

(٥)ينظر: دراز، النبأ العظيم، دار الثقافة ـ الدوحة، الطبعة: ١٩٨٥،ص٧٩

(٦)سيد قطب، في ظلال القرآن، (٣٥٩/٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذا نجد في ثنايا تفسيره (الظلال) إشارات إلى وجوه الإعجاز الأخرى، كالإعجاز العلمي(١)، والإعجاز التشريعي (٢) .

ولم يقبل الشيخ محمود محمد شاكر أن يكون القرآن معجزاً بغير نظمه وبيانه، حيث قال: "إنما هو تحدٍ بلفظ القرآن ونظمه وبيانه، لا بشيء خارج عن ذلك، فما هو بتحدٍ بالإخبار بالغيب المكنون، ولا بالغيب الذي يأتي تصديقه بعد دهر من تنزيله، ولا بعلم ما لا يدركه علم المخاطبين به من العرب، ولا بشيء من المعاني مما لا يتصل بالنظم والبيان(٣). تلكم هي أهم أقوال الأئمة الذين بحثوا في الإعجاز، منهم مَن يقول بتعدد وجوه الإعجاز وهم الأكثرون، أما الأقلون فقصروا الإعجاز على وجه واحد .

وقد رجح الأستاذ الدكتور فضل عباس أن إعجاز القرآن الكريم قد تجلى في أكثر من وجه؛ ذلك بأنه منزل إلىالناس كافة، وكلهم مدعوّ ون إلى الإيمان به، ومنهم العربي والأعجمي،"ولا يُعقل أنيُتحدّى الناس جميعاً بالبيان وحده، إنما هو تحدٍّ عام عموم المخاطبين به(٤)، كلٌ بما يتقن.

أما الدكتور صلاح الخالدي فقد رجح في آخر كتبه أن الوجه الوحيد للإعجاز القرآني هو الإعجاز البياني، حيث يقول: "وأنا لست مع جمهور العلماء الذين يجعلون وجوه الإعجاز عديدة ويدخلون الأدلة على مصدر القرآن الكريم الرباني، في وجوه الإعجاز مع أنها ليس فيها تحد للكفار السابقين أو المعاصرين، ونحن لا نطلب منهم الإتيان بمثلها ليعجزوا عنها، ولو طالبناهم في هذا العصر بالإتيان بمثلها فقد يستطيعون، وبذلك لا يكونون عاجزين فلا يكون القرآن معجزاً لهم"(٥)، وكما رجح الدكتور عبدالله شحاته، أن وجه الإعجاز في القرآن الكريم بنظمه حيث يقول"والصحيح الذي عليه الجمهور والحذاق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحته(٦).

وسبب ذلك أنهم ربطوا الإعجاز القرآني بالتحدي الذي كان في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام وحده، لكننا إذا أردنا أن ننقل التحدي للعصور القادمة على مر التاريخ فسنرى

---

(١) ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، (١٦/٦)، في تفسير قوله تعالىولقدَ خلقنَا الإنسَانَ من سُلالةٍ مِن طينٍ ،(المؤمنون:١٢).

(٢)ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، (٢٨٩/٥)، في تفسير قولهإنّمَا حَرَّمَ عليكم الميتَةَ وَ الدمَ وَ لحمَ الخنزيرِ ،(النحل:١١٥).

(٣) محمود شاكر مقدمة الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ص٢٥

(٤) فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص٣٣.

(٥)الخالدي، إعجاز القرآن البياني، ص٧.

(٦) شحاته، د:عبدالله، علوم القرآن و التفسير، دار الإعتصام، ص١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما أسهم القرآن به من ألوان التحدي العلمي والنفسي والاقتصادي، يعد من وجوه الإعجاز المعتمدة في هذه العصور المتتابعة؛ فالقرآن الكريم يخاطب الجميع ويتحداهم كل حسب ثقافته وعصره.

وفي هذا المعنى قال الشيخ محمد أبو زهرة: "وإنه معجزة للخليقة كلها، وفيه الدليل على أنه من عند الله للناس أجمعين، فهو إنْ جاء بلسان العرب، وفيه أعلى درجات البيان العربي، يشتمل في ثناياه ما يعجز الناس أجمعين، فإذا كان قد أعجز العرب ببيانه، فقد أعجز الناس أجمعين بمعانيه، وشرائعه، وما اشتمل عليه من علوم، بل بمبانيه أيضاً، قال منزله عزّ من قائل: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾(الإسراء:٨٨)، تعالت كلمات الله تعالى"(١).ومع أن العلماء قد ذهبوا في مسألة (تعدد وجوه الإعجاز) مذهبين إلا أن الإعجاز البياني لم يكن موضع خلاف بينهم، فالقائلون بتعدد هذه الوجوه مجمعون على أن الإعجاز البياني هو أعظم هذه الوجوه، وأهمها، وأعمها؛ ذلك لأنه لا تخلو منه آية من كتاب الله تعالى، أما الوجوه الأخرى فليست كذلك، فهي مفرقة(٢) .

---

(١)أبو زهرة، محمد، المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي، ص٥٠.

(٢)عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن الكريم، ص٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الرابع: هل يشترط في المعجزة التحدي:

وقدكان البحث في إعجاز القرآن مما التفت إليه العلماء منذ القدم، محاولين فَهْم أمر عجيب حصل للعرب عند نزول القرآن الكريم، لم يكن هذا الأمر نتيجة طبيعية للحالة التي كانوا عليها، ذلكم هو عجز العرب الأقحاح الفصحاء عن الإتيان بمثل القرآن، وهم روّاد البيان وأرباب الفصاحة، فقد كانوا يستمعون إليه مشدوهين، مدهوشين من ذلك الكلام الذي بلغ شأواً بعيداً عن قُدَرِهم، على الرغم من أنه منزل بلغتهم وعلى أساليبهم في الكلام، ومصوغ من كلماتهم وألفاظهم التي يعرفونها، فما بالهم عجزوا عن صياغة سورة على نسقه، مع توفر الدواعي وشدة الحاجة لذلك (١).

فهذه النقطة (التحدي) هي إحدى نقاط الخلاف بين من قال إن الإعجاز البياني هو الوجه الوحيد من وجوه الإعجاز وبين من قال بتعدد وجوهه (النفسي، والغيبي، والتشريعي، والعددي،..).

وإذا نظرنا إلى أقوال العلماء في هذه المسألة نراها منقسمة إلى مذهبين:

المذهب الأول: هم الذين قالوا بأن التحدي ليس شرطاً في المعجزة (٢).

ومن أنصار هذا المذهب الإمام ابن حزم حيث يقول: "الادعاء بأن إحالة الطبيعة لا تكون آية حتى يتحدى فيها النبي الناس غير صحيح، وهي دعوى لا دليل عليها أصلا، لا من عقل ولا من كتاب ولا من سنة ويترتب على هذا القول أن حنين الجذع وإطعام النفر الكثير من

---

(١)توفر الدواعي:أن العرب كان لهم حظ وافر ونصيب وافٍ من القول، وهو وجه من وجوه الإعجاز عند الإمام الرماني: (ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة)وجهاً من وجوه الإعجاز عنده، ينظر: النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص(١٠٩)، وينظر في هذا المعنى ما قاله الإمام الخطابي، من أن العرب قد تركوا رصف الحروف إلى مقارعة السيوف؛ وما ذلك إلا لعجزهم، بيان إعجاز القرآن، ضمن(ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ص(٢١-٢٢)، وتحدث الشيخ عبد القاهر بالتفصيل عن أحوال العرب وأقوالهم الدلة على عجزهم، وسمّاها: دلالة الأقوال والأفعال ينظر: الرسالة الشافية، ضمن(ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ص١١٨-١٢٥.

(٢) انظر البيجوري، ابراهيم بن محمد، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ١٩٨٣م ص ١٣٨، والسائح، عبدالحميد، عقيدة المسلم، مطابع وزارة الأوقاف والشؤون والمقدّسات الإسلاميّة، عمّان، الأردن، ط١ ١٣٨٩ هـ، ١٩٧٨ م، ص٢٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطعام اليسير حتى شبعوا وهم مئون من صاع الشعير ونبع الماء من بين أصابع الرسول وإروائه ألفاً وأربعمائة من قدح صغير تضيق سعته عن شبر ليس بشي من ذلك"(١).

كماأجرى الأستاذ الدكتور فضل عباس دراسة لآيات التحدي من حيث تنزُّلُها وأسلوبها وسياقها،

وقرّر بعدها أن وجوه الإعجاز متعددة(٢)

المذهب الثاني: وهم الذين اشترطوا التحدي في المعجزة(٣).

واستدلوا بالطلب الموجود في آيات التحدي: يقول تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة: ٢٣)، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (هود: ١٣).

وعلى هذا فإن الوجه البياني (الإعجاز البياني) هو الذي تحدى به الرسول عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (الطور: ٣٤).

أما المعجزات الأخرى مثل المعجزات المادية والوجوه الأخرى من الإعجاز القرآني مثل (الغيبي والتشريعي والنفسي وغيرها) ليست من الوجوه لتي فيها تحدي، وإن كانت أمراً خارقاً للعادة ودالة على صدق النبي وأن القرآن ليس من كلامه (٤).

فلا يلزم من كون التحدي مقروناً بالإعجاز البياني أن يكون شرط التحدي مقروناً بكل وجه من وجوه الإعجاز.

---

(١) ابن حزم، أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، المحلى، تحقيق لجنة إحياء التراث، دار الجيل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، بيروت ٠٣٦/١

(٢)للتوسع، ينظر كتابه:إعجاز القرآن الكريم، ص٢٩-٣٣.

(٣) انظر محمد عبده، رسالة التوحيد، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١٠، ١٣٦١هـ، مصر، ص٩٩. وللعلم فقد وجدت خطأ في نسبة الكتاب إلى مؤلفه حيث ذكر كل من الشيخ السائح في كتابه (عقيدة المسلم) ص٢٢١، والدكتور محمود عبيدات في كتابة (العقيدة الإسلامية) ص٤٢٢ نسبة"رسالة التوحيد"إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والصواب نسبته إلى الشيخ محمد عبده، حيث قمت باستقراء مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولم أجد له كتاباً بعنوان(رسالة التوحيد) إلا أنني وجدت كتاباً آخر بعنوان(مجموعة رسائل التوحيد) ولم يذكر فيه هذه المسألة، ثم قمت بالرجوع إلى الكتاب المشار إليه فتحققت من مؤلفه فإذا هو محمد عبده، وأظن أن الشيخ محمود عبيدات قد استقى هذه المعلومة من كتاب السائح دون أن يتحقق من صحة نسبة الكتاب.

(٤)الخالدي، إعجاز القرآن البياني، ص٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد النظر في المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي وآراء العلماء وفي شروط المعجزة واختلافهم حول مسألة التحدي يتضح لنا أن المعجزة تنقسم إلى قسمين.

القسم الأول: فهو كل أمر خارق للعادة يجريه الله على يد نبيه تصديقاً له في دعوى النبوة، وإن لم يكن مقروناً بالتحدي.

وأما القسم الثاني: فهو الأمر الخارق للعادة الذي يجريه الله على يد نبيه تصديقاً له في دعوى النبوة ويكون مقروناً بالتحدي.

وإذا طبقنا هذه القاعدة على الإعجاز القرآني سنجد أن المعجزة في القسم الثاني هي التي تنطبق على الإعجاز البياني للقرآن الكريم، حيث إن الله -تعالى- تحدى العرب بأن يأتوا بمثل [illegible] مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة: ٢٣)، [illegible] مِثْلِهِ وَمُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (هود: ١٣)، [illegible] مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) (الطور: ٣٤).

وإن القسم الأول للمعجزة ينطبق على باقي وجوه الإعجاز؛ مثل الإعجاز التشريعي والإعجاز العلمي والإعجاز النفسي..).

فهذه الوجوه من الإعجاز لم يتحد بها رسول الله عليه الصلاة والسلام البشر ولا المشركين، وهي خارقة للعادة، فليس من الممكن أن يأتي رجل في جوف الصحراء بمسائل علمية لم يتوصل إليها إلا بعد قدومه بألف وأربعمائة سنة تقريباً، وليس في الممكن من رجل أمي أن يعرف ما في نفوس الكفار وأن يأتي بكلام يذهل عقولهم كما جاء القرآن الكريم، وهكذا في كل وجوه التشريع، فهي أمور خارقة للعادة سليمة من المعارضة تدل على صدق النبي عليه الصلاة والسلام وإن لم تكن مقترنة بالتحدي مثل المعجزات المادية له عليه الصلاة والسلام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: مقدمات في الإيجاز:

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الإيجاز في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: حد الإيجاز وعلاقته بالكلام المسجوع.

المطلب الثالث: ضروب وأغراض الإيجاز.

المطلب الرابع: الإيجاز القرآني وأبرز الكتب التي أشارت إليه أنه لون من الإعجاز.

المطلب الخامس: الفنون ذات الصلة بالإيجاز القرآني.

المطلب السادس: أصول وضوابط ومسوغات جعل الإيجاز أحد معالم الإعجاز القرآني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول: الإيجاز في اللغة والاصطلاح.

أولاً :الإيجاز في اللغة:

يقال كلامٌ جَزْلٌ أَيْ خفيفٌ جَزْلٌ وواجِزٌ ووَجِيزٌ ومُوجَزٌ ومُوجِزٌ والوَجْزُ: الوَحي، قال أَبو عمرو الوَجْزُ السريع العطاء ويقال وَجَزَ في كلامه وأَوْجَزَ وأَوْجَزْتُ الكلامَ قَصَرْتُه، وفي حديث جَرِير قال له عليه الصلاة والسلام إِذا قُلْتَ فأَوْجِزْ أَي اسْرع واقْتَصِرْ وتَوَجَّزْتُ الشيء مثل تَنَجَّزْتُه ورجل مِيْجاز يُوجِزُ في الكلام والجواب(٢).

الوَجْزُ الرجلُ السَّرِيع الحرَكة فيما أَخذ فيه وَجْزٌ أَيضاً الرَّجلُ السَّرِيعُ العَطاءِ قال رُؤْبَةُ :

لولا عَطاءٌ من كَرِيمٍ وَجْزِ ... يُعفِيكَ عافِيهِ وقَبْلَ النَّحْزِ (٣).

يأْتيكَ خيرُه عَفواً قبلَ السُّؤالِ والوَجْزُ المُقتصَدُ من الكلام والأَمْرِ (٤)، وتَوَجَّزَ الشيءَ وَجَّزَهُ والْتَمَسَهُ(٥).

وفي الحديث أنَّ رَجُلاً قال للرسول صلى الله عليه وسلم: أَوْصِنِي وأوجِزْ، أي: قُلْ لي كلاماً خفيفاً قصيراً أَحْفَظُهُ عنك فيه موعظةٌ لي، فقال: "إِذا قُمْتَ في صَلاتِكَ فَصَلِّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ ، وتَكَلَّمْ بِكَلامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَداً، وأَجْمِعِ الإِيَاسَ مِمَّا في أَيْدِي النَّاسِ "(٦).

فوعظه الرسولُ صلى الله عليه وسلم بهذه الفقراتِ الثلاث، وأَوْجَزَ له فيها.

---

(١) ذكره الخطيب التبريزي، محمد بن عبد الله، مشكاة المصابيح،المكتب الإسلامي – بيروت، الثالثة، ١٤٠٥ – ١٩٨٥م،تحقيق: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني رقم، ٥٢٢٦، (١٣٢/٣) ولم يحكم عليه وكذا ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، تحقيق:طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي،دون حكم أيضاً (٣٣٦/٥)

(٢) الزبيدي، تاج العروس٣٨٢٣/١

(٣) رؤبة، ديوان رؤبة، بيت رقم ١١٦.

(٤) الزبيدي، تاج العروس ٣٨٢٣/١

(٥) الفيروز أبادي، القاموس المحيط ٦٧٩/١

(٦)أحمد بن حنبل، أبو عبدالله الشيباني، مسند الإمام أحمد، مؤسسة قرطبة – القاهرة، رقم٢٣٥٤٥،الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها،وقال فيه إسناده ضعيف، وأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري،إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، دار الوطن، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م (٣٩٨/٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى هذا فالإيجاز لغة: اختصار الكلام وتقليل ألفاظه مع بلاغته، يقالُ أوجز الكلامَ ؛ إذا جعله قصيراً ينتهي من نطقه بسرعة،فالمادّة تدور حول التخفيف والتقصير في الألفاظ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً :الإيجاز في الاصطلاح:

ذهب الجرجاني والمناوي إلى أن الإيجاز أداء المقصود بأقل من العبارة المتعارفة.

والإيحاء: إلقاء المعنى في النفس بخفاء وسرعة(١).

أما ابن الأثير: فيرى أنه مختص بتقليل الألفاظ مع عمق في المعاني فيقول"وهو حذف زيادات الألفاظ وهو نوع من الكلام شريف لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة من سبق إلى غايتها وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلى ِ وذلك لعلو مكانهِ وتعذر إمكانه"(٢).

فلا يفهم من كلامه أن الألفاظ ليست على غاية من الأهمية، وإنما أراد التركيز على عمق المعاني في ذات اللفظ

لذا تراه يقول"والنظر فيه إنما هو إلى المعاني لا إلى الألفاظ؛ ولست أعني بذلك أن تهمل الألفاظ بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة بل أعني أن مدار النظر في هذا النوع إنما يختص بالمعاني فرب لفظ قليل يدل على معنىكثير ٍ ورب لفظ كثير يدل على معنىقليل ٍ ومثال هذا كالجوهرة الواحدة بالنسبة إلى الدراهم الكثيرة فمن ينظر إلى طول الألفاظ يؤثر الدراهم بكثرتها ومن ينظر إلى شرف المعاني يؤثر الجوهرة الواحدة لنفاستها، ولهذا سمى النبي عليه الصلاة والسلام: "الفاتحة أم الكتاب ِ"(٣). وإذا نظرنا إلى مجموعها وجدناميسيراً وليست من الكثرة إلى غاية تكون بها أم البقرة وآل عمران وغيرها من السور الطوال فعلمنا حينئذ أن ذلك الأمر يرجع إلى معانيها"(٤).

أما السكاكي فيصف الإيجاز فيقول: "الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة، وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضلٌ داخل في باب الهذر والخطل، وهما من أعظم أدواء الكلام، وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة"(٥).

وفي تفضيل الإيجاز يقول جعفر بن يحيى(١).لكتّابه: إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا.

---

(١) الجرجاني، التعريفات، (٥٩/١)، المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ١٤١٠هـ، ١٠٥/١

(٢)ابن الأثير، المثل السائر، ٦٨/٢

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) (٣٨٤/١٣)،بَاب مَا جَاءَ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ.

(٤)ابن الأثير، المثل السائر، ٦٨/٢

(٥) السكاكي، الصناعتين: الكتابة و الشعر ٥٣/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالمراد بـه الإيجـاز الـذي يـدل بـه بالألفـاظ القليلـة علـى المعـاني الكثيـرة؛ أي أن ألفاظـه جامعة للمعاني المقصودة على إيجازها واختصارها.

فإن قيل فما الفرق بين هذين القسمين اللذين ذكرتهما فإنهما في النظر سواء؟

"قلت في الجواب: إن الإيجاز هو أن يؤتى بألفاظ دالة على معنى من غير أن تزيد على ذلك المعنى، ولا يشترط في تلك الألفاظ أنها لا نظير لها، فإنها تكون قد اتصفت بوصف آخر خارج عن وصف الإيجازوحينئذ يكون إيجازاً "(٢).

فابن الأثير يرى أن الإيجاز له صورتان:

الأولى أن يؤتى بلفظ يدل على معنى من غير زيادة.

والثانية أن يأتي لفظ يدل على معنى ويزيد عليه معان أحرى خارجة عن ذلك المدلول.

فعلى ذلك فالإيجاز: التعبير عن أوسع وأدق المعاني بأقل الألفاظ.

أو نقول: هُو صياغة كلام قصير يدلُّ على معنىً كثير وافٍ بالمقصود، عن طريق اختيـار التعبيـرات ذات الـدَّلالات الكثيـرات، كالأمثـال والكليّـات مـن الكلمـات، أو عـن طريـق استخدام مجاز الحذف، لتقليل الكلمات المنطوقة، والاستغناء بدلالة القرائن على ما حُذِف، أو عن طريق استخدام ما بني على الإيجاز في كلام العرب، كالحصر، والعطف، والضمير، والتثنية، والجمع، وأدوات الاستفهام، وأدوات الشرط، وألفاظ العموم، وغير ذلك"(٣).

فإذا لم يكن الكلام وافياً بالدّلالة على المقصود كان الإيجافيه إيجازاً مُخِلاً ً، إذ رافق التقصير في الألفاظ تقصيرٌ في المعنى الذي أراد المتكلّم التعبير عنه.

أما الرماني فيرى أن الإيجاز وهو الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك.

---

(١) هو جعفر بن يحيى بن إبراهيم التميمي، أبو الفضل المعروف بابن الحكاك ولد ٤١٦ هـ وتوفي ٤٨٥ هـ، من العلماء بالحديث من أهل مكة، وكان يكتب الرسائل من أمير مكة ابن أبي هاشم إلى الخلفاء والملوك ويتولى قبض الاموال منهم، ويحمل كسوة الكعبة، سكن بغداد وقرئ عليه وتوفي بها، ينظر الذهبى، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، (١٢/٤) والزركلي، الأعلام، (١٣٠/٢)

(٢)ابن الأثير، المثل السائر، ٦٧/١

(٣) الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، (ص٤٨٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيقول"وإن من إعجاز القرآن الكريم ما نراه من حسن بيان، وعظيم أثر فلو أراد أحد من البشر أن ينظم كلاماً لرأيناه مليئاً بالعيوب وسوء التعبير، على خلاف نظم القرآن الكريم فإن عباراته موجزة وبالغة التعبير في آنٍ واحد"(١).

ولقد ضرب أروع الأمثلة للإيجاز(شمول المعاني بأقل الألفاظ) حيث يقول الإمام الرماني:(٢)

"والقرآن كله نهاية في الحسن والبيان، فمن ذلك قوله تعالى: كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ)(الدخان:٢٥/٢٧)."فهذا بيان عجيب يوجب التحذير من الاغترار بالإمهال" فكأنه أخذ يعد لك ما ترك هؤلاء القوم من عظيم الثمار و أطايبها من غير حصر، وشتى أنواع النعم لمجيئها منكرة، فقد وصف الله سبحانه وتعالى حال من اغتر بإمهال الله عز وجل وركن إلى الدنيا حتى فاجأته المنية، وترك خلفه زروعه وأمواله والنعم التي كانت تغدق من حوله، فجاء نص القرآن الكريم متغلغلاً إلى النفس موجباً التحذير والترويع من الاغترار بإمهال الله عز وجل بأوضح عبارة وعميق المعنى. وقال سبحانه(إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ)(الدخان:٤٠). ويقول تعالى(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ)(الدخان:٥١)."فهذا من أحسن الوعد والوعيد".

فلقد جاء النص القرآني مطمئناً نفوس المتقين ومنفراً ومخوفاً للطائفة الأخرى من يوم القيامة؛ حتى إذا سمعت النفس مثل هذه الآيات أثّرت فيها وحرصت على أن تكون من المتقين وتعد العدة ليوم الفصل والميقات.

وقال تعالى(أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ)(الزخرف:٥). "فهذا أشد ما يكون من التقريع"، فهو ملاحظ من استخدام كلمة الضرب واقترانها بكلمة الصفح ليدلل

---

(١) الرماني، النكت، ص٨٠.

(٢) هو العلامة، أبو الحسن، علي بن عيسى الرماني النحوي المعتزلي، أخذ عن: الزجاج، وابن دريد، وطائفة. وعنه: أبو القاسم التنوخي، والجوهري، وهلال بن المحسن، وصنف في التفسير، واللغة، والنحو، والكلام، وشرح"سيبويه"وكتاب"الجمل"، وله في الاشتقاق، وفي التصريف، وأشياء، وألف في الاعتزال"صنعة الاستدلال"سبع مجلدات، وكتاب"الاسماء والصفات"، وكتاب"الاكوان"وكتاب"المعلوم والمجهول"، له نحو من مئة مصنف، وكان أبو حيان التوحيدي يبالغ في تعظيم الرماني إلى الغاية، ويصفه بالتأله، والتنزه، والفصاحة، والتقوى، مات في جمادى الاولى سنة أربع وثمانين وثلاث مئة، عن ثمان وثمانين سنة، ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٦/٥٣٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على العمق الموجه لكفار قريش على عنادهم، ويوجه القرآن الكريم الداعية إلى الله بكيفية الحجاج للخصوم من الكفار والمشركين بأسلوب مؤثر في النفس فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٨-٧٩)، "هذا أبلغ ما يكون من الحجاج"، وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (الزخرف: ٣٩). فهذا أعظم ما يكون من التحسير، ويبين كيف أن الكافرين سيعذبون في جهنم، وهذا يدل على تأثير هذه في النفس وجعلها تشمئز من الكفر وتبتعد عنه لكي لا ينالها العذاب يوم القيامة، وقال تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨)، وهذا أدل دليل على العدل من حيث لم يقتطعوا عما يتخلصون به من ضرر الجرم، ولا كانت قبائحهم على طريق الجبر. وقال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧). وهذا أشد ما يكون من التنفير على الخلة إلا على التقوى،فتخبر أن الأخلاء المجرمين لن يتعرفوا على بعضهم يوم القيامة بل سيكونون أعداءً لبعضهم، فهذه نراها تعمل عملها في النفس وتؤثر به لكي لا تتخذ لها خليلاً إلا أن يكون صاحب تقوى يشجعها على عمل الخيرات لكي تفوز بالجنة"(١).

فهذه الآيات جميعها تدل دلالة واضحة على عظيم بيان القرآن الكريم، وسلاسة عباراته مع الفخامة في الألفاظ، والعمق في المعاني التي تحتويها هذه الألفاظ، حتى تغلغلت في النفس الإنسانية وأثرت فيها، وأظهرت سلطان إعجاز القرآن الكريم على سائر المخلوقات(٢).

---

(١) ينظر الرماني، النكت، ص١٠٦.

(٢) ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ (الزمر: ٥٦). فهذا أشد ما يكون من التحذير من التفريط. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فصلت: ٤٠). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (الشورى: ٤٤). وهذا أشد ما يكون من التحسير. وقال عز وجل: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الذاريات: ٥٢-٥٣). وهذا أشد ما يكون في التقريع من أجل التمادي في الأباطيل، وقال عز وجل: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (الرحمن: ٥١). هذا أشد ما يكون من الإذلال. وقال عز وجل: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (الرحمن: ٤٣). وهذا أشد ما يكون من التقريع، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥). وهذا أشد ما يكون من التحذير، وقال عز وجل: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الزخرف:٧١). وهذا أشد ما يكون من الترغيب، انظر الرماني،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: حد الإيجاز وعلاقته بالكلام المسجوع.

أولاً: حد الإيجاز ومقداره.

إن الناظر في كلام العلماء حول مقدار الكلام الذي يحمل صفة الإيجاز يجده غير مقيد بمقدار معين، بل هو شيء نسبي، والضابط لمقدار الإيجاز هو إيصال المعاني كاملة بأقل الألفاظ من غير حشو.

قال السكاكي: "أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي مثل جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني فيما بينهم، ولا بد من الاعتراف بذلك مقيسا عليه ولنسمه متعارف الأوساط وأنه في باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم؛ فالإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط والإطناب، هو أداؤه بأكثر من عباراته سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل(١).

فالاختصار لكونه من الأمور النسبية يرجع في بيان دعواه إلى ما سبق تارة وإلى كون المقام خليقا بأبسط مما ذكر أخرى وفيه نظر لأن كون الشيء نسبيا لا يقتضي أن لا يتيسر الكلام فيه إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي ثم البناء على متعارف الأوساط والبسط الذي يكون المقصود جديرا به رد إلى جهالة فكيف يصلح للتعريف والأقرب أن يقال المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية أصل المراد بلفظ مساو له أو ناقص عنه واف أو زائد عليه لفائدة والمراد بالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصا

ويضرب على ذلك الإمام القزويني مثالاً :

قول أبي الطيب

(ولا فضل فيها للشجاعة والندى... وصبر الفتى لولا لقاء شعوب) (٢).

فإن لفظ الندى فيه حشو يفسد المعنى لأن المعنى أنه لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر والندى لولا الموت وهذا الحكم صحيح في الشجاعة دون الندى لأن الشجاع لو علم أنه يخلد في الدنيا لم يخش الهلاك في الإقدام فلم يكن لشجاعته فضل بخلاف الباذل(٣).

النكت، ص١٠٦.

(١) السكاكي، مفتاح العلوم، (١٢٢/١)

(٢) ابن سيده، شرح المشكل من شعر المتنبي،(٥٥/١)

(٣)الخطيب القزويني، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق الشيخ بهيج غزاوي،دار إحياء العلوم، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، بيروت ١٧٠/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الإمام ابن الأثير، فقد سطرها بكل صراحة ووضوح، أن حد الإيجاز: هو دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه، والتطويل: هو ضد ذلك وهو أن يدل المعنى بلفظ يكفيك بعضه في الدلالة عليه كقول الهجير السلولي من أبيات الحماسة

طَلُوعُ الثَّنَايَا بِالْمَطَايَا وَسَابِقِيٌّ بِغَايَةِ مَنْ يَبْتَدِرْهَا يُقَدَّمِ (١).

فصدر هذا البيت فيه تطويل لا حاجة إليه، وعجزه من محاسن الكلام المتواصفةِ وموضع التطويل من صدره أنه قال (طلوع الثنايا بالمطايا)، فإن لفظة المطايا فضلة لا حاجة إليهاِ وبيان ذلك أنه لا يخلو الأمر فيها من وجهين إما أن يريد أنه سابق الهمة إلى معالي الأمورِ ، كما قال الحجاج على المنبر عند وصوله العراق

أَنَا ابْنُ جَلا وَطَلاَّعُ الثَّنَايَا... متىأضعِ العِمامةَ تعرفوني)(٢).

أي أنا الرجل المشهور السابق إلى معالي الأمور فإن أراد الهجير بقوله (طلوع الثنايا) ما أشرت إليه فذكر المطايا يفسد ذلك المعنى؛ لأن معالي الأمور لا يرقى إليها بالمطاياِ(٣)وإن أراد الوجه الآخرِ وهو أنه كثير الأسفار، فاختصاصه الثنايا بالذكر دون الأرض من المفاوز وغيرها، لا فائدة فيهِ وعلى كلا الوجهين، فإن ذكر المطايا فضلة لا حاجة إليهِ وهو تطويل بارد غث(٤).

وقد ختم كلامه بقول: "فاعلم _أيها الناظر في كتابي هذا_ أن التطويل هو زيادات الألفاظ في الدلالة على المعاني ومهما أمكنك حذف شيء من اللفظ في الدلالة على معنى من المعاني فإن ذلك اللفظ هو التطويل بعينه"(٥).

وعلى ما سبق ذكره، فكل كلام خلا من الحشو، وأعطى أوسع مدلول بأقل لفظ، عد من موجز البيان، دون تحديد قدر معين من الألفاظ أو عدد معين من المعاني لتلك الألفاظ.

---

(١)أبو تمام، ديوان الحماسة، (٢٨٠/٢) ذكره ابن الأثير باسم الهجير والصواب العجير كما هو موثق في ديوان الحماسة وهوابن عبد الله بن عبيدة يصل نسبه إلى سلول بن مرة شاعر مقل إسلامي من شعراء بني أمية وجعله محمد بن سلام في الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام وكان كريما جوادا تصله الملوك والأمراء وكان له ابن عم إذا علم بأضياف عنده لم يدعهم حتى يأتي بجزور كوماء فينحرها عند بيته فيبيتون بأحسن حال ثم مات فقال العجير يرثيه بهذه الأبيات ينظرديوان الحماسة، (٣٨٠/١)

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الفكر ، بيروت، الطبعة الثانية، تحقيق: سمير جابر،، (١٤٩/١٣)

(٣) (المطية) من الدواب ما يمتطى (تذكر وتؤنث) فالبعير مطية والناقة مطية، ينظر إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، المعجم الوسيط، (٢ / ٨٧٦)

(٤)ابن الأثير، المثل السائر، ٧٤،٧٠/٢ بتصرف.

(٥)ابن الأثير، المثل السائر، ٧٤/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً :علاقة الإيجاز بالكلام المسجوع.

العلاقة بين الإيجاز والكلام المسجوع هي علاقة إشتراك واختلاف؛ فقد حوى القرآن الكريم العديد من الأمثلة والنماذج الدالة على الإزدواج بين آياته بالألفاظ كقول الله تعالى: "الحمدُ لله الّذي خلق السّموات والأرض وجعل الظمات والنور"(الأنعام:١). وقوله عز وجل: "أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم"(الأعراف:١٠٠). وقوله تعالى: "لستُم بآخذيه إلاّ أن تغمضوا فيه"(البقرة:٢٦٧). وقوله تعالى: "يا أيها الناس اعبدوا ربَّكم الذي خلقكم والذين من قبلكم"(البقرة:٢١) . إلى غير ذلك من الآيات.

وما زوج بينه بالفواصل مثل قوله تعالى: "فإذا فرغت فانصب، وإلى ربك فارغب"(الشرح:٧)،وقوله سبحانه: "فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر"(الضحى:٩)، وقوله عز وجل"والعصر إنَّ الإنسان لفي خسرٍ "(العصر:١)، وقوله جل ذكره: "وأنَّه هو أضحك وأبكى وأنَّه هو أمات وأحيا"(النجم:٤٢)، وهذا من المطابقة التي لا تجد في كلام الخلق مثلها حسناً ولا شدة اختصار، على كثرة المطابقة في الكلام(١). وكذلك جميع ما في القرآن مما يجرى على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعنى، وصفاء اللفظ من دون تكلف أو تعقيد.

فعلى ذلك يقول ابن الأثير: "فإن قيل فإذا كان السجع أعلى درجات الكلام على ما ذهبت إليه فكان ينبغي أن يأتي القرآن كله مسجوعا وليس الأمر كذلك بل منه المسجوع ومنه غير المسجوع، قلت في الجواب إن أكثر القرآن مسجوع حتى إن السورة لتأتي جميعها مسجوعة وما منع أن يأتي القرآن كله مسجوعا إلا أنه سلك به مسلك الإيجاز والاختصار والسجع لا يؤاتي في كل موضع من الكلام على حد الإيجاز والاختصار فترك استعماله في جميع القرآن لهذا السبب"(٢).

ولا معارضة بين وجود مثل هذا الازدواج أوالسجع في القرآن الكريم وبين قوله صلى الله عليه وسلم"أسجعاً كسجع الكهان"(٣)؛ لأن التكلف في سجعهم فاش، ولو كرهه عليه الصلاة

---

(١) أبو هلال العسكري، الصناعتين٧٩/١.

(٢)ابن الأثير، المثل السائر، ١٩٩/١.

(٣) أبو داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود، مسند أبي داود الطيالسي، المتوفى سنة ٢٠٤ هـ، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م، رقم ٧٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والسلام لكونه سجعا لقال:أسجعاً ،ثم سكت، وكيف يذمه ويكرهه، وإذا سلم من التكلّف، وقد برئ من التعسّف لم يكن في جميع صفوف الكلام أحسن منه(١).

وثمة حكمة أخرى لاحتواء القرآن على نوعي الكلام، وذلك أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع، وإنما تضمن القرآن غير المسجوع؛لأن ورود غير المسجوع معجزاً أبلغ في باب الإعجاز من ورود المسجوع،ومن أجل ذلك تضمن القرآن القسمين جميعاً

ومعلومأن للسجع سراً هو خلاصته المطلوبة، فإن عري الكلام المسجوع منه فلا يعتد به أصلاً ، وهذا شيء لم ينبه عليه غير قليل من العلماء، ومنهم الإمام ابن الأثير حيث يقول: "سأبينه وأمثل لك مثالاً إذا حذوته أمنت الطاعن والعائب، وقيل في كلامك ليبلغ الشاهد الغائب والذي أقوله في ذلك هو أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها، فإن كان المعنى فيهما سواء فذاك هو التطويل بعينه؛ لأن التطويل إنما هو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها وإذا وردت سجعتان يدلان على معنى واحد كانت إحداهما كافية في الدلالة عليه وجل كلام الناس المسجوع جار عليه(٢).

ومن الأمثلة على ذلك"الحمد لله الذي لا تدركه الأعين بألحاظها ولا تحده الألسن بألفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا تهرمه الدهور بكرورها".

وقوله بعد ذلك في الصلاة على النبي "لم ير للكفر أثرا إلا طمسه ومحاه ولا رسما إلا أزاله وعفاه..." "فلا فرق بين مرور العصور وكرور الدهور وكذلك لا فرق بين محو الأثر وإعفاء الرسم" (٣)، ويحتمل أن يقال إنما ذكره صاحب المثل السائر ذلك لتوافق القرينتين في جميع المعنى(٤).

ومن كلامه أيضا"وقد علمت أن الدولة العباسية لم تزل على سالف الأيام وتعاقب الأعوام تعتل طورا وتصح أطوارا وتلتاث مرة وتستقل مرارا من حيث أصلها راسخ لا يتزعزع وبنيانها ثابت لا يتضعضع"

---

(١) للمزيد، ينظر الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، إعجاز القرآن، دار المعارف – القاهرة، تحقيق: السيد أحمد صقر، ص٥٨.

(٢)ابن الأثير، المثل السائر، ١٩٩/١.

(٣)بتصرف ابن الأثير، المثل السائر، ٢٠٢/١.

(٤) القلقشندي، أحمد بن علي،صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ تحقيق: د.يوسف علي طويل، ٣٥٢/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الأسجاع كلها متساوية المعاني فإن الاعتلال والالتياث والطور والمرة والرسوخ والثبات كل ذلك سواء(١).

فخلاصة الكلام أن القرآن حوى في داخله من الكلام ما يعلو في مرتبته من حيث فخامة اللفظ وسعة المعنى، فتارة يكون على نسق واحدً مثل سورة الضحى ، العصر، الإخلاص،...، و تارة يكون على غير نسق واحد مثل الطوال، ومرجع ذلك لتحقق البغية من النص القرآني وهو البيان، فليس الأصل هو السجع، وإنما كان منه ماجاء على نسق واحد ومنه ما اختلف في النسق وكل ذلك تابع للأصل الذى هدف القرآن لبيانه، وهو غزارة المعاني بأقل الألفاظ.

(١) ابن الأثير، المثل السائر، ٢٠١/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث: ضروب الإيجاز وأغراضه.

أولاً: ضروب الإيجاز.

لابد من العلم في بداية الأمر أن الكلام عن أنواع الإيجاز وضروبه يحمل ثلاثة معان: (١).

الأول: ما يختص بالمعنى الإجمالي، وهو ما يعود به الإيجاز إلى أمر ظاهر، وهو الذي تشير إليه كتب البلاغة عند كلامها عن الإيجاز وهي

١. إيجاز الحذف:

وهو الإيجازالذي يكون قِصَرُ الكلام فيه بسبب حذف بعض الكلام اكتفاءً بدلالة القرائن على ما حُذف.

يقول ابن الأثير في حقه: "الإيجاز بالحذف يتنبه له من غير كبير كلفة في استخراجه لمكان المحذوف منه"(٢).

ومن الأمثلة عليه قول الله عزّ وجلّ في النحل في عرض لقطة من أحداث يوم وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً ...) (النحل:٣٠)، أي: أنزل ربنا خيراً .

إنّ إجابتهم تقتصر على ذكر المفعول به فقط، وهو لفظُ "خيراً" وقد دلّت قرينة المقال في سياقه على المحذوف.

وقول الله عزّ وجلّ في سورة الذاريات: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ)(الذاريات:٢٤).

هؤلاء الضيوف كانوا الملائكة الذين بشّروه بغلام عليم من زوجته سارة فلمّا بَرُوهُ بأنَّهُمْ ذاهبون لإهلاك قَوْم لوط.

وقد جرى في تحيّتهم له حذف، وفي رَدّ إبراهيم عليهم حذف أيضاً ودَلَّ على المحذوف قرينة الحال، وتقدير الكلام إذا رَدَدْنا المحذوفات كما يلي:

قالوا سلاماً عليك سَلاَماً .

سَلامٌ عليكم أَنْتُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُون.

---

(١) سأمر على هذه الضروب بهذا الفرع والفرع الثاني مرور الكرام؛ خشية التكرار والإطالة حيث أنها ستعرض لاحقاً، كل في فصله الخاص له إن شاء الله تعالى.

(٢) ابن الأثير، المثل السائر، (٧٤/٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قول الله عزّ وجلّ في أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...) (المائدة:١).

وقوله تعالى في الإسراء: (إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً)(الإسراء:٣٤).

إنّ العقودَ والْعُهُودَ التزاماتٌ بالقول يُنْشِئُها المتعاقدون والمتعاهدون، وترتبط هذه الالتزامات الإِنشائية بإبرامها بالقول، فكيف يُطالِبُ اللهُ عزّ وجلّ بالْوَفاء بها وقد استوفَتْ شروط إبرامها؟.

الدّليل العقلي يَهْدِي إلى أنّ المطلوبَ الْوَفَاءُ بمقتضاها، لأنّ العقود والعهود تُبْرَمُ بالأَقوال ثم على مَنْ أبْرَمَها أن يلتزم بمقتضاها.

فالكلام إذن على تقديرِ: وفُوا بمقْتَضَى العقود، وأوفوا بمقتَضَى العهد. والدليل الذي دلّ على المحذوف الاقتضاء العقلي. (١).

يقول أبو هلال العسكري: "وأما الحذف فعلى وجوه، منها أن تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه وتجعل الفعل له، كقوله الله تعالى: "واسأل القرية"، أي أهلها.

وقوله تعالى: "وأشربوا في قلبوبهم العجل"، أي حبّه وقوله عز وجل: الحجُّ أشهرٌ معلومات"، أي وقت الحج وقوله تعالى: بل مكرُ الليلِ والنهار"، أي مكركم فيهما. (٢).

٢. القصر والمساواة.

فالمساوة: ما ساوي لفظه ومعناه ويسمى التقدير أيضاً، والقصر: ما زاد معناه عن لفظه، فأما الإيجاز بالتقدير، فإنه الذي يمكن التعبير عن معناه بمثل ألفاظه وفي عدتها(٣).

وهذا من أبدع وأعْجَبِ الإيجاز الْقِصَرِ وطريقُه اختيار الألفاظ والتعبيرات ذوات الدَّلالات العامَّات الشّاملات.

ومثاله قول الله عزَّ وجلَّ: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة:١٧٩).

إنّ جُمْلَةَ: (فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) من أبْدع وأتْقَنِ الإيجاز الْقِصَرِ الذي لا حَذْف فيه، إنّما فيه حُسْنُ انتقاء الكلمات، مع اتقان الصياغة، فهي على قِصَرِ ها وقلّةِ ألفاظها تَدُلُّ على معنىً كثيرٍ جِدّاً.

وطريق الإيجاز فيها اختيار الألفاظ ذوات الدَّلالات العامَّاتِ الشاملات.

---

(١) الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، (ص٤٩٨)

(٢)أبو هلال العسكري،الصناعتين: الكتابة و الشعر، (٥٤/١)

(٣) ابن الأثير، المثل السائر، ١٠٧/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد اشتغل البلاغيّون في تحليل هذه العبارة القرآنية لاكتشاف عناصر إيجازها البديع المتقَن، ولمقارنتها بما كان لدى فصحاء العرب من عبارة مناظرة كانوا يردّدونها ويعتبرونها من أقصر الْكَلمِ وأوجزه، وهي قولهم: "القتْلُ أذْفَى للقتل".

وفيما يلي أبرز الفروق:

١.إنّ كلمة "القِصَاص" كلمة عامّة تشمل القتل بالقتل، والقطع بالقطع، والجروح بالجروح، وتدخلُ فيها كُلُّ تفصيلات الجنايات ممّا يتعلّق بذوات الأحياء من الناس، أنفسِهِمْ فما دون ذلك.

٢.وإنّ كلمة "حياة" تشمل حياة النفس، وحياةَ بعْضٍ من أبعاض الجسد الذي إذا انقطع مات، فيكون حاله كحال كلّ الجسد إذا ماتت النفس، وتنكير لفظ "حياة" يدلُّ على أصل بقاء الحياة للنفس، ويدُلُّ على نوع نفيس من أنواع الحياة يتَمنّاه الأحياء، وهو نوع الحياة الآمنة، التي لا خوف فيها ولا قلَقَ، والذي يتحقّق بتقرير حكم القصاص وتنفيذه، وذلك لأنّ من تُحَدِّثُه نفسُهُ بالعدوان على فردٍ أو أكثر من أفراد المجتمع في كلّ النفس، أو في بعض أعضاء الجسد، فإنَّ خوفه من القصاص يروعُه فيكُفُّ عن ارتكاب الجريمة، وبهذا تَقِلُّ جرائم القتل والقطع والجروح في المجتمع إلى أدنى الحدود، فيعيش أفراد المجتمع مطمئنينَ حياةً آمِنة.

وبالمقارنة بين العبارة القرآنية: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) وبين أوجز عبارة مشابهة كان العرب يردِّدونها، وهي قولهم: "الْقَتْلُ أذْفَى لِلْقَتل" ظهر ما يلي:

(١)إنّ حروف العبارة القرآنية: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ} أقل من عبارة العرب: "الْقَتْلُ أذْفَى للقتل".

(٢) العبارة القرآنية ذكرت "القِصَاصَ" فعمَّت كلَّ ما تُقَابَلُ به الجناية على الأنفس فما دون الأنفس من عقوبة مُمَاثلة، وحدّدَتِ الأمر بأنْ يكون عقوبة لعمل سبق، ودلّت على مبدأ العدل،أمّا عبارة العرب فقد ذكرت القتل فقط، ولم تقيّده بأن يكون عقوبة، ولم تُشِرْ إلى مبدأ العدل، فهي قاصرة وناقصة.

(٣)العبارة القرآنية نصَّتْ على ثبوت الحياة بتقرير حكم القصاص.

أما عبارة العرب فذكرت نَفْي القتل، وهو لا يَدُلُّ على المعنى الذي يَدُلُّ عليه لفظ "حياة".

(٤) العبارة القرآنية خالية من عيب التكرار، بخلاف الأخرى.

(٥) العبارة القرآنية صريحة في دلالتها على معانيها، مستغنية بكلماتها عن تقدير محاذيف.

بخلاف عبارة "العرب فهي تحتاج إلى عدّة تقديراتٍ حتى يَستقيم معناها، إذْ لا بُدَّ فيها من ثلاثة تقديرات، وهي كما يلي:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"القتلُ" صَاصاً أَدْفَى من تركهِ القَتْلِ "عمْداً" وعدواناً .

(٦)في العبارة القرآنية سَلاَسة، لاشتمالها على حروف متلائمة سهلة التتابع في النطق.

أمّا عبارة "العرب"ففيها تكرير حرف القاف المتحرِّك بين ساكنين، وفي هذا ثقل على الناطق.

(٧) في العبارة القرآنية من البديع "الطباق" بين لفظتي: القصاص والحياة.

(٨)لعبارة القرآنية خالية من عيب إيهام التناقض، إذْ الموضوع تشريع لا يحتمل مثل هذا الإِيهام الذي قد يَحْسُنُ في موضع آخر، كالمدح والذّمّ.

فظاهر عبارة "القتل أنفى للقتل"متناقض، ولا يستقيم المعنى، إلاَّ بملاحظة المقدَّرات المحذوفة من اللفظ،إلى غير ذلك من دقائق يكشفها المحلّل الخبير بتحليل دلالات الكلام(١).

ثانياً: هو ما يختص بالمعنى التفصيلي، الذي يدل دلالة مباشرة على الإيجاز، والذي يشتمل على أبواب الإيجاز المباشرة، وهو ما يعود فيه الإيجاز إلى اشتمال اللفظ القليل المعاني الغزيرة، فمنها ما يعود إلى إختيار الألفاظ الجامعة للمعاني، ومنها ما يعود إلى طبيعة النظم الذي يلزم منه استيعاب المعاني الكثيرة ولو كان على غير ما جاء به لاحتاج المتكلم إلى ألفاظ أكثر، ومن هذه الأساليب:

١. الحذف والذكر.
٢. الاحتباك.
٣. الاكتفاء.
٤. الفجوة القرآنية المقصودة أو النقلة في القصة القرآنية.
٥. الحصر والقصر.
٦. التضمين(٢).

فقد تعرض لهذه الأبواب أهل البلاغة والبيان القرآني معتبرينه من ألوان البيان والبلاغة دون إبرازه كلون من ألوان الإيجاز القرآني، حيث كان دور الباحث في جمع فروع هذا العلم، ومحاولة الاستنباط بعض القواعد التي لم يذكرها علماء الفن المختصين، وتأصيل كونه من

---

(١) ينظر الرماني، النكت، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص٧٦_٧٧، والميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها،(٤٩٠/١).

(٢) القسم الأول والثاني هي الفنون هي التي سيتعرض لها الباحث بالدراسة والبحث لدلالاتها المباشرة على الإيجاز ولتفصيلها لفنونه وألوانه ومعانيه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معالم الإيجاز القرآني وتوضيح أثره في إعجاز القرآن الكريم، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية التي تخدم وتوضح الفكرة قدر الإمكان(١).

ثانياً: أغراض الإيجاز.

لعله من أهم الأمور المترتبة على معرفة أنواع الإيجاز وضروبه في القرآن الكريم، البحث في الثمرة المترتبة عليه، والغاية المنشودة من أثره، في الكشف عن إعجاز القرآن الكريم، وفي كل باب من أبواب الإيجاز لابد من التطرق لغايته، ويكفى في هذا المبحث إعطاء نظرة شمولية حول هذا الحقل المعرفي البلاغي الإعجازي الخصب، حيث يرى القزويني أن الإيجاز يكون لأمرين:

الأول: أن يحذف لمجرد الاختصار.

كقوله تعالى(وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون)(يس:٤٥) أي أعرضوا بدليل قوله بعده(إلا كانوا عنها معرضين)(يس:٤٦) وكقوله تعالى(ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى)(الرعد:٣١) أي لكان هذا القرآن وكقوله تعالى(قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم)(الأحقاف:١٠) أي ألستم ظالمين بدليل قوله بعده(إن الله لا يهدي القوم الظالمين)(الأحقاف:١٠)

الثاني أن يحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن فلا يتصور مطلوبا أو مكروها إلا يجوز أن يكون الأمر أعظم منه ولو عين شيء اقتصر عليه وربما خف أمره عنده.

كقوله تعالى:(وسيق الذي اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)(الزمر:٣٩)، وكقوله تعالى:(ولو ترى إذ

---

(١) هنالك معنً ثالث وهو ما يختص بمظان الإيجاز غير مباشرة، وهي الدلالات البلاغية التي تفضي بمعانيها إلى الإيجاز ولا تدل عليه مباشرةً مثل التعريف والتنكير والتقديم والتأخير والعدول والالتفات والمضمرات والفاصلة القرآنية ودلالات حروف المعاني ودلالات النداء ودلالات أسماء الإشارة ودلالات الأسماء الموصولة والنص بالعبارة والنص بالإشارة الفقهية أو الصوفية ودلالة السياق، والقشرة اللفظية، ومعاني الألفاظ القرآنية كأن تقول العزيز هو القوي القاهر، فتحتاج هذه الدلالات بهذا العرض لرسائل جامعية أخرى لإثبات أثرها في الإيجاز القرآني الذي هو محور الإعجاز عند معظم العلماء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقفوا على النار)(الأنعام:٢٧)، وكقوله تعالى:(ولو ترى إذ وقفوا على ربهم)(الأنعام:٣٠)، وكقوله تعالى:(ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم)(السجدة:١٢).

وقال السكاكي رحمه الله: "ولهذا المعنى حذفت الصلة على العموم قصدا على تفظيع حال المجرمين وإن قد بلغت من الظهور ما بلغت، حيث يمتنع خفاؤها ألبتة فلا تختص رؤية راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب"(١).

و كقوله تعالى(لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل)(الحديد:١٠)، أي ومن أنفق من بعده وقاتل بدليل ما بعده ومن هذا الضرب قوله تعالى:(رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا)(مريم:٤)، لأن أصله يا رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس مني شيبا.

وبين السكاكي أن في هذه لطائف يتوقف بيانها على النظر في أصل المعنى ومرتبته الأولى، ثم أفاد أن مرتبته الأولى يا ربي قد شخت فإن الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس، ثم تركت هذه المرتبة لتوخي مزيد التقرير إلى تفصيلها في ضعف بدني وشاب رأسي، ثم ترك التصريح بضعف بدني إلى الكناية بوهنت عظام بدني لما سيأتي أن الكناية أبلغ من التصريح، ثم لقصد مرتبة رابعة أبلغ من التقرير بنيت الكناية على المبدأ فحصل أنا وهنت عظام بدني، ثم لقصد مرتبة خامسة أبلغ أدخلت إن على المبتدأ فحصل إني وهنت عظام بدني، ثم لطلب تقرير أن الواهن عظام بدنه قصد مرتبة سادسة وهي سلوك طريقي الإجمال والتفصيل فحصل إني وهنت العظام من بدني ثم لطلب مزيد اختصاص العظام به قصد مرتبة سابعة، وهي ترك توسيط البدن فحصل إني وهنت العظام مني ثم لطلب شمول الوهن العظام فردا فردا قصدت مرتبة ثامنة وهي ترك الجمع إلى الإفراد لصحة حصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل فرد فرد فحصل ما ترى(٢).

وهكذا تركت الحقيقة في شاب رأسي إلى الاستعارة في اشتعل شيب رأسي لما سيأتي أن الاستعارة أبلغ من الحقيقة ثم تركت هذه، المرتبة إلى تحويل الإسناد إلى الرأس وتفسيره بشيبا لأنها أبلغ من جهات.

إحداها: إسناد الاشتعال إلى الرأس لإفادة شمول الشيب الرأس: إذ وزان اشتعل شيب رأسي واشتعل رأسي شيبا وزان اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي نارا والفرق بينٌ ٌ (٣).

---

(١)السكاكي، مفتاح العلوم، (٧٨/١)

(٢) السكاكي، مفتاح العلوم بتصرف٧٨/١، وأصله عند القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة،١٨٠/١.

(٣) هكذا في الأصل ولعل الصواب إذ وازن اشتعل شيب رأسي واشتعل رأسي شيبا، ووازن اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي نارا والفرق بينٌ ٌ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثانيتها: الإجمال والتفصيل في طريق التمييز

وثالثها: تنكير شيبا لإفادة المبالغة ثم ترك اشتعل رأسي شيبا لتوخي مزيد التقرير إلى اشتعل الرأس مني شيبا على نحو وهن العظم مني ثم ترك لفظ مني لقرينة عطف اشتعل الرأس على وهن العظم مني لمزيد التقرير وهو إيهام حوالة تأدية مفهومه على العقل دون اللفظ ثم قال عقيب هذا الكلام واعلم أن الذي فتق أكمام هذه الجهات عن أزاهير القبول في القلوب هو أن مقدمة هاتين الجملتين وهي رب اختصرت ذلك الاختصار بأن حذفت كلمة النداء وهي يا وحذفت كلمة المضاف إليه وهي ياء المتكلم واقتصر من مجموع الكلمات على كلمة واحدة فحسب وهي المنادى والمقدمة للكلام كما لا يخفى على من له قدم صدق في نهج البلاغة نازلة منزلة الأساس للبناء (١)، فيلحظ كم حوت هذه الجملة القرآنية من المعاني الثانية التي ترتبت على على ما فيها من تقديم وتأخير(الرأس شيباً) و استعارة (اشتعل) وتعريف وتنكير(الرأس وشيباً) فكل ذلك أفضى مزيد من المعاني التي لا يمكن لغير القرآن أن يحويها وبذلك الدليل الأكبر على ما فيه من إعجاز وبيان.

(١) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ١/١٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الرابع: الإيجاز القرآني والكتب التي أشارت إليه أنه لون من ألوان الإعجاز:

أولاً: من أشار إلى الإيجاز القرآني من الأقدمين:

لعل معظم من كتب في إعجاز القرآن الكريم، قد أشار إلى هذا اللون من الإعجاز القرآني، وفي هذا المطلب سيسلط الباحث النظر على أبرز الكتب التي أشارت له، فقد أشار لهذا الوجه من الإعجاز الجاحظ وهو يتحدث عن وفرة المعاني في الجملة القرآنية ذات الألفاظ القليلة "فجمع بقوله (أخرج منها ماءها ومرعاها)(النازعات:٣١) النجم والشجر والملح واليقطين والبقل والعشب فذكر ما يقوم على ساق وما يتفنن وما يتسطح وكل ذلك مرعى ثم قال على النسق (متاعا لكم ولأنعامكم) (النازعات:٣٣) فجمع بين الشجر والماء والكلأ والماعون كله لأن الملح يكون من الماء وتكون النار من الشجر وقال تبارك وتعالى (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون)(يس:٨٠) وقال (أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشاتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين)(الواقعة:٧٣)"[١].

كما أشار له الباقلاني (٣٧٢هـ) في سياق حديثه عن الوجه الثالث لإعجاز القرآن فيقول: "الوجه الثالث: أنه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه، والذي أطلقه العلماء هو على هذه الجملة ونحن نفصل ذلك بعض التفصيل ونكشف الجملة التي أطلقوها، فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه:

منها ما يرجع إلى الجملة وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه - خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم و ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، فهذا إذا تأمله المتأمل تبين - بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم - أنه خارج عن العادة وأنه معجزوهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن وتميز حاصل في جميعه..."[٢].

ثم ضرب لذلك أمثلة ومنها عند تكلمه عن التضمين في قوله تعالى:(بسم الله الرحمن الرحيم)، فيقول: "التضمين كله إيجاز وذكر أن التضمين الذي تدل عليه دلالات القياس أيضا إيجاز

---

(١) بتصرف واسع الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، صعب – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨،(ص ٤٠٧)

(٢) الباقلاني، اعجاز القرآن، (٣٥/١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و بسم الله الرحمن الرحيم من باب التضمين لأنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تبارك وتعالى أو التبرك باسمه، وكذا المبالغة فهي الدلالة على كثرة المعنى وذلك على وجوه

منها مبالغة في الصفة المبينة لذلك كقولك رحمان عدل عن راحم"[١].

كما أشار لهذا الوجه الإمام الخطابي (٣٨٨هـ) في رسالته (بيان إعجاز القرآن الكريم)، حيث ختم دراسته التحليلية بقوله: "إنما صار القرآن الكريم معجزاً ، لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، متضمنا أصح المعاني ..، ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع من شتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قوى البشر"[٢].

كما أشار لهذا الوجه الإمام الرماني (٣٨٦هـ) في رسالته (النكت في إعجاز القرآن الكريم)، عند حديثه عن بلاغة الجملة والقرآن: "في الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)(البقرة:١٧٩) "إنّما فيه حُسْنُ انتقاء الكلمات، مع اتقان الصياغة، فهي على قِصَرِها وقلّةِ ألفاظها تَدُلُّ على معنىً كثيرٍ جِدّاً " [٣]، أما الجرجاني (٤٧٣هـ) فأثبت هذا الوجه من الإعجاز في غير موضع، فأشار إليه في رسالته (الشافية) بعد أن أثبت تسليم العرب تحت عنوان (دلالة الأقوال) فذكر قصة ابن المغيرة وعتبة بن ربيعة وبين كيف أثر القرآن في نفوسهما، وقامت الدواعي على المعارضة ومع ذلك لم يعارضوه، وبذلك يثبت عجزهم، كما أشار إليه خلال إبراز لمحاولات من أخذ يبحث في جوانب القرآن من حيث إعجاز، ثم توصل إلى نظريته المعروفة النظم، وهي التي تنص على سعة المعاني مع دقة الألفاظ مع حسن الترتيب[٤]، وهذا هو غاية الإيجاز،كما أثبته في دلائل إعجاز عند حديثه عن سلامة الحروف وأنها من صور الإيجاز والإعجاز للقرآن الكريم، فيقول: "ومن الإيجاز قوله تعالى: (مِنْ قومٍ خِيانةً فانْبذْ إليهم عَلى سَوَاءٍ)وقوله تعالى: ولا يُنْبئُك مِثْلُ خَبِيرٍ)وقوله: (بِهم مِنْ خَلْفَهُمْ).وتراهم على لسانٍواحدٍ في أن المجازَ والإيجازمن الأركانفي أمرِ الإعجاز[٥].

---

(١) الباقلاني، اعجاز القرآن، (٢٧٣/١)

(٢) الخطابي، بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،ص٢٧.

(٣) ضربت أمثلة من كلام الرماني عند معنى الإيجاز إصطلاحاً عند الرماني، فلا داعي للتكرار، ينظر الرماني، النكت، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص٧٦_٧٧.

(٤) الجرجاني، الشافة، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص١٢٢.

(٥) الجرجاني، دلائل الإعجاز،٣٧٩/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعنون القاضي عياض (ت٥٤٤هـ) لهذا اللون من الإعجاز في الباب الرابع بعنوان"فصل الوجه الثاني من إعجازه: صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب"فيقول: "وأنت إذا تأملت قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة)(البقرة:١٧٩) وقوله تعالى:(ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب)(سبأ:٥١) وقوله تعالى:(ادفع بالتى هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم)(فصلت:٣٤) وقوله تعالى:(وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى)(هود:٤٤)، وقوله تعالى:(فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا)(العنكبوت:٤٠) وأشباهها من الآي، بل أكثر القرآن حققت ما بينته من إيجاز ألفاظها وكثرة معانيها، وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها، وتلاؤم كلمها، وأن تحت كل لفظة منها جملا كثيرة، وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها"(١).

كما أشار إلى الإيجاز ابن الأثير في كتابه "المثل السائر" وجعل منه ما يتعلق بالحذف ومنه ما يتعلق بالقصر وقال في حق الإيجاز بالقصر"وهو الذي لا يمكن التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلها وفي عدتها وهو أعلى طبقات الإيجاز مكانا وأعوزها إمكانا وإذا وجد في كلام بعض البلغاء فإنما يوجد شاذا نادرا"(٢).

ومن لمح لهذا الفن العلامة عبدالعزيز بن عبد السلام الشافعي ت٦٦٠هـ، حيث أطنب الكلام عن أنواع المحذوفات في القرآن الكريم، مبيناً علاقتها بالمجاز القرآني، مع الإشارة لتقدير ذلك المحذوف من خلال السياق(٣).

وقد أشار الإمام الزركشي (ت٧٩٤) في كتابه (البرهان) فعقد النوع الثامن والثلاثين: في معرفة إعجازه، فذكر أقوال العلماء في الإعجاز، وجعل منها حسن اختيار اللفظ الدال على أوسع معنى قال: "ووجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف وهو بأن اعتدلت مفرداتهتركيباً وزنة وعلت مركباته معنى بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى(٤).

---

(١) القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ)، الشفا تعريف حقوق المصطفى، تحقيق: حسين عبد الحميد نيل، دار الأرقم، بيروت-لبنان، ٢٦٣/١.

(٢)ابن الأثير، المثل السائر، (٢ / ١١٧).

(٣) العز الشافعي، عبدالعزيز بن عبدالسلام الشافعي، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، دار الحديث، القاهرة، طبعة قديمة بدون تاريخ، ص٣وما بعدها.

(٤) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م، ص٩٥/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما السيوطي (ت٩١١) فقد جعله أول وجه من وجوه الإعجاز، وعنده وجوه الإعجاز تقع في خمسة وثلاثين وجهاً [١]، وكذا في كتابه الإتقان،حيث جعل النوع السادس والخمسين في علوم القرآن في الإيجاز والإطناب[٢].

والذي يلحظه الباحث أن الإيجاز في كتب السابقين يأخذ المنحى البلاغي كما يأخذ المنحى البياني، فالبلاغي هو ما كان به الإيجاز قسيماً للإطناب، والبياني ما حصره الرماني وغيره بإيجاز القصر والحذف، وكلا القولين يخدم البحث حيث أنه يثبت وجود معاني إضافية تزيد على اللفظ بظاهره.

---

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن كمال، معترك الأقران، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩م، ٢٤٢/٢.

(٢) السيوطي، عبد الرحمن بن كمال، الإتقان في علوم القرآن، دار الكياب العربي، بيروت، لبنان، ط١/١٤٢٤هـ٢٠٠٣م،١٤٥/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: أبرز من أشار إلى الإيجاز من المحدثين:

أشار محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ١٩٣٥م) في كتابه (الوحي المحمدي) إلى هذا اللون من ألوان الإعجاز عندما ذكر أسلوب القرآن المزجي(بين بلاغة اللفظ وعمق المعاني والسياق الموزون) وما يتعلق الأسباب العائقة عن فهم الأجانب القرآن الكريم وجعل السبب الأول جهل بلاغة القرآن الكريم"[١].

أما الإمام الرافعي (ت١٣٥٦هـ١٩٣٧) فقد أشار إلى هذا النوع من الإعجاز عندما تحدث عن نظم القرآن الكريم.

من ذلك أنه يقول: "فكأن البلاغة فيه إنما هي وجه من نظم حروفه، بخلاف ما أنت واجد من كلام البلغاء، فإنما تضع لموضعها وتبنى عليه، فربما وفت وربما أخلفت، لو هي رفعت من نظم الكلام ثم نزل غيرها في مكانها لرأيت النظم نفسه غير مختلف، بل لكان عسى أن يصح ويجود في مواضع كثيرة من كلامهم"[٢].

وقد أشار الزرقاني (ت١٣٦٧هـ١٩٤٨م) في كتابه(مناهل العرفان في علوم القرآن) وجعله الوجه الأول في إعجاز القرآن بعنوان لغته وأسلوبه.

حيث يقول: "قلنا إن القرآن الكريم يستثمر دائما برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني، أجل تلك ظاهرة بارزة فيه كله يستوي فيها مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام الإيجاز، ومواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب، ولذلك نسميهإيجازاً كله، لأننا نراه في كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد، ولا يميل إلى الإسرافميلاً ما، ونرى أن مراميه في كلا المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر والحلي بأقل من ألفاظه، ولا بما يساويها فليس فيه كلمة إلا هي مفتاح لفائدة جليلة وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى"[٣].

وقد أشار كلَ من محمد فريد وجدي (ت ١٣٧٣هـ١٩٥٤م) إلى هذا النوع من الإعجاز في كتابه دائرة معارف القرن العشرين، وذلك خلال إشارته لنظم القرآن الكريم[٤]، والدكتور

---

(١) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، المكتب الإسلامي، ط٩، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص٢٤.

(٢) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، مؤسسة المختار، القاهرة-مصر،٢٠٠٣م، ص١٦٥.

(٣) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، ٣٢٦/٢.

(٤) وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين، ١٣٤٢هـ-١٩٢٤م، ٦٧٦/٧-٦٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م) في كتابه"النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن"تحت عنوان القصد باللفظ والوفاء بحق المعنى"

فيقول: "فإن سرك أن ترى كيف تجتمع هاتان الغايتان على تمامهما بغير فترة ولا انقطاع حيث شئت من القرآن الكريم تجد بياناً قد قدر على حاجة النفس أحسن تقدير فلا تحس فيه بتخمة الإسراف ولا بمخمصة التقتير (فهو) يؤدي لك من كل معنى صورة نقية وافية لا يشوبها شيء مما هو غريب عنها من عناصرها الأصلية ولواحقها الكمالية... [١].

وكذا النورسي (ت ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م) في كتابه مجموعة المكتوبات من كليات رسائل النور فقد أطنب الكلام في هذا ا الوجه من الإعجاز [٢]، حيث يرى النورسي أن الإيجاز هو الوجه الثاني من وجوه الإعجاز القرآني بعد النظم وقد ذكر ذلك في اكثر من موضع، منهلمثلاً قوله: (إن أهم أساس في إعجاز القرآن المبين هو الإيجاز بعد بلاغته الفائقة، فالإيجاز أهم أساس لإعجاز القرآن وأقواه فهذا الإيجاز المعجز في القرآن الكريم كثير ولطيفجداً في الوقت نفسه بحيث ينبهر أمامه أهل العلم والتدقيق) [٣]، ثم أورد عدة أمثلة من الإيجاز في عدد من الآيات[٤].

وذهب سيد قطب (١٣٨٦هـ-١٩٦٦م) إلى إثباته، فقد عبر عنه بكلمات مختلفة مثل: سحر القرآن [٥]، وغير ذلك، فقد عنون (منبع السحر في القرآن الكريم) فيقول في سياق تعليقه على قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ (المدثر: ١٧-٢٣). فأين السحر الذي تحدث عنه ابن

---

(١) دراز، د.محمد عبد الله، النبأ العظيم، نظرة جديدة في القرآن، دار القلم، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م،ص١٠٩.

(٢) انظر النورسي، المكتوبات، ص ٤٠٨ و ٤٠٩ وينظر النورسي، بديع الزمان سعيد النورسي، االكلمات، ترجمة:إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر – اسطنبول، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩٢ م،، ص ٤٦٠، ٤٦٥..

(٣) ينظر النورسي، بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ترجمة:إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر – اسطنبول، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩٢ م، ص ٤٠٧..

(٤) انظر النورسي، المكتوبات، ص٢٦٦، وقد أشار إليه أيضاً الدكتور زياد الدغامين في كتاب"إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي عرض وتحليل"حيث يقول: "ويؤكد النورسي أن منشأ الإيجاز هو منشأ الإعجاز وذلك كما عرفه مطابقة مقتضى الحال، فحذف القرآن في كثير للتعميم والتوزيع، وأرسل النظم في كثير لتكثير الوجوه وتضمين الاحتمالات"، انظر الدغامين، زياد خليل محمد، إعجاز القرآن، وأبعاده الحضارية في فكر النورسي عرض وتحليل، دار النيل، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ص٥٩.

(٥) أراد الأستاذ سيد بقوله سحر القرآن أي روعة بيانه وأذكر في هذا المقام قوله صلى الله عليه وسلم"إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمةً "ينظر أبو داودسليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشدق من الكلام، رقم ٥٠٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المغيرة بعد التفكير والتقدير؟... لابد إذن أن السحر الذي عناه كان كامناً في مظهر آخر غير التشريع والغيبيات والعلوم الكونية. لابد أنه كامن في صميم النسق ذاته القرآني. لا في الموضوع الذي تحدث عنه وحده."[١].

وكذلك يقول في تفسيره لسورة يونس في كتابه الظلال" إن الأداء القرآني يمتاز بالتعبير عن قضايا ومدلولات ضخمة في حيز يستحيل على البشر أن يعبروا فيه عن مثل هذه الأغراض، وذلك بأوسع مدلول، وأدق تعبير، وأجمله وأحياه أيضا! مع التناسق العجيب بين المدلول والعبارة والإيقاع والظلال والجو. ومع جمال التعبير دقة الدلالة في آن واحد، بحيث لا يغني لفظ عن لفظ في موضعه، وبحيث لا يجور الجمال على الدقة ولا الدقة على الجمال. ويبلغ من ذلك كله مستوى لا يدرك إعجازه أحد، كما يدرك ذلك من يزاولون فن التعبير فعلا لأن هؤلاء هم الذين يدركون حدود الطاقة البشرية في هذا المجال. ومن ثم يتبينون بوضوح أن هذا المستوى فوق الطاقة البشرية قطعا.

وينشأ عن هذه الظاهرة ظاهرة أخرى في الأداء القرآني .. هي أن النص الواحد يحوي مدلولات متنوعة متناسقة في النص وكل مدلول منها يستوفي حظه من البيان والوضوح دون اضطراب في الأداء أو اختلاط بين المدلولات وكل قضية وكل حقيقة تنال الحيز الذي يناسبها. بحيث يستشهد بالنص الواحد في مجالات شتى ويبدو في كل مرة أصيلا في الموضع الذي استشهد به فيه وكأنما هو مصوغ ابتداء لهذا المجال ولهذا الموضع! وهي ظاهرة قرآنية بارزة لا تحتاج منا إلى أكثر من الإشارة إليها (و لو راجع القارئ المقتطفات الواردة في التعريف بهذه السورة لوجد أن النص الواحد يرد للدلالة على أغراض شتى، وهو في كل مرة أصيل في موضعه تماما. وليس هذا إلا مثالا)[٢].

وقد أشار عبد الكريم الخطيب (١٤٠٦هـ١٩٨٥م) في كتابه (إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها) للإيجاز مشمول بثلاثة وجوه وهي:

١.الصدق المطلق.

٢.وعلو الجهة المترتل منها القرآن.

٣. وحسن الأداء.

ثم يقول: "والتي رأيناها مجتمعة في القرآن لا يبدو أي وجه منها إلا من خلال روح تسري فيه وتترقرق في محياه. فالقرآن كله روح، وليست هذه الألفاظ وهذا النظم إلا تخيلات

---

(١) قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار المعرفة بمصر، ص١٧.

(٢) بتصرف قطب، سيد، في ظلال القرآن الكريم، دار الشروق ـ القاهرة بمصر،- (٣ / ١٧٨٧)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لتلك الروح ومطالع تطلع منها ومنازل تنزل فيها. والقرآن الكريم هو كلام، وهو كلام الله سبحانه وتعالى نفخ فيه من روحه، فكان أمراً من أمر الله وروحاً من روحه، ولهذا سمي روحاً وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الأِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الشورى: ٥٢) [١].

فقد جعل الخطيب الإعجاز ثمرة ناتجة عن فخامة اللفظ وبلاغة وسعة المعنى مما جعله روحاً تسري في نفس قارئه كما عبر عنه

وكما أشار إليه الدكتور فضل حسن عباس في كتابه (إعجاز القرآن الكريم): في الباب الثاني وجوه إعجاز القرآن، الإعجاز البياني، الجملة القرآنية، الحذف والذكر والتقديم والتأخير وكذا الفاصلة القرآنية

ومن الأمثلة التي ذكرها"ذكر إن شاء في التوبة في قوله تعالى(يَاأَيُّهَاالَّذِينَآمَنُوااِنَّمَا الْمُشْرِكُونَنَجَسٌلا يَقْرَبُوالْمَسْجِدَالْحَرَامَبَعْدَعَامِهِمْهَذَاوَاِنْخِفْتُمْعَيْلَةً فَسَوْفَيُغْنِيكُمُ اللَّهُمِنْ فَضْلِهِاِنْ شَاءَاِنَّ اللَّهَعَلِيمٌحَكِيمٌ)(التوبة:٢٨)

وعدم ذكرها في النساء من قوله تعالى(وَاِنْيَتَفَرَّقَايُغْنِ اللَّهُكُلاًّ مِنْسَعَتِهِوَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًاحَكِيمًا)(:١٣٠)

فعلل ذلك أن الخطاب عندما تعلق ببعض الأفراد من المجتمع الذين تتعسر عليهم مواصلة المسير مع أزواجهم كانوا رجالاً أو نساءً أراد الله عز وجل أن يبين لهم سعة فضله وواسع رزقه و عظيم تيسيره دون ذكر للمشيئة، أما آية التوبة فجاءت خطاباً للأمة والأمة لابد أن تتعود التضحية للمحافظة على عقائدها ومقدساتها مهما كلفها ذلك من ثمن"فلذلك قرن مشيئة الله بإرادة الأمة التي تحاط بمشيئة الله وحفظه[٢].

وكذا في كتابه القيم البلاغة فنونها وأفنانها فمما ذكر عند ذكر قوله تعالى:(وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين)(الزخرف:٧١) يقول"فهل يستطع أحد أن يعد ما جمعته هذه الكلمات القصار؟! [٣].

([١])انظر الخطيب عبد الكريم، إعجاز القرآن الكريم في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٧٥م، ص٢٣٦-٢٣٧.

([٢]) عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن الكريم، ص٢١١.

([٣])عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص٤٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول الأستاذ أمين الخولي –في هذا الوجه من الإعجاز-: "إن هذا القرآن معجز من حيث هو فن أدبي معجز لكل عربي، حتى وقع الاتفاق منهم جميعاً على إصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه"[١].

أما الدكتور صلاح الخالدي فله كتابان في الإعجاز؛ الأول: وهو البيان في إعجاز القرآن (وهو المتقدم في التأليف)، الثاني إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، فقد عرف فيهما الإعجاز البياني، وضرب أمثلة عليه من التضمين، والحذف والذكر والتقديم والتأخير[٢].

كما أشارت إلى ذلك بنت الشاطئ في كتابها"الإعجاز البياني للقرآن"، حيث قالت: "حيث ذكرت أمثلة وربطت الإعجاز فيها بالنظم[٣]، ومعلوم أن النظم بما فيه من تقديم وتأخير وحذف وقصر وغيرها، هو من أبرز مدلولات الإيجاز القرآني.

كما أشار إلى هذا العلم الشيخ طاش كبرى زاده في كتابه"مفتاح السعادة"تحت عنوان: علم معرفة إعجاز القرآن، فقد ساق كلام الوليد بن المغيرة ليدلل على علو القرآن بألفاظه وعمق معانيه وقوة سبكه ونظمه[٤].

وأشار إلى هذا اللون من الإعجاز الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل)وجعله لوناً من ألوان الإعجاز بعنوان"مصدر الإعجاز البلاغي"فيقول: "إن المعاني والتصورات في القرآن الكريم أغزر من الألفاظ وقوالب التعبير"[٥]، ثم يقول في مميزة الكلمة القرآنية أنها تتناول المعنى سطحه وعمقه وسائر صوره وخصائصه ومثاله قوله تعالى:﴿طَ شَ لَا يَلْ هَوَ لَا خَ رَ جَ ضُحَاهَا﴾(النازعات:٢٩)،فيقول:تعبرهذه الكلمة عن ظلام انتشر فيهالركود وتجلت في أنحائه مظاهر الوحشة[٦]

كما أشار إليه الدكتور محمد أبو موسى في كتابه البلاغة القرآنية،"في الفصل الرابع:البحث في نظم الجملة"، فذكرأمثلة من القصص في القرآن الكريم والحذف وأشار إلى

---

(١) الخولي، أمين، مناهج التجديد، دار المعرفة، مصر،١٩٦١م، ص٢٠٣.

(٢) الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ص٣٣٥، الخالدي، إعجاز القرآن البياني، ص٤٧٤.

(٣) بنت الشاطئ، عائشة، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، ط٢، ص٤٦-٤٨.

(٤) طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة، دار المعارف النظامية، حيدر آباد، ط١، ص٣٦٠.

(٥) البوطي، محمد سعيد، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، دار الرسالة، ١٤١٦٩هـ-١٩٩٦م، ص١٣٦بتصرف يسير.

(٦) البوطي، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، ص١٣٩، بتصرف واسع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثرها على النظم القرآني[١]، فهذه الإشارات ممن كتب في الإعجاز القرآني تبين ما لهذا الفن من الأثر البالغ في إثبات إعجاز القرآن الكريم، وما يفضي إليه من المعاني الغزيرة ذات الصلة في المعنى الأصيل الظاهر من نفس اللفظ، فكأنه حواه وحوى إلى جانبه تلك المعاني الثانية وهذا هو الإيجاز بعينه، الذي يظهر به الإعجاز القرآني فلو جمع الإنس والجن على لسان واحد ليأتوا بكلام موجز من غير إخلال لما تسنى لهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم.

(١) أبو موسى،محمد محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية،مكتبة وهبه، الطبعة الثانية،١٩٨٨م، ص٣٨٩، ص٤٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الخامس: الفنون ذات الصلة المباشرة بالإيجاز.

إن الكلام البليغ له أعظم أثر في نفس سامعه وقلبه ووجدانه، وقد كان للقرآن الكريم قدم السبق في هذا الجانب، حيث ضرب أعظم الأمثلة في اختراقه للقلوب بسبب قوة عباراته وعمق معانيه، يقول الزيات معلقاً على ذلك: "وإذا كان للكلام البليغ هذه القدرة على ملامسة نفس المتلقي وإثارة كوامنها، فلا عجب أن يحتل القرآن الكريم المنزلة الأولى في هذا الشأن، ذلك أنه لا يسمو إلى بلاغته كلام، ولا يرقى إلى تأثيره لسان"[١].

ولقد استخدم القرآن الكريم أروع الأساليب للدخول إلى صميم النفس الإنسانية، ومن ذلك استخدامه صوراً من البلاغة تجعل النفس الإنسانية مجذوبةً لسماعه متأثرة بأحكامه وبيانه، ومن أفضل من كتب في هذا المجال الإمام الرماني (ت ٣٨٦ هـ) [٢] في كتابه النكت في إعجاز القرآن الكريم، حيث نظم مباحثَ في إعجاز القرآن وبين أثرها على النفس الإنسانية، ومن هذه المباحث:

أولاً: أسلوب التشبيه: [٣].

وهو العقد على أن أحد الشيئيين يسد مسد الآخر في حس أو عقل [٤].

فقد ضرب القرآن الكريم نماذج على التشبيه التي تقرب المعنى وتلطفه إلى النفس **(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)** (سورة النور، الآية: ٣٩). وقال تعالى: **(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)** (سورة الأعراف، الآيات: ١٧٦-١٧٧).

---

(١) فرعون، روضة عبد الكريم، إعجاز النظم القرآني في آيات التشريع، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٠م ص٨٢.

(٢)الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص١٨، ٧٦،"بتصرف".

(٣) لمزيد من الإيضاح، انظر المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص١٧٩.

(٤) الرماني، النكت، ص٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فوصف مثل الذي ينسلخ من آيات الله وجعل صفته التي هي مثلٌ في الخسة كصفة الكلب في أخس أحواله وهو إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فهو يلهث دائماً سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات، واللهث إدلاع اللسان من التنفس الشديد، والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثاً في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب، ووضع المنزلة للمبالغة والبيان [١].

ففي هذا المثال شبه الله عز وجل الذي ينسلخ عن آيات الله ويترك العمل بما جاء فيها بالكلب، بل جعل هذا المشهد صورةً متحركة، وهي دوام اللهث والانكباب على الدنيا، وهذا أسلوب بلاغي، يترك في النفس الأثر الواضح في التنفير من هذه الصفة الذميمة.

وأسلوب التشبيه في القرآن الكريم يحتاج لبحث مستفيض ولكن مرادنا هنا أن نبين أن له أثراً واسعاً في أعماق النفس الإنسانية.

ثانياً: أسلوب الاستعارة:

هو تشبيه حذف أحد طرفيه [٢].

والاستعارة أبلغ في معناها من التشبيه، لما تحتويه في داخلها من معان عظيمة وحذف في أحد أركان التشبيه، والقرآن الكريم كان له قدم السبق والبراعة الأولية في هذا الإعجاز.

قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة الحجر، الآية: ٩٤).

يقول الإمام الرماني: "والمعنى الذي يجمعهما (الصدع والتبليغ) الإيصال، إلا أن الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاجة أبلغ"[٣].

وقال تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ﴾ (سورة الملك، الآية: ٧).

---

(١) انظر البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد (ت٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، دار الجيل، ٤٢/٣.

ومن الأمثلة على هذا اللون من الإعجاز الآيات التالية: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة العنكبوت، الآية: ٤١). وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور، الآية: ٣٥).

(٢) انظر الرازي، فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق إبراهيم السامرائي و محمد بركات أبو علي، دار الفكر، عمان، الأردن، ١٩٨٥م، ص١٥٥، والجارم، علي، وأمين، مصطفى، البلاغة الواضحة، دار المعارف، ص٧٦،

(٣) ثلاث رسائل في الإعجاز، للرماني والجرجاني والخطابي، ص٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد وصف الله -عز وجل- مشهد النار وهي تلتهب حارقة من ألقوا فيها بسبب الكفر والمعاصي. يقول الرازي معلقاً على كلمة **(شَهِيقاً)**: "والمراد تشبيه صوت النار بالشهيق". فقد استعار عن المشبه به وهو الإنسان، واكتفى بذكر المشبه [١].

تتجلى في هذا المثال روعة القرآن الكريم، في إبراز أسلوب الرسول عليه الصلاة والسلام في نشر الدعوة وعلانيتها وأثرها، فهي كالصدع في وضوحها وعلانيتها وأثرها، فهذا من متانة القرآن الكريم في تغلغله في نفوس سامعيه.

ثالثاً: أسلوب المبالغة:

وهي الدلالة على أكبر معنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة، كقوله **(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى)** (سورة طه، الآية: ٨٢).

فنلاحظ كيف استخدم القرآن الكريم أسلوب المبالغة في كلمة **(غفار)** لتدل على عظيم المغفرة. يقول أبو السعود: "وإني لغفار لمن تاب من الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكره، وآمن بما يجب الإيمان به وعمل صالحا أي عمل صالحاً مستقيماً عند الشرع والعقل، وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر، وحث على التوبة والإيمان، وقوله تعالى **(ثم اهتدى)** أي: استقام على الهدى إشارةً إلى أن من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران"[٢]، هذا من ترغيب القرآن الكريم لنفس المؤمن بالإقبال على التوبة بأسلوب موجز ومعجز في آن واحد.

---

(١) الفخر الرازي، محمد فخر الدين، التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ٦٤/٣٠.

(٢)أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٩٨/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب السادس: أصول وضوابط ومسوغات جعل الإيجاز أحد معالم الإعجاز القرآني:

أولاً: أصول وضوابط الإيجاز القرآني:

على الباحث في الإيجاز البياني في القرآن الكريم، أن يسير وفق ضوابط وأصول معتمدة ومنضبطة في بحثه في الإعجاز، وهذه الأصول يجب أن تجمع في داخلها بين الآيات القرآنية وعلوم اللغة والبيان العربي.

فلزام على من أراد أن يبحث في الإيجاز القرآني أن يستخرج المواطن التي تتضمن المعاني الغزيرة في الألفاظ الوجيزة، أو ما تضمن معاني أوسع من الألفاظ، ومن أهم وأبرز هذه الأصول:

١. **النظر إلى الكلمة القرآنية** وحروفها وإبراز الأثر البياني وانعكاساتها على نفس السامع، بحيث ينظر إلى بنيتها سواء من حيث إختيار الكلمة ذات الألفاظ التي تحمل مدلولاً واسع المعنى، وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر:٢٣).

٢. **النظر في الآيات القرآنية (جملة جملة)**التي تبرز الإيجاز بأنواعه وإبراز وجودها في القرآن الكريم والاستشهاد بالأحاديث النبوية قدر الإمكان.

النظر في جوانب الإيجاز القرآني وذلك من خلال ما يتعلق بالبلاغة والبيان، وعرض القرآن على أساليب البلاغة المعروفة عند العرب ليظهر مدى إعجازه للقوم في صنعتهم.

٣. **النظر في الآيات القرآنية التي تكشف جوانب هذا اللون من الإعجاز القرآني**، وذلك من خلال:

أ. النظر في الآيات التي تبين الإيجاز بالحذف والذكر في القرآن الكريم، ومن ثم إبراز الغرض منهما وبيان ما تحمله من معني تحتاج إلى ألفاظ أكثر إذا سلك غير هذا النظم.

ب. النظر في الآيات التي تبين الإيجاز بالاحتباك في القرآن الكريم، وبعدها بيان معناه وأنواعه، ومن ثم إبراز الغرض منه وبيان ما تحمله من معني تحتاج إلى ألفاظ أكثر إذا سلك غير هذا النظم، وبيان أثرها على إعجاز الجملة القرآنية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج. النظر في الآيات التي تبرز الإيجاز بالاكتفاء في القرآن الكريم، وبعدها بيان معناه وأنواعه، ومن ثم إبراز الغرض منه، وبيان ما تحمله من معني تحتاج إلى ألفاظ أكثر إذا سلك غير هذا النظم، وبيان أثرها على إعجاز الجملة القرآنية..

د.النظر في الآيات التي تبين الإيجاز بالفجوة المقصودة في القرآن الكريم، وبعدها بيان معناه وأنواعه، ومن ثم إبراز الغرض منه، وبيان ما تحمله من معني تحتاج إلى ألفاظ أكثر إذا سلك غير هذا النظم، وبيان أثرها على إعجاز الجملة القرآنية.

هـ.النظر في الآيات التي تبين الإيجاز بالحصر والقصر في القرآن الكريم، وبعدها بيان معناه وأنواعه، ومن ثم إبراز الغرض منه وأثره على إعجاز الجملة القرآنية.

و.النظر في الآيات التي تبين الإيجاز بالتضمين في القرآن الكريم، وبعدها بيان معناه وأنواعه، ومن ثم إبراز الغرض منه وأثره على إعجاز الجملة القرآنية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: قيمة الإيجاز ومسوغات جعل الإيجاز القرآني أحد معالم الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

يمكن إجمال أسباب جعل الإيجاز القرآني أحد وجوه الإعجاز القرآني بما يلي:

١. أن معظم من كتب في إعجاز القرآن على مر العصور ليقر أن الإعجاز البياني هو الوجه الذي كان تحدي العرب فيه في عصر النبوة، فما نزل من آيات في غاية الوضوح على قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) (الإسراء:٨٨)، ويقول أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (هود: ١٣)، وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة:٢٣)، ولا خلاف أن الإيجاز بشقيه الأصليين هما من أبرز البيان القرآني.

٢. أن جهود العلماء في إبراز وجوه إعجاز القرآن وضوابطه كانت متنوعة، فمن العصر الأول عصر الصحابة وهم يتأملون في إعجازه وعظمته ويسطرون العبارات الدالة على ذلك خلال تفسيرهم لآياته دون إفراد كتاب في إعجاز القرآن وفي القرن الثاني الهجري ظهرت بعض المؤلفات التي تتحدث عن معاني القرآن وتضم في داخلها شيئاً من دلائل إعجازه، دون إطلاق كلمة إعجاز، فظهر كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة(ت٢٢٣هـ)و(معاني القرآن) للفراء (ت٢٠٧هـ)، كما ألف بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) كتابه (في تأويل مشكل القرآن) وأخذت المؤلفات تتتابع دون إطلاق كلمة إعجاز حتى القرن الثالث حيث ألف محمد بن يزيد الواسطي (ت٣٠٦ هـ) أول كتاب بعنوان (إعجاز القرآن)وبعد ذلك أخذت كتب إعجاز القرآن تتتابع كاشفةً عن وجوه إعجاز هذا الكتاب الكريم، وكان العلماء في قضية إثبات وجه إعجازه بين مضيق وموسع حسب النظرة التي انطلق منها كلُ منهم وقواعد استدلاله؛ فبعضهم حصر وجه الإعجاز باللفظ وبعضهم ربط بين اللفظ والمعنى وبعضهم جعل وجه الإعجاز في الصرفة وبعضهم توسع ليجعل الإعجاز في البيان ليشمل اللفظ والمعنى والنظم وما مثل هذه الجهود إلا دليلاً واضحاً أنه لا يجوز تضييق الواسع من الإعجاز القرآني، ولهذا وجدنا النورسي يعالج الموضوع بحكمة وروية فيقر أن كل طبقة من طبقات الناس تنال نصيبها من تذوق الإعجاز وإدراكه بأسلوب معين ونمط خاص، فالقرآن معجز لأهل الفصاحة والبيان من زاوية البلاغة، ومعجز بأسلوبه الرفيع الجميل الفريد لأرباب الشعر والخطابة...وهو يتحدى طبقة الكهان الذين يدعون أنهم يخبرون أشياء عن الغيب بإيراد الأنبياء المعجزة الصادقة. إلى أن قال: وكذلك هو معجز للذين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يملكون إلا قدرة الاستماع،فإنهم يقرون بإعجازه بمجرد سماعهم له، فإن لـه فـي السماع وقعاً عجيباً "[١].

٣. إن الأدلة التي أوردها مثبتو الإعجاز القرآني من خلال الإيجاز أدلة لا تحتمل الشك والنزاع. ففي القرآن الكريم الآيات الواضحات التي تدل على بروز هذا اللون من الإيجاز بأنواعه المختلفة كما هو ظاهر في الأطروحة.

(١) للمزيد انظر النورسي، بديع الزمان سعيد (١٢٩٢هـ-١٣٧٩هـ)، المكتوبات، ترجمة محمد زاهد الملا، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م، ص٢٦٦، وانظر الدغامين، إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي، ص١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول: الإيجاز بالحذف و أثره في الإعجاز القرآني.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الإيجاز بالحذف دراسة نظرية و أثره في بالإعجاز القرآني.

المبحث الثاني: الإيجاز بالحذف دراسة تطبيقية و أثره في الإعجاز القرآني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول: الإيجاز بالحذف، دراسة نظرية و أثره في الإعجاز القرآني:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحذف في اللغة والاصطلاح ٠

المطلب الثاني: أنواع وشروط الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم٠

المطلب الثالث: دواعي الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول: الحذف في اللغة والاصطلاح:

أولاً: الحذف في اللغة:

الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية، لكنها في اللغة العربية أكثر ثباتًا ووضوحًا؛ لأن اللغة العربية من خصائصها الأصيلة الميل إلى الإيجاز والاختصار، والحذف يعد أحد نوعي الإيجاز بالإجمال التي أشار إليها السابقين وأشار إليه الباحث في الفصل التمهيدي، وهما: القصر والحذف، ومعلوم أن العرب تنفر مما هو ثقيل في لسانها، وتميلت إلى ما هو خفيف، لذلك تميل إلى الحذف في بعض الأحيان لغايات مقصودة.

فمن معاني الحذف في اللغة، الإسقاطُ والأخذ؛ فيقال: حَذَفْتُ من شَعْري ومن ذَنَبِ الدابَة، أي أخذت والحُذافَةُ: حَذَفْتَهُ من الأديم وغيرِه. ويقال أيضًا: في رَحْلِهِ حُذافَةٌ، أي شيء من الطعام[١].

ويقال: حَذَفَهُ بالعَصَا رَبَهُ ورَمَاهُ بِها ويُقال: ما بَيْنَ حاذِفٍ وقاذِفٍ إلا ذِراعٌ. والحَاذِفُ بالعَصَا والقَاذِفُ بالْحَجَرِ. وفي المَثَلِ: (يَحْذِفُ أَحَدُكُمُ الأَرْخَبَاةَ) سِيبَوَيْه عن العَرَبِ أَي: وأَن يَرْمِيَ بِها. والحَذَفُ: مَشْوٌ ومَتَةٌ يُتَطَيَّرُ بالتَّعَرُّضِ لها. والحَذْفُ: يُسْتَعْمَلُ في الضَّرْبِ والرَّمْيِ معاً وقال اللَّيْثُ: الحَذْفُ الرَّمْيُ عَن جانبٍ والضَّرْبُ عَن جانبٍ[٢].

الأَزهري: وقال تَحْذِيفُ الشَّعر تَطْرِيرُه وتَسْوِيَتُه وإذا أَخذت من نواحيه ما تُسَوِّيه به فقد حَذَّفْتَه"[٣].

ومن المجاز: حذفه بجائزة: وصله بها، وما في رحله حذافة أي: شيء يسير من طعام وغيره، وتقول: أكل فما أبقى حذافة، وشرب فما ترك شفافة. وحذف الصانع الشيء: سواه تسوية حسنة، كأنه حذف كل ما يحب حذفه، حتى خلا من كل عيب وتهذب، ومنه فلان محذف الكلام"[٤].

---

(١) بتصرف الجواهري، الصحاح في اللغة، (١٢٠/١)

(٢) بتصرف الزبيدي، تاج العروس، (٥٧٦٢/١)

(٣) ينظر الأزهري، تهذيب اللغة، (٨٨/٢)، و ابن منظور، المصري،لسان العرب،(٢٥٧/١٣)٠

(٤) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة، دار صادر ودار بيروت للنشر والطباعة، ١٩٦٥م (٨٠/١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجاء في المعجم الوسيط: "حذف الشيء حذفا قطعه من طرفه يقال حذف الحجام الشعر وأسقطه بالعصا ونحوها رماه وضربه بها، ويقال حذفه بجائزة أعطاه إياها صلة له

وحذف الشيء سواه يقال حذف الحجام الشعر سواه وطرره وحذف الخطيب الكلام هذبه وصفاه، واحتذف الثوب ونحوه قطع بعضه، والحذافة: ما حذف فطرح، والشيء القليل يقال في رحله حذافة شيء من الطعام، والحذف: غنم سود جرد صغار ليس لها آذان ولا أذناب وضرب من البط صغار على التشبيه، ومن الزرع ورقه، والحذفاء: أذن حذفاء صغيرة كأنها قطعت، والحذفة: القطعة المحذوفة من الثوب ونحوه

والمحذوف من الزقاق: المقطوع القوائم و(في اصطلاح العروضيين) الجزء الذي سقط من آخره سبب خفيف كما في فعولن يصبح فعل [١].

ومن ذلك يتضح لنا أن الحذف في أصل اللغة مأخوذ من الأخذ الذي يفيد التسوية، وليس العبثي الذي يخرج من العشوائية، ثم أخذت المعاني تتفرع من هذا الأصل على النحو الذي أشارت إليه كتب اللغة حتى وصل الأمر لعلماء العربية الذين فصلوا القول فيه بين فروع العربية.

ثانياً: الحذف في الاصطلاح:

الحذف في الاصطلاح: إسقاط الشيء لفظا ومعنى [٢]،والإضمار: إسقاط الشيء لفظا لا معنى، والحذف ما ترك ذكره في اللفظ والنية كقولك"أعطيت زيدا"، والإضمار ما ترك ذكره من اللفظ؛ وهو مراد بالنية والتقدير كقوله تعالى: "واسأل القرية"(يوسف:٨٢)، و يرى الإمام أبو البقاء الكفوي[٣]. أن علماء المعاني يعبرون عن إسقاط المسند إليه عن اللفظ(بالحذف) وعن إسقاط المسند (بالترك)، والحذف والتضمين وإن اشتركا في أنهما خلاف الأصل لكن في التضمين تغيير معنى الأصل ولا كذلك الحذف وشرط الحذف والإضمار: هو أن يكون ثمة مقدر نحو"وأسأل القرية"بخلاف الإيجاز فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني بنفسه [٤].

---

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط،(١٦٢/١)

(٢) هذه من المسائل التي اختلف فيها العلماء خلافات اللفظية ولا مشاحة في الاصطلاح.

(٣) هو أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، صاحب كتاب الكليات كان من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء ي (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد، وعاد إلى استانبول فتوفي بها، ودفن في تربة خالد، ولد ١٥٩٤ م وتوفي ١٦٨٣م)ينظر الزركلي، الأعلام، (٣٨/٢)

(٤)أبو البقاء الكفوي،كتاب الكليات (٦٠٠/١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الجرجاني فيرى أن الحذف إسقاط سبب خفيف مثل لن من مفاعلن ليبقى مفاعي فينقل إلى فعولن ويحذف لن من فعولن ليبقى فعو فينقل إلى فعل ويسمى محذوفا[١].

ويقول ابن الأثير: "وهو ما يحذف منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه، والقسم الآخر ما لا يحذف منه شيء، وهو ضربان أحدهما ما ساوى لفظه معناه ويسمى التقديرِ ، والآخر ما زاد معناه على لفظه ويسمى القصر، ومعلوم أن القسم الأول الذي هو الإيجاز بالحذف يتنبه له من غير كبير كلفة في استخراجه لمكان المحذوف منه، وأما القسم الثاني فإن التنبه له عسر، لأنه يحتاج إلى فضل تأملِ وطول فكرة لخفاء ما يستدل عليهِ ولا يستنبط ذلك إلا من رست قدمه في ممارسة علم البيانِ وصار له خليقة وملكةِ،ولم أجد أحداً علم هذين القسمين بعلامةِ،ولا قيدهما بقيدِ وقد أشرت إلى ذلك فيما يأتي من هذا الباب عند تفصيل أمثلتهما فليؤخذ من هناك"[٢].

وقد عنون ابن جني له (بشجاعة العربية) فيقول: وقد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة. وليس شئ من ذلك إلا عن دليل عليه. وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته.

فأما الجملة فنحو قولهم في القسم: والله لا فعلت وتالله لقد فعلت. وأصله: أقسم بالله فحذف الفعل والفاعل وبقيت الحال - من الجار والجواب - دليلا على الجملة المحذوفة. وكذلك الأفعال في الأمر والنهي والتحضيض نحو قولك: زيدا إذا أردت: اضرب زيدا أو نحوه، ومنه إياك إذا حذرته أي احفظ نفسك ولا تُضعها والطريق الطريق وهلا خيرا من ذلك.وقد حُذفت الجملة من الخبر نحو قولك: القرطاس، والله أي: أصاب القرطاس. وخير مقدم أي قدمت خيراً مقدم. وكذلك الشرط في نحو قوله: الناس مجزيون بأفعالهم إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا أي: إنفعل المرء خيرا جُزى خيرا،وإن فعل شرا جُزى شرا[٣].

ولقد عني القدماء - من نحاة وبلاغيين - بدراسة هذه الظاهرة، لكن بعضهم خلط بين الحذف والإضمار؛ ولذلك قال أبو حيان: "وهو موجود في اصطلاح النحويين، يعني أن يسمى

---

(١) الجرجاني، التعريفات، (١١٤/١)

(٢) ابن الأثير، المثل السائر، (٧٤/٢)

(٣)ابن جني، أبي الفتح عثمان، الخصائص،عالم الكتب ، بيروت،تحقيق: محمد علي النجار، (٣٦٠/٢)، وكذا٤٣٥/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحذف إضماراً ، كحب الله: كتعظيم الله والخضوع له، أي كما يحب الله، على أنه مصدر من المبني للمفعول، وإنما استغنى عن ذكر من يحبه، لأنه غير ملبس(١).

وذلك حيثما أمكن تقديره بضمير مستتر فهم يقصدون بالمضمر ما لا بد منه، وبالمحذوف ما يمكن الاستغناء عنه.

ويذكر البلاغيون ضرورة تقدير المحذوف؛ حتى لا يُحمل الكلام على ظاهره، وحتى يكون امتناع ترك الكلام على ظاهره ولزوم الحكم بالحذف راجع إلى الكلام نفسه، لا إلى غرض المتكلم(٢).

قال عبدالقاهر الجرجاني: "هو بابٌ دقيقُ المسلك لطيفُ المأخذ عجيبُ الأمر شبيه بالسِّحر، فإنَّك ترى به ترك الذِكْر أفصحَ من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيدَ للإفادة، وتجدُك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطِقْ ، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن، وهذه جملةٌ قد تنكرُها حتى تُخبَر وتدفَعُها حتى تنظُرَ، وليس لك بَديئاً أمثلةً ممَّا عَرَض فيه الحذفُ ثم أنبِّهك على صحةِ ما أشرتُ إليه واقيمُ الحُجَّةَ من ذلك عليه"(٣).

أما السيوطي فقد ذهب إلى أن إيجاز الحذف: أن يقدر معنى زائد على المنطوق، ويسمى: بالتضييق أيضا، لأنه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه نحو (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف) (البقرة:٢٧٥) أي خطاياه غفرت فهي له لا عليه (هدى للمتقين) (البقرة:٢) أي للضالين الصائرين بعد الضلال إلى التقوى(٤).

وفي نهاية المطاف يتبين لنا من هذه التعريفات أن المعنى الإجمالي للحذف وهو: إسقاط بعض الألفاظ من الكلام بطريقة مقصودة لغاية بلاغية ناتجة عن هذا الإسقاط بطريق مغايرة للمألوف.

ومن ثم إذا طبقنا ذلك على القرآن الكريم فسيدلّنا إلى الحذف وهو الإسقاط من النص القرآني بعض الألفاظ بطريقة مقصودة لإبراز دلالات بيانية وبلاغية ناتجة عن هذا الإسقاط لأجزاء من النص القرآني بطريق مغايرة للمألوف.

---

(١)أبو حيان، الأندلسي،تفسير البحر المحيط، دار الفكر (١١٦/٢)

(٢)انظر الجرجاني، أسرار البلاغة ٣٨٠/٣٧٩.

(٣)الجرجاني، دلائل الإعجاز، (١٢١/١)

(٤) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١٤٦/٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: أنواع وأسباب الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم:

أولاً: أنواع الإيجاز الحذف في القرآن الكريم:

لقد اختلفت عبارات علماء البلاغة في تقسيمهم لأنواع الحذف في القرآن الكريم، فبعضهم ربطه بأساليب الحذف من احتباك وتضمين واكتفاء(١)، وبعضهم ربطه بالمفردات والجمل، وبعضهم ربطه بحذف جزء من كلمة أو جزء من جملة أو الجملة كاملة والأمثلة مشتركة بين الفريقين، والأول هو الذي عليه أكثر الأقدمين(٢)، كما أشار إلى ذلك الامام ابن عاشور في مقدمة تفسيره(٣).

---

(١)ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (١١٧/٣)

(٢)ينظرابن جني، الخصائص، (٣٦٠/٢)، و أبي الفتح، ضياء الدين نصرالله بن محمد بن عبدالكريم الموصلي، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، (٧٧/٢)،و الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٥، تحقيق: د.محمد التنجي (١٢١/١)، عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص٢٤٧، والخالدي، إعجاز القرآن البياني، ص٢٥٢،أما صاحب المذهب الثاني فهو الدكتور الميداني في كتابه البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (ص٢٥٦)

(٣)ومن أبدع قوله تعالى: (عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ)(المدثر:٤٢) أي يتذاكرون شأن المجرمين فيقول من علموا شأنهم سألناهم فقلنا ما سلككم في سقر. قال في الكشاف: قوله: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ) ليس ببيان للتساؤل عنهم وإنما هو حكاية قول المسؤولين، أي أن المسئولين يقولون للسائلين قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين، ومنه حذف المضاف كثيرا كقوله تعالى: (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ)(البقرة: ١٧٧) وحذف الجمل التي يدل الكلام على تقديرها نحو: قوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ)(الشعراء: ٦٣) إذ التقدير: فضرب فانفلق. ومن ذلك الإخبار عن أمر خاص بخبر يعمه وغيره لتحصل فوائد: فائدة الحكم العام، وفائدة الحكم الخاص، وفائدة أن هذا المحكوم عليه بالحكم الخاص هو من جنس ذلك المحكوم عليه بالحكم العام، والمتتبع لأساليب نظم الكلام في القرآن يجدها مما لا عهد بمثلها في كلام العرب، مثال ذلك قوله تعالى: (لَوْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ)(الطلاق: ١١) فإبدال (رَسُولاً) من (ذِكْراً) يفيد أن هذا الذكر ذكر هذا الرسول، وأن مجيء الرسول هو ذكر لهم، وأن وصفه (يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ) يفيد أن الآيات ذكر. ونظيره: (هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ) (التَّبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً)(البينة:٢)، ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)،التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، (١٢٠/١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد رغبت في أطروحتي الجمع بين الطريقتين، ففي فروع الحذف سلكت الطريقة الثانية؛ لوضوح خريطتها المفاهيمية وسهولة عرض فروعها، وفي الأصول نظرت إلى الاحتباك كمبحث مستقل وكذا التضمين وكذا الاكتفاء لما في ذلك من شأن في إبراز جوانب الإيجاز من أكثر من وجه ومن غير جانب، فكان الحذف وتقسيماته على النحو الآتي:

١. حذف جزء من الكلمة القرآنية(١).
٢. حذف الكلمة القرآنية بأكملها.
٣. حذف الجملة القرآنية بأكملها.
٤. حذف أكثر من جملة قرآنية.

وهذا بيانها مع بعض الأمثلة عليها من كتاب الله عز وجل.

أولها: حذفُ جزءٍ من الكلمة أو ما يُنَزَّلُ منزلة جُزْءِ الكلمة:

لم يوجّه البلاغيون عناية لهذا القسم، لكن تنبَّهَ له بعض علماء العربيّة(٢)، وحاول تعليله وفق مناهج النحاة والصرفيين، لا وفق مفاهيم البلاغيّين والأدباء:

ومن ذلك في قول الله عزَّ وجلَّ في سورة (الفجر): ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾

بحذف "الياء" من "يَسْرِ" مراعاة لرؤوس الآيات(٣)، ودليل أن يُوجَدَ مقتضٍ نحويٌّ لهذا الحذف.

---

(١) معلوم لدى الباحثين في علوم القرآن والتفسير، أن البعض عد حروف التهجي اختزال لكلمات يدل عليها كل حرف، كقول ابن عباس وغيره:وفي قوله تعالى: "ألم"(البقرة:١) فالألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقيل: الألف مفتاح اسم الله، واللام مفتاح اسمه لطيف، والميم مفتاح اسمه مجيد، ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،١/١٥٥، والجابي، سليم، من الاختزال في القرآن الكريم، دار سلام، دمشق ط١،١٩٩٤م،ص١٥وما بعدها، فيكون هذا من باب الإيجاز القرآني، لكن الباحث لم يعتمد ذلك في أطروحته، لوجود المعارضات لهذا القول، والدليل إذا طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال.

(٢) كماتنبَّهَ إلى هذا القسم وأضافه إلى أقسام الحذف البلاغي من المعاصرين"د.محمد أبو موسى"في كتابه" البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية"، دار الفكر العربي، القاهرة، ص٣٣٤.

(٣) قال بهذا التوجيه العام معظم المفسرين ومنهم الرازي في مفاتيح الغيب (٣١ / ١٥٠)، والسمين في الدر المصون في علم الكتاب المكنون،(ص٥٧٩٥) ومعلوم أن هنالك من القراءات من يثبت التاء وصلاً وهم نافع وأبو عمرو أبو جعفر، ومنهم من يثبت وصلاً ووقفاً مثل ابن كثير ويعقوب، ينظر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ويسمى (منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٩هـ١٩٩٨م،الطبعة: الأولى- (ص٥٨٣)الشيخ محمد كريم راجح وعلوي بن محمد بن أحمد بلفقيه، القراءات العشر المتواترة، دار المهاجر للنشر والتوزيع،ط١٤٢٥/٤هـ٢٠٠٤م، ص٥٩٣، وعلى هذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"فالعرقي اعتاد أن يختصر من الكلمة إيجازاً في نُطْقِه وتخفُّفاً، وذلك في بعض كلامه ممّا يكثر تداوله، فيحذف بعض حروف الكلمة، وأن يختصر أيضاً فيحذف بعض ما يُنَزّلُ مَنْزِلَةَ جُزْءِ الكَلمة، كالجزء الثاني من المركب تركيباً مَزْجِيّاً، وكالمضاف إليه، وكياء المتكلم، وأداة النداء"(١).

ويظهر لنا هذا في بعض أنواعٍ من الكلام العربي، ومنه ما نجده في الأبواب التالية:

فمنه ما يُسمَّى الترخيم في باب النداء، فقد يحذف العربيُّ في النداء آخر حرف في الكلمة، أو الحرفين الأخيرَيْن منها، وقَدْ يَحْذِفُ الجزءَ الثانِيَ من جزئي الكلمة المركّبة تركيباً مزجيّاً، وقد يحذف في الترخيم المضاف إليه.

ومن دواعيه إلى ذلك الإيجاز والتحبُّبُ لِلْمُنَادى أحياناً، ومراعاة لهفوٍّ في نَسَقِ الكلام، وإيثار اللفظ الأخف على اللّسان، إلى غير ذلك.

ومنه حذف ياء المتكلّم.

الأمثلة: قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (سبأ:٤٥)

فَكَيْفَ كَانَ إِنْكَارِي، فحذف من "نكيري" ياء المتكلم، والداعي النَّسَقُ الجمالي في رؤوس الآيات في السورة، فكيف كان نكالي وعقابي وانتصاري لرسلي(٢)، ونظيره قوله تعالى: أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ)(غافر:٥)؛ أي:"فكيف كان عقابي إياهم، استفهام تعجيب من استئصالهم، واستعظام لما حل بهم،وليس استفهاماً عن كيفية عقابهم، وكانوا يمرون على مساكنهم ويرون آثار نعمة الله فيهم؛ واجتزأ بالكسر عن ياء الإضافة لأنها فاصلة"(٣)، فالأصل كيف كان عقابي.

يحمل التوجيه إثباتُها هو الأصلُ لأنها لام فعلٍ مضارعٍ مرفوعٍ وحَذْفُها لموافقةِ المصحفِ وموافقةِ رؤوسِ الآيِ وجَرْياً بالفواصلِ مَجْرى القوافي وقد يحمل على سرعة إنقضاء الليل؛ فناسب الحذف عند من قرأ به_والله أعلم_.

(١) الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص ٢٧٥.

(٢)ابن كثير، إسماعيل بن كثير،(ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان(٥٢٥/٦) كم أن العدول عن صيغة إفعال لصيغة فعيل تدل على مزيد المبالغة.

(٣) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، (٣٩٩/٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك في سورة (القمر:١٦) في عدة مواضع منها: قوله تعالى(فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ)؛ أي: "وإنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله كيف كان عذابي ونُذُرِي"(١)، والداعي في كلّ ذلك مراعاة النسق الجماليّ في رؤوس الآيات، لعل المعنى الذي نستوحيه من العدول عن صيغة المفرد إلى صيغة الجمع هو التكثير والمبالغة.

ثانيها: حذفُ جُزْءٍ مِن الجملة:

ويكونُ بحذف المسند إليه، أو حذف المسند، أو حذفهما والاكتفاء بمتعلّقَاتِ الفعل أو ما في معنى الفعل كالمصدر واسم الفاعل، أو حذف غير ذلك من عناصر الجملة، استغناء بما يدلُّ على المحذوف.

وقد ذكر ابن هشام في كتابه "مُغني اللّبيب عن كتب الأعاريب" زيادةً على ثلاثين نوعاً من أنواع الحذف في اللّسان العربي، واستشهد على كثير منها بأمثلة قرآنية(٢).

ومن أنواع حذف جزء الجملة ما يلي:

(١) حذف الاسم المضاف.

ومن ذلك قوله تعالى:(وجاء ربك) (الفجر:٢٢) (فأتى الله بنيانهم)(النحل:٢٦)أي أمره لاستحالة الحقيقي فأما (ذهب الله بنورهم)(البقرة:١٧) فالباء للتعدية أي أذهب الله نورهم

ومن ذلك ما نسب فيه حكم شرعي إلى ذات لأن الطلب لا يتعلق إلا بالأفعال نحو قوله تعالى: (حرمت عليكم أمهاتكم) أي حرم عليكم الاستمتاع بهن، وقوله تعالى: (حرمت عليكم الميتة)(المائدة:٣) أي أكلها، وقوله تعالى:(حرمنا عليهم طيبات) (النساء:١٦٠) أي تناولها، لا أكلها؛ ليتناول شرب ألبان الإبل، وقوله تعالى:(حرمت ظهورها) (الأنعام:١٣٨) أي منافعها؛ ليتناول الركوب والتحميل ومثله (وأحلت لكم الأنعام) (الحج:٣٠)

---

(١)الزمخشري، محمود بن عمر،(ت٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م. (٤٥٣/٦).

(٢) ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الفكر ، بيروت، ط٦، ١٩٨٥، تحقيق: د.مازن المبارك ومحمد علي حمدالله (ص٨٠٢) وما بعدها

معظم هذه الأنواع يرجع إلى حذف جزء من الجملة، وتجد تفصيلاً لأنواعِ الحذف مع أمثلتها في القاعدة (١٤) من كتاب "قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ".د. عبد الرحمن حبنكة الميداني، ولعل استقراء كل نوع من هذه الأنواع يحتاج لأطروحة كاملة فيكتفي الباحث بذكر بعض الأمثلة من مغني اللبيب ص٨٠٤ وما بعدها والعزو إلى الأمثلة التي ذكرها ابن هشام في مغني اللبيب تجنباً لمواطن الخلاف والإطالة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك ما علق فيه الطلب بما قد وقع نحو قوله تعالى:(أوفوا بالعقود)(المائدة:١)، وقوله تعالى:(وأوفوا بعهد الله) (النحل:٩١) فإنهما قولان قد وقعا فلا يتصور فيهما نقض ولا وفاء وإنما المراد الوفاء بمقتضاهما ومنه قوله تعالى: (فذلكن الذي لمتنني فيه) إذ الذوات لا يتعلق بها لوم والتقدير في حبه بدليل قوله تعالى:(قد شغفها حبا) (يوسف:٣٠) أو في مراودته بدليل قوله تعالى:(تراود فتاها) وهو أولى لأنه فعلها بخلاف الحب، وأما قوله تعالى:(وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا) (الأعراف:٤) فقدر النحويون الأهل بعد من وأهلكنا وجاء وخالفهم الزمخشري في الأولين لأن القرية تهلك(١)،، ومن ذلك قوله تعالى:(واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها) (يوسف:٨٢) أي أهل القرية وأهل العير، وقوله تعالى: (وإلى مدين أخاهم شعيبا) (الأعراف:٨٥) أي وإلى أهل مدين بدليل أخاهم وقد ظهر في (وما كنت ثاويا في أهل مدين) (القصص:٤٥).

ووافقهم في فجاء لأجل (أو هم قائلون) (الأعراف:٤)، (إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات)(الإسراء:٧٥) أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، وقوله تعالى: (لمن كان يرجو الله) (الأحزاب:٢١) أي رحمته، وقوله تعالى:(يخافون ربهم)(النحل:٥٠) أي عذابه بدليل قوله تعالى:(ويرجون رحمته ويخافون عذابه)(الإسراء:٧٥)، وكذا قوله تعالى:(يضاهئون قول الذين كفروا) (التوبة:٣٠)أي يضاهي قولهم قول الذين كفروا(٢).

(٢) حذف المضاف إليه.

ومن ذلك قوله تعالى: (رب اغفر لي)(الأعراف:١٥١)أي ربي، وفي الغايات الظرفية، نحو قوله تعالى:(لله الأمر من قبل ومن بعد)(الروم:٤) أي من قبل الغلب ومن بعده

(٣) حذف اسمين مضافين.

ومن ذلك قوله تعالى: (فإنها من تقوى القلوب)(الحج:٣٢) أي فإن تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب (قبضة من أثر الرسول)(طه:٩٦) أي من أثر موطئ فرس الرسول (كالذي يغشى عليه) (الأحزاب:٩)أي كدوران عين الذي يغشى

---

(١) الزمخشري، الكشاف (٢ / ٨٧).

(٢) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، (ص٨٠٢) وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤) حذف الموصول الاسمي.

ومن ذلك قوله تعالى:(آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم)(العنكبوت:٤٦)، أي بالقرآن المنزل على محمد

(٥) حذف الموصوف.

ومن ذلك قوله تعالى:(وعندهم قاصرات الطرف) (الصافات:٤٨)أي حور قاصرات، وقوله تعالى (وألنا له الحديد ان اعمل سابغات) أي دروعا سابغات، وقوله تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا)(التوبة:٨٢) أي ضحكا قليلا وبكاء كثيرا، وقوله تعالى (وذلك دين القيمة)(البينة:٥) أي دين الملة القيمة، وقوله تعالى (ولدار الآخرة خير)(يوسف:١٠٩) أي ولدار الساعة الآخرة أو لدار الحياة الآخرة بدليل (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)(آل عمران:١٨٥) ومنه قوله تعالى (حب الحصيد)(ق:٩) أي حب النبت الحصيد(١).

(٦) حذف الصفة. ومن ذلك قوله تعالى:(يأخذ كل سفينة غصبا)(الكهف:٩٧) أي صالحة، وأن تعييبها لا يخرجها عن كونها سفينة فلا فائدة فيه حينئذ (تدمر كل شيء) (الأحقاف:٢٥)أي سلطت عليه بدليل (ما تذر من شيء أتت عليه) الآية، وقوله تعالى (قالوا الآن جئت بالحق)(البقرة:٧١) أي الواضح بدليل (وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها)(الزخرف:٤٨)

(٧) حذف المعطوف، ومن ذلك قوله تعالى:(لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل)(الحديد:١٠)أي ومن أنفق من بعده دليل التقدير أن الاستواء إنما يكون بين شيئين ودليل المقدر (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) وقوله تعالى (لا نفرق بين أحد من رسله)(البقرة:٢٨٥) وقوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم)(النساء:١٥٢) أي بين أحد وأحد منهم وقيل أحد فيهما ليس بمعنى واحد مثله في (قل هو الله أحد)(الإخلاص:١) بل هو الموضوع للعموم وهمزته أصلية لا مبدلة من الواو فلا تقدير ورد بأنه يقتضي حينئذ أن المعرض بهم وهم الكافرون فرقوا بين كل الرسل وإنما فرقوا بين محمد وبين غيره في النبوة وفي لزوم هذا نظر والذي يظهر لي وجه التقدير وأن المقدر بين أحد وبين الله بدليل (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله)(النساء:١٥٠)، ونحو (سرابيل تقيكم الحر)(النحل:٨١) أي والبرد وقد يكون اكتفى عن هذا بقوله سبحانه وتعالى في أول السورة (لكم فيها دفء)(النحل:٥)

---

(١) ابن هشام، مغني اللبيب، ص ٨١٠، وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٨) حذف المعطوف عليه.

ومن ذلك قوله تعالى:(أن اضرب بعصاك الحجر فانفجرت)(البقرة:٥٠) أي فضرب فانفجرت.

(٩)حذف المبدَل منه.

ومن ذلك قوله تعالى:(ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب)(النحل:١١٦)، فإن الكذب بدل من مفعول تصف المحذوف؛ أي لما تصفه.

(١٠) حذف المبتدأ.

ومن ذلك قوله تعالى:(وما أدراك ما الحطمة نار الله)(الهمزة:٥) أي هي نار الله بدليل قوله تعالى: (وما أدراك ماهية نار حامية)(القارعة:١١) وكذا قوله تعالى:(ما أصحاب اليمين في سدر مخضود)(الواقعة:٢٧) الآيتين (هل أنبئكم بشر من ذلكم النار)(العنكبوت:٤٦)، وبعد فاء الجواب نحو (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها)(فصلت:٤٦) أي فعمله لنفسه وإساءته عليها (وإن تخالطوهم فإخوانكم)(البقرة:٢٢٠)أي فهم إخوانكم وقوله تعالى:(فإن لم يصبها وابل فطل)(البقرة:٢٦٥)، وقوله تعالى:(وإن مسه الشر فيؤوس قنوط)(فصلت:٤٩)، ومن ذلك قوله تعالى:(فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان)(البقرة:٢٨٢) أي فالشاهد

(١١) حذف الخبر.

ومن ذلك قوله تعالى: (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم)(المائدة:٥) أي حل لكم (أكلها دائم وظلها)(الرعد:٣٥) أي دائم.

(١٢) حذف الفعل.

ومن ذلك قوله تعالى:(وإن أحد من المشركين استجارك)(التوبة:٦) وقوله تعالى (إذا السماء انشقت) (الإنشقاق:١) وقوله تعالى(قل لو أنتم تملكون)(الإسراء:١٠٠) والأصل لو تملكون تملكون، لأن البصريون يشترطون قدوم الفعل بعد لولا؛ فلما حذف الفعل انفصل الضمير ليسد مسده، ويكثر في جواب الاستفهام نحو (ليقولن الله)(العنكبوت:٦١) أي" ليقولن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلقهم الله وإذا قيل لـه مـاذا أنـزل ربكم قـالوا خيـرا(١)، وأكثـر مـن ذلـك كلـه حـذف القـول نحـو (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم)(الرعد:٢١).

ويأتي حذف الفعل في غير ذلك نحو (انتهوا خيرا لكم)(النساء:١٧١) أي وأتوا خيرا

(١٣) حذف المفعول.

ومـن ذلـك قولـه تعـالى: (فلـو شـاء لهـداكم)(الأنعـام:١٤٩) أي فلـو شـاء هـدايتكم، و نحـو (ألاإنهم هم السفهاء ولكن لا يعملون)(البقرة:١٣)أي أنهم سفهاء.

(١٤) حذف الحال.

ومـن ذلـك قولـه تعـالى:(والملائكـة يـدخلون علـيهم مـن كـل بـاب سـلام علـيكم) (الرعـد:٢١)؛أي قـائلين ذلـك ومثلـه (وإذ يرفـع إبـراهيم القواعـد مـن البيـت وإسـماعيل ربنـا تقبـل منـا)(البقرة:١٢٧) ويحتمـل أن الـواو للحـال وأن القـول المحـذوف خبـر أي وإسـماعيل يقـول ربنـا تقبل منا

(١٥) حذف التمييز.

ومـن ذلـك قولـه تعـالى:(عليهـا تسـعة عشـر)(المـدثر:٣٠)، وقولـه تعـالى (إن يكـن مـنكم عشرون صابرون)(الأنفال:٦٥) وهو شاذ في باب نعم نحـو من توضـأ يـوم الجمعـة فبهـا ونعمـت أي فبالرخصة أخذ ونعمت رخصة.

(١٦) حذف"لا"النافية وغيرها.

ومـن ذلـك قولـه تعـالى:(يبـين الله لكـم أن تضـلوا)(النسـاء:١٧٦) أي لـئلا وقيـل المحـذوف مضاف أي كراهة أن تضلوا(٢).

(١٧) حذف القسم وإبقاء لام التوطئة(٣).

---

(١)ابن هشام، مغني اللبيب، (٨٢٨/١)

(٢)ابن هشام، مغني اللبيب، (٨٣١/١)

(٣) عنون ابن هشـام فـي المغنـي لهـذا الفـرع بحـذف لام التوطئـة، والصـواب هـو حـذف القسـم وإبقـاء التوطئةالدالـة عليه، ولعل هذا من باب تصحيف النساخ، والله أعلم بالصواب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك قوله تعالى: (وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن)(المائدة:٧٣)، وقوله تعالى (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون)(الأنعام:١٢١) وقوله تعالى (وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)(الأعراف:٢٣) بخلاف (وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين)(هود:٤٧)

(١٨)حذف الجار، ويطّرد مع أنَّ وأنْ ".

ومن ذلك قوله تعالى: (يمنون عليك أن أسلموا)(الحجرات:١٧) أي بأن ومثله (بل الله يمن عليكم أن هداكم) (والذي أطمع أن يغفر لي)(الشعراء:٨٢)، وقوله تعالى:(ونطمع أن يدخلنا ربنا)(المائدة:٤٨)، وقوله تعالى:(وأن المساجد لله)(الجن:١٨) أي ولأن المساجد لله (أيعدكم أنكم إذا متم)(المؤمنون:٣٥) أي بأنكم

وجاء في غيرهما نحو (قدرناه منازل)(يس:٣٩) أي قدرنا له (ويبغونها عوجا)(الأعراف:٤٥) أي يبغون لها (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه)(آل عمران:١٧٥) أي يخوفكم بأوليائه.

(١٩) حذف لام الطلب.

ومن ذلك قوله تعالى:(قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة)(إبراهيم:٣١)، وقوله تعالى:(وقل لعبادي يقولوا)(الإسراء:٥٣) أي ليقيموا الصلاة وليقولوا

(٢٠) حذف حرف النداء

نحو(يوسف أعرض عن هذا)(يوسف:٢٩)، وقوله تعالى:(أن أدوا إلي عباد الله)(الدخان:١٨)

ثالثها:حذفُ الجملة املة:

يقع حذف الجملة القرآنية على عدة أشكال كحذف جملة القسم أو حذف جواب القسم أو جملة الشرط أو حذف جواب الشرطاستغناءً بما يدلُّ عليه، أو اعتماداً على إمكان فهمه ولو لم تُذْكر.

فمنه حذف جملة القسم، مثل قول الله عزَّ وجلَّ في سورة (النمل/ ٢١)في حكاية قصّة وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَآئِبِينَ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١)فالمقسم به الله لأذبحنه.

يقول الآلوسي: ومآل كلامه عليه الصلاة والسلام ليكونن أحد الأمور على معنى إن كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولاذبح وإن لم يكن كان أحدهما فأو في الموضعين للترديد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقيل:هي في الأول للتخيير بين التعذيب والذبح. وفي الثاني للترديد بينهما وبين الاتيان بالسلطان (١).

ومنه حذف جواب القسم، مثل قول الله عز وجل: (وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً (النازعات:١-٥) أي لتبعثن يا أهل مكة ولَتُحَاسَبُنَّهُمْ.

يقول صاحب البحر المحيط:"والذي يظهر أن ما عطف بالفاء هو من وصف المقسم به قبل الفاء، وأن المعطوف بالواو وهو مغاير لما قبله،كما قرّرناه في المرسلات، على أنه يحتمل أن يكون المعطوف بالواو من عطف الصفات بعضها على بعض، "والمختار في جواب القسم أن يكون محذوفاً وتقديره: لتبعثن لدلالة ما بعده عليه، قاله الفراء، وقال محمد بن عليّ الحكيم الترمذي: الجواب: (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى)، والمعنى فيما اقتصصت من ذكر يوم القيامة وذكر موسى عليه الصلاة والسلام وفرعون"(٢)، ومنه حذف جملة جواب الشرط، مثل قول الله عز وجل: (وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ...)

والمعنى كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه وإعراضهم عما جاء به وَإِن فكان: (كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ استطعت أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأرض)منفذاً تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها(سُلَّماً فِي السماء فَتَأْتِيَهُمْ) منها (بِآيَةٍ) فافعل(٣) وقول الله عز وجل: (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى...) (الرعد:٣١)،أي:لكان هذا القرآن المنزّلُ على محمد.

يقول أبو السعود مبيناً تقدير المحذوف:"جوابُ لو محذوفٌ لانسياق الكلام إليه بحيث يتلقّفه السامعُ من التالي والمقصودُ إما بيانُ عِظم شأنِ القرآنِ العظيم وفساد رأي الكفرة حيث لم يقدروا قدرَه العليَّ ولم يعدّوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيره مما أوتي موسى وعيسى عليهما السلام وإما بيانُ غلوهم في المكابرة والعِنادِ وتماديهم في الضلال والفساد فالمعنى على الأول لو أن قرآناً سُيّرت به الجبالُ أي بإنزاله أو بتلاوته عليها وزُعزعت عن مقارّها كما فُعل ذلك بالطور لموسى عليه الصلاة والسلام(أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأرض) شُقّقت وجُعلت أنهاراً وعيوناً كما فُعل بالحجر حين ضربه عليه الصلاة والسلام بعصاه أو جعلت قطعاً متصلةً وقوله (أَوْ كُلِّمَ بِهِ

---

(١)الآلوسي، محمود (ت١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(٤٤٦/١٤)

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، (٤٣٧/١٠)

(٣)الزمخشري، الكشاف، (١١١/٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموتى) أي بعد أن أحييَ بقراءته عليها كما أحييتْ لعيسى عليه الصلاة والسلام لكان ذلك هذا القرآنَ لكونه الغايةَ القصوى في الانطواء على عجائبِ آثارِ قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى: (لَوْ أَنْزَلْنَا هذا القرءان على جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خاشعا مُّتَصَدّعا مِّنْ خَشْيَةِ الله) لا في الإعجاز إذ لا مدخل له في هذه الآثار ولا في التذكير والإنذار والتخويفِ لاختصاصها بالعقلاء مع أنه لا علاقةَ لها بتكليم الموتى،واعتبارُ فيض العقول إليها مُخلٌّ بالمبالغة المقصودة، وتقديمُ المجرور في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر غيرَ مرة من قصد الإبهام ثم التفسيرِ لزيادة التقرير،وأن بتقديم ما حقُّه التأخيرُ تبقى النفسُ مستشرفةً ومترقّبةً إلى المؤخر أنه ماذا؟ فيتمكّن عند ورودِه عليها فضلُ تمكن،وكلمةُ أو في الموضعين لمنع الخلوّ لا لمنع الجمع، واقتراحُهم وإن كان متعلقاً بمجرد ظهورِ مثل هذه الأفاعيلِ العجيبة على يده عليه الصلاة والسلام لا بظهورها بواسطة القرآنِ لكن ذلك حيث كان مبنياً على عدم اشتمالِه في زعمهم على الخوارق نيط ظهورُها به مبالغةً في بيان اشتمالِه عليها"(١)، فهو دقيقٌ بأن يكون مصدراً لكل خارقٍ ، وإبانةً لركاكة رأيهم في شأنه الرفيعِ كأنه قيل: لو أن ظهورَ أمثالِ ما اقترحوه من مقتَضيات الحِكمة كان مظهرُها هذا القرآنَ الذي لم يعدّوه آية.

ومنه حذف جملة الشرط، مثل قول الله عز وجل: (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (العنكبوت:٥٦)، ويقول ابن الجوزي: يا عبادي الذين آمنوا إن كنتم في ضيق من إظهار الإيمان وعبادة الله وحده، فهاجِروا إلى أرض الله الواسعة، وأخلصوا العبادة لي وحدي فإن(٢)، لم تأتَّ لكُمْ إخلاصُ العبادة لي في هذه الأرضِ فإيَاي فاعْبُدُني في غيرها

رابعها:حذفُ أكثر من الجملة:

شريطة الاستغناء عنه بما يدلُّ على المحذوف، ومن أمثلته الكثيرة قول الله عزَّ وجلَّ: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (البقرة: ٧٣).

أي: فقلنا اضربوا القتيل ببعض البقرة المذبوحة(٣) فضربوه ببعضها، فصار القتيل حيّاً فَأَخْبَرَ عنْ اقتِلِهِ

وقد ذهب ابن الأثير إلى أن الحذف يقع على ضربين؛ أحدهما:حذف الجملِ والآخر: حذف المفردات وقد يرد كلام في بعض المواضع ويكون مشتملاً على القسمين معاً .

---

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم- (٣/٤)

(٢) ابن الجوزي، التفسير الميسر، (١٧٧/٧)

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣٠٢/١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأما القسم الأول وهو الذي تحذف منه الجمل فإنه ينقسم إلى قسمين أيضاً أحدهما حذف الجملة المفيدة التي تستقل بنفسها كلاماً، وهذا أحسن المحذوفات جميعهاِ وأدلها على الاختصارِ ولا تكاد تجده في كتاب الله تعالى، والقسم الآخر حذف الجمل غير المفيدةِ (١).

ولعل عدم وجود الحذف للجمل المفيدة في كتاب الله عز وجل على رأي ابن الأثير يرجع لكون مثل هذا الحذف يوجب اللبس ويبطل الفائدة، والقرآن الكريم كتاب هداية وتشريع فإن كان قد جاء على غاية من الإيجاز فلا يعني ذلك أنه مخل في معانيه وتراكيبه.

(١) ابن الأثير، المثل السائر، (٧٧/٢) وقد تمت الإشارة لهما على المنهج السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: شروط الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم:

قد وضع النُّحاة مجموعة من الشروط للحذف، ولم تكن هذه الشروط محط خلاف بينهم لا في عددها ولا في بنيتها وجوهرها، محددة بثمانية شروط وهي:

الأول: أحدها وجود دليل حالي أو مقالي

فحالي نحو قوله تعالى (قالوا سلاما"أي سلمنا سلاما"، قال سلام قوم منكرون)(الذاريات:٢٥) أي سلام عليكم أنتم قوم منكرون

أو مقالي نحو قوله تعالى:(وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا)(النحل:٣٠)أي أنزل خيرا (١).

ومن الأدلة العقلية حيث يستحيل صحة الكلام عقلا إلا بتقدير محذوف، ومثاله قوله تعالى:(أوفوا بالعقود)(المائدة:١)، فأوفوا بعهد الله؛ أي: بمقتضى العقود وبمقتضى عهد الله، لأن العقد والعهد قولان قد دخلا في الوجود وانقضيا فلا يتصور فيهما وفاء ولا نقض، وإنما الوفاء والنقض بمقتضاهما وما ترتب عليهما من أحكامهما، وتارة يدل على التعيين العادة نحو قوله تعالى(فذلكن الذي لمتنني فيه)(يوسف:٣٢) دل العقل على الحذف؛ لأن يوسف لا يصح ظرفا للوم ثم يحتمل أن يقدر لمتنني في حبه لقوله (قد شغفها حبا)، وفي مراودتها، لقوله تراود فتاها والعادة دلت على الثاني، لأن الحب المفرط لا يلام صاحبه عليه عادة؛ لأنه ليس اختياريا بخلاف المراودة للقدرة على دفعها، وتارة يدل عليه التصريح به في موضع آخر، وهو أقواها نحو (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله)(البقرة:٢١٠)، أي أمره بدليل أو يأتي أمر ربك وجنة عرضها السموات أي كعرض بدليل التصريح به في سورة (الحديد:٢٢)(٢).

وكقول الله عزّ وجلّ في سورة فاطر: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً ...)((فاطر:١٠)

"ففي هذه العبارة حذف يدلُّ عليها النظر الفكري والتأمل، إذ المعنى: من كان يريد العزّة فلْيَطْلُبْهَا مِنْ بِاللهِ عزَّ وجلَّ، ولْيَطْلُبْهَا مِنْهُ، ولْيَسْلُكْ سَبيل الوصول إليها عن طريق مرضاته، فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جميعاً ، "فجواب الشرط" مَنْ كان يُريدُ العزّة"الذي جاء بصيغة "فَلِلَّهِ العزَّةُ جَمِيعاً "يستلزم عقلاً توجيه لطَلَبِها عند من يَمْلِكُها، ولمَّا كانَتِ العزَّةُ كلُّها للهِ عزَّ وجلّ فَعَلى مَنْ يُريدُها أنْ يَطْلُبَها

---

(١) البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (المتوفى: ٥١٠هـ)،معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م، (١٧/٥)

(٢) ابن هشام، ابن هشام، مغني اللبيب، (٧٩٤/١)، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١٥٧/٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منه، وطَلَبُها إِنَّما يكون بالإِيمان به، والإِسلام له، وسلوك السبيل التي ارتضاها لعباده، والعمل بمراضيه، وسؤاله النصرة والتأييد، والاستعانة به، وذِكْرِهِ كثيراً "(١).

الثاني: ألا يكون المحذوف كالجزء، فلا يحذف الفاعل، ولا نائبه ولا ما يشبهه **(٢).**

الثالث: ألا يكون مؤكدا.

لأن الحذف مناف للتأكيد إذ الحذف مبني على الاختصار، والتأكيد مبنى على الطول(٣).

الرابع: ألا يكون عاملا ضعيفا.

فلا يحذف الجار والجازم والناصب للفعل إلا في مواضع قويت فيها الدلالة وكثر فيه استعمال تلك العوامل ولا يجوز القياس عليها(٤).

الخامس: ألا يؤدي الحذف إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه.

فلا يحذف المفعول - وهو الهاء - من ضربني وضربته زيد؛ لئلا يتسلط على زيد ثم يقطع عنه برفعه للفعل الأول، ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى:(وكل وعد الله الحسنى)(الحديد:١٠) كل بالرفع وهي قراءة ابن عامر، وقرأ الباقون بالنصب وكذلك هو في مصاحفهم واتفقوا على نصب الذي في سورة النساء لإجماع المصاحف عليه(٥).

اعتبر الأخفش في الحذف التدريج حيث أمكن، ولهذا قال في قوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا)(البقرة:٤٨) إن الأصل لا تجزى فيه فحذف حرف الجر فصار تجزيه ثم حذف الضمير فصار تجزي، وهذه ملاطفة في الصناعة ومذهب سيبويه أنهما حذفا معا قال ابن جني وقول الأخفش أوفق في النفس وآنس من أن يحذف الحرفان معا في وقت واحد(٦).

---

(١) الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص٤٩٨.

(٢)ابن هشام، ابن هشام، مغني اللبيب، (٧٩٤/١)، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١٦٠/٢)

(٣)المرجع السابق

(٤)ابن هشام، ابن هشام، مغني اللبيب، (٧٩٦/١)، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١٦١/٢)

(٥) ابن الجزري،الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي،المتوفي سنة ٨٣٣هـ، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع (٤٢٤/٢)

(٦) ينظر ابن جني، الخصائص (٢ / ٤٧٣)، و ابن هشام، ابن هشام، مغني اللبيب، (٧٩٦/١)، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١٦١/٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السادس: ألا يؤدي الحذف إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القوي.

فلا يحذف الضمير في: زيد ضربته؛ لأنه يؤدي إلى إعمال المبتدأ وإهمال الفعل مع أنه أقوى، وللأمر الأول منع البصريون حذف المفعول الثاني من نحو ضربني وضربته زيد لئلا يتسلط على زيد ثم يقطع عنه برفعه بالفعل الأول ولاجتماع الأمرين امتنع عند البصريين أيضا حذف المفعول في نحو زيد ضربته لأن في حذفه تسليط ضرب على العمل في زيد مع قطعه عنه وإعمال الابتداء مع التمكن من إعمال الفعل ثم حملوا على ذلك زيد ما ضربته أو هل ضربته فمنعوا الحذف وإن لم يؤد إلى ذلك وكذلك منعوا رفع رأسها في أكلت السمكة حتى رأسها إلا أن يذكر الخبر فتقول"مأكول"ولاجتماعهما مع الإلباس منع الجميع(١)، فعلى يتبن أن للحذف شروط منضبطة لا ينبغي الميل عنها، وهذا يفيد في كيفية استقراء ما كان من حذف في القرآن الكريم والسير على نهجه المعجز القويم.

---

(١)ابن هشام، ابن هشام، مغني اللبيب، (٧٩٦/١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث: دواعي الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم و أثرهما في الإعجاز القرآني:

إن الباحث في فنون الحذف وأسبابه ليطرب لجمال هذا الفن العجيب، وإن اختلفت عبارات النحاة في مصطلحاتهم فتارة يسمونها أسباب وتارة يسمونها أغراض وتارة يسمونها دوافع وتارة يسمونها فوائد، يمكن إجمال كل ما سبق على نحو موجز بالأسباب الآتية:

الداعي الأول: مجرد الاختصار

كقوله تعالى (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون)(يس:٤٥)

تقدير الكلام: أنهم لا يجيبون إلى ذلك ويعرضون عنه. واكتفى عن ذلك بقوله﴿ مَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾(الأنعام:٤) أي: على التوحيد وصدق الرسل، وكقوله تعالى:﴿لا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾(الأنعام:٤) أي: لا يتأملونها ولا ينتفعون بها(١).وكقوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) أي لكان هذا القرآن وكقوله تعالى (قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم)(الأحقاف:١٠)، أي ألستم ظالمين(٢)، بدليل قوله بعده (إن الله لا يهدي القوم الظالمين)(المائدة:٥١).

الداعي الثاني: التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام.

وهو ما يحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن، فلا يتصور مطلوبا أو مكروها إلا يجوز أن يكون الأمر أعظم منه، ولو عين شيء اقتصر عليه وربما خف أمره عنده، كقوله (وسيق الذي اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)(الزمر:٧٣)،وكقوله (ولو ترى إذ وقفوا على النار)(الأنعام:٢٧)، وكقوله تعالى: (ولو ترى إذ وقفوا على ربهم)، وكقوله تعالى: (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم)(الأنعام:٣٠)

وقال السكاكي رحمه الله:" ولهذا المعنى حذفت الصلة من قولهم وهي المحنة والشدائد قد بلغت شدتها وفظاعة شأنها مبلغا يبهت الواصف معه حتى لا يحير ببنت شفة، وإما غير ذلك كقوله تعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل)(الحديد:١٠)، أي ومن أنفق من بعده

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم- (٥٨٠/٦)

(٢) االقزويني، الإيضاح في علوم البلاغة،١ /١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقاتل، بدليل ما بعده، ومن هذا الضرب قوله تعالى:(رب إني وهن العظم مني واشتغل الرأس شيبا)(مريم:٤) لأن أصله يا رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا"(١).

ومثله أيضاً قوله تعالى:(جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) (الزمر: ٧٣)، الجواب حُذِف؛ لأن وصف ما يجدونه لا يَتَنَاهى؛ فحُذِف تفخيمًا وإعظامًا له؛ حيث إن الكلام يضيق عن وصفه.

وكذا قوله" ولو ترى إذ وقفوا على النار"(الأنعام:٢٧)، أي لرأيت أمرا فظيعا لا تكاد تحيط به العبارة، وفي مثل هذا يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه أو يقصد به تعديد أشياء فيكون في تعدادها طول وسآمة فيحذف ويكتفي بدلالة الحال وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفي بالحال عن ذكرها قال ولهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس ومنه قوله في وصف أهل الجنة حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها فحذف الجواب إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى(٢)، فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه وتركت النفوس تقدر ما شاءته ولا تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك.

الداعي الثالث: التخفيف لكثرة دورانه في الكلام

كما في حذف حرف النداء نحو يوسف أعرض، ونون لم يك، والجمع السالم، ومنه قراءة: والمقيمي الصلاة وياء والليل إذا يسر، وسأل المؤرج السدوسي الأخفش عن هذه الآية فقال عادة العرب أنها إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه، والليل لما كان لا يسرى وإنما يسرى فيه نقص منه حرف(٣)، كما قال تعالى وما كانت أمك بغيا الأصل بغية، فلما حول عن فاعل نقص منه حرف.

الداعي الرابع: الاتساع.

فمثال ذلك حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كما في قوله تعالى:(لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى)(البقرة:١٧٧)، أي: بر من اتقى، كقولهعزّ وجلّ: "والرَّكب أسفل منكم" (الأنفال:٤٢)، كأنه قال:زيدٌ في مكان أسفل من مكانك.ويسميه البعض التوسع، يرى سيبويه أن الحذف للتوسع

---

(١)الزمخشري، الكشاف، (٢٩٦/٦)، والسكاكي، مفتاح العلوم، (١٢٣/١)

(٢)القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (١٨٠/١)،السيوطي، الإتقان في علوم القرآن بتصرف (١٥٤/٢)

(٣)السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (١٥٥/٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في اللغة أكثر من أن يحصى(١)، وهذا نوع من الحذف للإيجاز والاختصار، لكنه ينتج عنه نوع من المجاز بسبب نقل الكلمة من حكم كان لها إلى حكم ليس بحقيقة فيها.

الداعي الخامس: صيانة المحذوف عن الذكر في مقام معين تشريفا له.

فمثاله قوله تعالى: (وَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)(الشعراء:٨٢) وقوله (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) على يُطعمني ويسقين نُظم معهما في سلك الصِّلةِ لموصول واحدٍ لما أنَّ الصِّحَّةَ والمرض من متفرِّعاتِ الأكل والشُّرب غالباً ونسبةُ المرض إلى نفسه والشِّفاءِ إلى الله تعالى مع أنَّهما منه تعالى لمراعاة حُسنِ الأدبِ كما قال الخَضِرُ عليه الصلاة والسلام: (فأردتُ أنْ أعيبها) وقال (أرادَ ربُّك أنْ يبلُغا أشدَّهما) أما الإماتةُ فحيث كانتْ من معظم خصائصِه تعالى كالإحياءِ وإعادةً وقد نيطتْ أمورُ الآخرةِ جميعاً بها وبما بعدَها من البعث نظمهما في سمطٍ واحدٍ في قوله تعالى: (يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ) على أنَّ الموتَ لكونه ذريعةً إلى نيله عليه الصلاةُ والسَّلامُ للحياة الأبديَّةِ بمعزل من أنْ يكون غيرَ مطبوع عنه عليه الصَّلاة والسَّلام (٢)، وكقوله تعالى (قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات) (الشعراء:٢٣) حذف فيها المبتدأ في ثلاثة مواضع قبل ذكر الرب؛ أي هو رب، الله ربكم الله، رب السماوات؛ لأن موسى استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال؛ فأضمر اسم الله تعظيما وتفخيما، ومثله قوله تعالى (رب أرني أنظر إليك)(الأعراف:١٤٣) أي ذاتك.

ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ شَيء، فَلْيَسْتَتِرْ بِسَتْرِ) (٣)، فالفعل ابتلي أسند إلى نائب الفاعل وحذف فاعله، وهو لفظ الجلالة صيانةً له عن ذكره في ذلك المقام، الذي سمى فيه الذنوب باسم (القاذورات)،

الداعي السادس: تحقير شأن المحذوف.

ونجد ذلك في كتب السِّيَر، عندما يؤذى عُظَماء الإسلام، يُقال أوذي فُلان؛ ومن ذلك قوله تعالى: (لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ)(البقرة:١٨) فلم يذكر المبتدأ تحقيرًا لشأنهم (٤).

---

(١) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، (٢٣٨/١)

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم ، (١٤٥/٥)

(٣) مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، موطأ الإمام مالك، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر،٨٢٥/٢، رقم١٥٠٨

(٤) للمزيد ينظر أبو حيان، البحر المحيط، (١٠١/١)والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١٥٥/٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الداعي السابع: قصد البيان بعد الإبهام.

حيث يرى البلاغيون أن ذلك يتحقق في فعل المشيئة إذا وقع شرطًا كما في قوله تعالى(لَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)(الأنعام:١٤٨)؛ فمفعول فعل المشيئة محذوف تقديره: ولو شاء الله هدايتكُم لهداكُم. وسر حذفه هو البيان بعدالإبهام؛ لأنه لما قيل لو شاء علم أن هناك شيئًا تعلقت به المشيئة لكنه مبهم، فلما جيء بجواب الشرط وضح ذلك الشيء وعلم أنه الهداية وإذن فكل من الشرط والجواب دال على المفعول غير أن الشرط دال عليه إجمالاً والجواب دال عليه تفصيلاً ، والبيان بعد الإبهام، أو التفصيل بعد الإجمال أوقع في النفس؛ لأن السامع لا يظفر بمعرفة المحذوف إلا بعد تطلع ولهفة(١).

الداعي الثامن: قصد الإبهام:

حيث أن الزمان يقصر عن ذكر المحذوف ولا يتعلق مراد المتكلم بتعيين المحذوف(٢)؛ فيَتَعَمَّد الحذف حتى لا ينصرف ذهن المستمع له، لأن ذكره لا يؤثر في الكلام أو الحكم، ومن ذلك قوله تعالى:(أُحْصِرْتُم)(البقرة:١٩٦)، فالمهم حدث الإحصار نفسه ولا يهم ذكر فاعله، بل إن ذكره قد يشغل المستمع عن الحدث وهو الأساس هنا، وربما يظن المستمع أن الحكم خاص به بالفاعل إذا ذكر، وقوله:(إِذَا حُيِّيتُم)(النساء:٨٦)، فلا يهم فاعل التحية المهم حدث التحية نفسه، وقوله:(قِيلَ لَكُم تَفَسَّحُوا)(المجادلة:١١)، لا يهم من القائل وذكره يشغل القارئ وربما يظن أن الحكم خاص به، والتنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم لا يتعلق مراد المتكلم بتعيين المحذوف(٣)فيَتَعَمَّد الحذف حتى لا ينصرف ذهن المستمع له، لأن ذكره لا يؤثر في الكلام أو الحكم.

الداعي التاسع: قصد التشويق واللهفة:

ومثاله قوله تعالى (ناقة الله وسقياها)(الشمس:١٣) فناقة الله تحذير(٤)، بتقدير ذروا وسقياها إغراء بتقدير الزموا.

---

(١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن بتصرف (١٥٦/٢)

(٢)ومن ذلك الجهل بالمحذوف كقولنا: (قُتِل فُلان)، و(سرقت الدار)، عندما لا نعرف القاتل والسارق .

(٣) الرازي، مفاتح الغيب،، (٢٧٤/١٥)

(٤) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١٥٤/٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الداعي العاشر: العلم الواضح بالمحذوف:

مثل قوله تعالى:(جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)(آل عمران:١٣٣) كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ)(البقرة:١٨٢)؛ بُني الفعلانُ(عِدَّتْ) وكُتِبَ) للمجهول للعلم بالفاعل وهو الله عز وجل، (عَالِمُ الْغَيْبِ)(الرعد:٩) المبتدأ محذوف للعلم به، والتقدير: الله عالم الغيب. فَإِنَّ قَوْلَ الشَّاعِرِ: خَلِيفَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكُمُ الأَرْزَاقِ (١).

الداعي الحادي عشر: قصد العموم

نحو (وإياك نستعين)(الفاتحة:٥) أي على العبادة وعلى أمورنا كلها، ومنها قوله تعالى:(والله يدعو إلى دار السلام)(يونس:٢٥)؛أي كل واحد (٢).

الداعي الثاني شر: رعاية الفاصلة والمحافظة على النسق القرآني:

وهو غرض لفظي؛ حيث تحذف حرف أو أكثر لمراعاة الفاصلة؛ مثل قوله تعالى: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)(الضحى:٣)، فمفعول الفعل قلى وهو ضمير المخاطب صلى الله عليه وسلم، محذوف لرعاية الفاصلة والتوافق الصوتي مع أواخر الآيات قبلها وبعدها(٣)، ومن براعة الإعجاز البلاغي في القرآن أننا نجد الحذف هنا يحقق – إلى جانب ذلك -غرضًا معنويًا، فالآية تنفي التوديع والقلي أي الهجر والبغض، فالله عز وجل يطمئن نبيه بعد فترة انقطاع الوحي أنه لم يهجره أو يبغضه كما زعم ذلك أعداؤه من الكفار حين حدثت تلك الفترة.

ولما كان هناك فارق دلالي بين الهجر والبغض، (إذ لهجر لا يكون إلا للحبيب أما البغض فهو للخصوم والأعداء) جاءت الآية الكريمة مراعية ذلك حيث ذكرت ضميره - صلى الله عليه وسلم - في جانب نفي الهجر (ما ودعك) ولم تذكره في جانب نفي البغض (وما قلى) إعلاءً لشأنه عليه الصلاة والسلام أن يذكر ضميره في جانب المقت والكره حتى لو كان هذا الجانب منفيًا

---

(١) الهاشمي، أحمد، جواهر الأدب،ص ٤١٦

(٢) بتصرف: حمودة، د طاهر سليمان، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ص٩٩.

(٣) بتصرف الآلوسي،روح المعاني، (١٥٥/٣٠)، وللمزيد ينظر الميداني، البلاغة العربية، ص٤٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الداعي الثالث عشر: طول الكلام:

وذلك عندماتطول التراكيب؛ فيقع الحذف تخفيفًا من الثقل؛ كجملة الصلة التي طالت، وأسلوب الشرط، وأسلوب القسم؛ ومن ذلك قوله تعالى:(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)(يس: ٤٥)، فالجواب لم يُذكر، وتقديره: "أعرضوا"؛ بدليل سياق الآية التالية لها.

وقوله تعالى:(وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى)(الرعد: ٣١)، التقدير: لكان هذا القرآن وجوابُ لو محذوفٌ لانسياق الكلام إليه بحيث يتسامعُ من التالي والمقصودُ إما بيانُ عِظم شأنِ القرآنِ العظيم، وفساد رأي الكفرة حيث لم يقدروا قدرَه العليَّ ،ولم يعدّوه من قبيل الآيات، فاقترحوا غيره مما أوتي موسى وعيسى عليهما السلام وإما بيانُ غلوهم في المكابرة والعِنادِ وتماديهم في الضلال والفساد(١)، فالمعنى لو أن قرآناً سُيّرت به الجبالُ أي بإنزاله أو بتلاوته عليها وزُعزعت عن مقارّها كما فُعل ذلك بالطور لموسى عليه الصلاة والسلام لكان هذا القرآن.

الداعي الرابع عشر: كثرة الاستعمال.

هذا التعليل كثير عند النحاة، وهو أكثر الأسباب التي يفسرون بها الظاهرة، ومن أمثلة ذلك:حذف خبر لا النافية للجنس كثيرًا مثل: لا إله إلا الله، لا ريب، لا شك، لا مفر، لاسيما. ومثل الأقوال التي كثر استعمالها؛ كقولنا: الجار قبل الدار. أي: تخير الجار قبل الدار. وقولنا: بسم الله، مفهومٌ به أنه مريد بذلك: أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم(٢)، وكذلك قوله: "بسم الله"عند نهوضه للقيام أو عند قعوده وسائر أفعاله، ينبئ عن معنى مراده بقوله"بسم الله"، وأنه أراد قِولِه"بسم الله"، أقوم باسم الله، وأقعد باسم الله. وكذلك سائر الأفعال.

---

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم- (٣/٤)

(٢)الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤ – ٣١٠هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، تحقيق: د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر،الطبعة: الأولى،(١١٥/١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الداعي الخامس عشر: أسباب نحوية وصوتية وشعرية(١).

---

(١) يدخل في هذا الباب العديد من الأسباب التي لا تظهر بارزة في القرآن الكريم ويمكن المرور عليها مرور الكرام مثل *حذف حرف متحرك أو أكثر من آخر الكلمة :مثل قول لبيد:دَرَسَ المَنَا بِمُتَالِعٍ فَأَبَانُ الأصل:المَنَازل، وحذف نون المثنى وجمع المذكر السالم؛ ومن ذلك قول امرئ القيس :

لها مَتْنَتَانِ خَظَاتَا كَبَيَّ عَلَى سَاعِدَيْ المِذَمِّرْ الأصل:خَظَاتان، و حذف النون الساكنة أو التنوين من آخر الكلمة؛ ومن ذلك قول العباس بن مرداس الفقيمي كان حِصْنٌ ولا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ :الأصل:مرداسًا، وحذف حرف المد أو ما يشبهه من آخر الكلمة؛ ومن ذلك قول الأعشى وَأَخْلَفَتَنِي ابْنَةُ شِبَامٍ يَصْرِمُنَهُ وَيَعُدْنَ أَعْدَاءً بُعَيْدَ وِدادِ: الأصل:الغَوَانِي، وحذف إشباع الحركة أو حذف الحركة؛ ومن ذلك قول مالك بن خريم فَإِنَّكَ لَا تُبْقِي لِنَفْسِكَ حُرْمَةً وَلَا تَتَّقِي فِينَا مَلِيمًا وَلَا ذَمَّا أَوْ سَمِينًا فإنني سأَجْعَلُ عِينِيَّ فَوْقَ مِرْفَقِهَا والأصل إشباع الهاء في كلمة نفسه، و حذف حرف أو حركة من داخل الكلمة؛ ومن ذلك قول ابنُ الزِّبَعْرَى لَمَّا رَأَتْ بَنُو كِنَانَةَ وَاسْتَحَرَّ القَتْلُ فِي عَبْدِ الأَشَلْ يريد: عبد الأشهل، والاجتزاء؛ وهو حذف معظم الكلمة؛ ومن ذلك قول حكيم بن معية التميمي :

بِالخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَرَا وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَا أي إن شرًّا فشر، ولا أريد الشر إلا أن تشاء.ح- حذف حرف من أحرف المعاني؛ ومن ذلك قول حسان بن ثابت مَنْ يَفْعَلِ الحَسَنَاتِ اللهُ يَشْكُرُهَا والشَّرُّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللهِ مِثْلَانِ أي فالله يشكرها، حذفت الفاء الواجب اقترانها بجواب الشرط؛ حيث إن جواب الشرط جملة اسمية، و الحذف للإعراب:مثل الحذف في حالة الجزم ومن ذلك حذف الحركة نحو: (لمأكتبْ). وحذف الحرف؛ مثل حذف النون من الأفعال الخمسة عند النصب أو الجزم نحو: (لم يلعبوا). وحذف لام الفعل الناقص في حالة الجزم؛ نحو قوله تعالى: (وَلَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ)(القصص:٨٨)، و الحذف للتركيب: فنجد حذف التنوين في التركيب الإضافي؛ نحو: (شاهدت طالبَ العلم)بدلاً من (طالبًا)، أو حذف النون؛ نحو: (مسلمو الهند متعاونون)بدلاً من(مسلمون)، و الحذف لأسباب قياسية صرفية أو صوتية؛ وهي:

أ- التقاء الساكنين:إذا التقى ساكنان في كلمة واحدة أو كلمتين، وجب التخلص من التقائهما بحذف أولهما أو تحريكه؛ ومن ذلك حذف لام الفعل الناقص عند الاتصال بواو الجماعة مثل: يسعون، وحذف عين الفعل الأجوف في حالة جزمه مثل:(لم يَصُمْ) .

ب- توالي الأمثال ومن مظاهره: التقاء نون الرفع من الأفعال الخمسة مع نون التوكيد؛ حيث تحذف نون الرفع وتبقى نون التوكيد- حذف حرف العلة استثقالاً : الفعل المثال الذي فاؤه واو تحذف في المضارع استثقالاً ؛ نحو: (وقف، يقف) (وعد – يعد)،بدلاً من(وَقَفُ يَوْعَدُ)د- حذف الهمزة استثقالاً

مثل همزة الفعل (رأى) تحذف في المضارع فيقال: (يرى)بدلاً من (يرأى) .

هـ- الحذف للوقف:ويكون في النطق لا الكتابة؛ مثل حذف الضمة والكسرة المنونتين عند الوقوف؛ نحو) :هذا زيد) و(مررت بزيد)؛ فننطق بالدال من كلمة (زيد) ساكنة .

و- صيغ الجمع:فتحذف تاء التأنيث في الجمع بالألف والتاء؛ فنقول: (ورقات، عائلات، سرقات) جمعًا لـ (ورقة، عائلة، سرقة).ز- صيغ التصغير التصغير إذا صغرت(السَّفَرْجلة) كانت لك أوجه أحدها أن تقول(سُفَيْرِجَة) فتحذف اللام في التصغير وإن شئت قلتَ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثل هذا الجانب فإنه ذو علاقة وثيقة بالإيجاز القرآني لأنه يستوعب في ثناياه العديد من الحقول والجوانب و يطبق على العديد من الأمثلة في القرآن الكريم، وإنما اكتفينا بالإشارة له في الحاشية؛ لأنه طرق بوجه مستفض في كتب النحو العربي والشروحات للشواهد الشعرية.

وبذلك يعلم ما لأسباب الإيجاز ودواعيه من أثر واضح في النظم القرآني الذي بني على الإيجاز، كما يظهر ما له من شد لنفس القارئ وخياله في النسق القرآني؛ فتراه تارة يسلط الضوء هنا وتارة يصرف القارئ هناك وتارة يحذف للإهمال وتارة للتشويق، وما ذاك إلا لحجة واضحة على الإعجاز القرآني في مصدره وأسلوبه.

سُ(فَيْرِلة)فتحذف الجيمَ .وكذلك(نَدْدَلِيب) تصغر على(نَادِل) و) عَنَادِب.)

ح- الحذف للنسب:مثل حذف تاء التأنيث؛ فنقول في النسب إلى فاطمة: (فاطميّ)، وحذف بعض الحروف مثل (فُهَنِيّ (في النسب إلى جهينة، وحذف عجز الجملة المنسوب إليها وحذف عجز المركب المزجي، فتقول في تأبط شرًّا: "تأبطيّ"، وفي لبك"عليّ."أما المركب الإضافي، فإن كان صدرابنا، أو كان معرفًا بعجزه، حُذِف صدره، وألحق عجزه ياء النسب، فتقول في ابن الزبير: "زبيريّ"وفي أبى بكر: "بكريّ."ط – الحذف للترخيم: والترخيم حذفُ أواخر الأسماء المفرد تخفيفاً، من خصائص المنادى لا يجوز في غيره إلا لضرورة الشعر؛ كقولنا في (سُعَاد) في ترخيم (سُعَاد)وكذا الحذف لأسباب قياسية تركيبة:أي في التركيب النحوي؛حيث تُحذف كلمة أو جملة أو أكثر، ولابد من دليل حالي أو مقالي يدل على المحذوف؛ مثل حذف المبتدأ، وحذف الخبر،،، وغير ذلك، ومن ذلك قولنا: (لولا الله ما اهتدينا)، التقدير: (لولا الله موجود ما اهتدينا)، وقولنا: (في البيت). لمن يسأل: (أين زيد؟).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: الإيجاز بالحذف دراسة تطبيقية و أثره في الإعجاز القرآني.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإيجاز بالنقلة في القصة القرآنية(الفجوة المقصودة) وأثرها في الإعجاز القرآني.

المطلب الثاني: شواهد من الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم، وأثره في الإعجاز القرآني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول: الإيجاز بالنقلة في القصة القرآنية(الفجوة المقصودة)، وأثرها في الإعجاز القرآني.

من جمال الإسلوب في القصة القرآنية، أنها تنتقل من مشهد إلى مشهد بإسلوب أخاذ، وعبارة سلسه، ولعل من أبرز من أخذ يجلي ألوان البلاغة والبيان في القصة القرآنية من المعاصرين الشيخ سيد قطب، فقد عبر عنه بكلمات مختلفة مثل: سحر القرآن [١]، وغير ذلك. يقول: سحر القرآن العرب منذ اللحظة الأولى سواء منهم في ذلك من شرح الله صدره للإسلام، ومن جعل على بصره غشاوه. وإذا تجاوزنا عن النفر القليل الذين كانت شخصية الرسول عليه الصلاة السلام هي داعيتهم إلى الإيمان من أول الأمر كزوجته خديجة وصديقه أبي بكر وابن عمه علي ومولاه زيد وأمثالهم، فإنا نجد القرآن كان العامل الحاسم أو أحد العوامل الحاسمة في إيمان من آمنوا أوائل أيام الدعوة يوم لم يكن لمحمد عليه الصلاة والسلام حول ولا طول، يوم لم يكن للإسلام قوة ولا منعة..."[٢].

ومن أبرز معالم هذا البيان الرائع التنقل بين الشاهد وحذف بعض الأحداث فيها التي تسبح النفس في تخيلها[٣].

ولقد اختلفت عبارات العلماء في مسمى الحذف في أحداث القصة القرآنية فبعضهم سماها الفجوة القرآنية[٤]، والبعض قد سماها النقلة القرآنية[٥]، ومهما كانت عبارات العلماء فالمقصود واحد"ولا مشاحة في الإصطلاح"[٦]

---

(١) أراد سيد بقوله سحر القرآن أي روعة بيانه وأذكر في هذا المقام قوله صلى الله عليه وسلم"إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمةً "ينظر أبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشدق من الكلام، رقم ٥٠٠٧.

(٢) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار المعرفة بمصر، ص١١.

(٣) لقد قام البعض بتسطير العبارات حول مواطن الحذف في القصص القرآني، وللعلماء في ذلك مذهبان بين الجواز وعدمه، والذي تطمئن له نفس الباحث عدم جواز الكتابة في ذلك على سبيل الحصر والتحقيق؛ لأن في ذلك تألي على الله عزوجل، وإبطال للمغزى القرآني من الحذف؛ وهو تسريح النفس في القصة القرآنية، فيكتفى بالإشارة لذلك المحذوف ووضع التصورات حوله على سبيل التقريب والتوضيح والله أعلم.

(٤) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٢٥٠/١).

(٥) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، (٢٧٢٧/١)

(٦) لا مشاحة: أي لا مضايقة ولا منازعة يقال: لا مشاحة في الاصطلاح أي: لا مضايقة فيه بل لكل أحد أن يصطلح على ما يشاء إلا أن رعاية الموافقة في الأمور المشهورة بين الجمهور أولى وأحب، ينظر أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، كتاب الكليات، (٩٧٠/١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أبرز الأمثلة على الفجوة القرآنية المقصودة في سياق الحديث عن قصة طالوت عند ذكر قوله تعالى: "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ "(البقرة:٢٤٨_٢٤٩)

يقول سيد قطب"وكان أعداؤهم الذين شردوهم من الأرض المقدسة - التي غلبوا عليها على يد نبيهم يوشع بعد فترة التيه ووفاة موسى - عليه الصلاة والسلام - قد سلبوا منهم مقدساتهم ممثلة في التابوت الذي يحفظون فيه مخلفات أنبيائهم من آل موسى وآل هارون وقيل: كانت فيه نسخة الألواح التي أعطاها الله لموسى على الطور.. فجعل لهم نبيهم علامة من الله، أن تقع خارقة يشهدونها، فيأتيهم التابوت بما فيه، تحمله الملائكة فتفيض على قلوبهم السكينة.. وقال لهم: إن هذه الآية تكفي دلالة على صدق اختيار اللهلطالوت، إن كنتم حقاً مؤمنين"[1].

ويبدو من السياق أن هذه الخارقة قد وقعت، فانتهى القوم منها إلى اليقين، ثم أعد طالوت جيشه ممن لم يتولوا عن فريضة الجهاد، ولم ينكصوا عن عهدهم مع نبيهم من أول الطريق.. والسياق القرآني على طريقته في سياقة القصص يترك هنا فجوة بين المشهدين. فيعرض المشهد التالي مباشرة وطالوت خارج بالجنود:فلما فصل طالوت بالجنود قال: إن الله مبتليكم بنهر. فمن شرب منه فليس مني، ومن لم يطعمه فإنه مني - إلا من اغترف غرفة بيده. فشربوا منه إلا قليلاً منهم، وهنا يتجلى لنا مصداق حكمة الله في اصطفاء هذا الرجل.. إنه مقدم على معركة؛ ومعه جيش من أمة مغلوبة، عرفت الهزيمة والذل في تاريخها مرة بعد مرة. وهو يواجه جيش أمة غالبة فلا بد إذن من قوة كامنة في ضمير الجيش تقف به أمام القوة الظاهرة الغالبة، هذه القوة الكامنة لا تكون إلا في الإرادة. الإرداة التي تضبط الشهوات والنزوات، وتصمد للحرمان والمشاق، وتستعلي على الضرورات والحاجات، وتؤثر الطاعة وتحتمل تكاليفها، فتجتاز الابتلاء بعد الابتلاء.

وكما أن قصة عيسى عليه الصلاة والسلام قد حوت من ذلك في مقام النص الوارد حول القصة في سورة آل عمران،إذ يقول الله جل جلاله: "إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي

([1]) قطب، في ظلال القرآن، (٢٥٠/١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإنجيل، إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (آل عمران:٤٥_٥٢)

يقول صاحب الظلال مبيناً للمحذوف"وهنا فجوة كبيرة في السياق. فإنه لم يذكر أن عيسى قد ولد بالفعل؛ ولا أن أمه واجهت به القوم فكلمهم في المهد؛ ولا أنه دعا قومه وهو كهل؛ ولا أنه عرض عليهم هذه المعجزات التي ذكرت في البشارة لأمه (كما جاء في سورة مريم).. وهذه الفجوات ترد في القصص القرآني، لعدم التكرار في العرض من جهة، وللاقتصار على الحلقات والمشاهد المتعلقة بموضوع السورة وسياقها من جهة أخرى [١].

وعلى شاكلة ما سبق في سورة الأعراف من قصة نوح عليه الصلاة والسلام يقول لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ، أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (آل عمران:٦٢).ونلمح هنا فجوة في السياق[٢]، فكأنما عجبوا أن يختار الله رسولاً من البشر من بينهم، يحمله رسالة إلى قومه،وأن يجد هذا الرسول في نفسه علماً عن ربه لا يجده الآخرون، الذين لم يختاروا هذا الاختيار.. هذه الفجوة في السياق يدل عليها ما بعدها.

أما في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام فثمة موطن يدل على النقلة في القصة ومن ذلك قوله تعالى: (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) (يوسف:٨٧)وجاء النص بعد قوله تعالى: (فَلَمَّا دَخَلُوا ...).

يقول الشيخ الشعراوي"ويأتي هنا يعقوب عليه الصلاة والسلام بالقضية والمبدأ الذي يسير عليه كل مؤمن: إنه لا ييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون)(يوسف: ٨٧)

---

(١) قطب، في ظلال القرآن، (٣٧٣/١)

(٢) قطب، في ظلال القرآن، (٢٤١/٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن الذي ليس له رَبٌّ هو مَنْ ييأس، ولذلك نجد نسبة المنتحرين بين الملاحدة كبيرة، لكن المؤمن لا يفعل ذلك؛ لأنه يعلم أن له رباً يساعد عباده، وما دام المؤمن قد أخذ بالأسباب؛ فسبحانه يَهبُه ممَّا فوق الأسباب، وسبحانه يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ (الطلاق: ٢-٣).

وهذه مسألة تحدث لمن يتقي الله. أتحدى أن يوجد مؤمن ليس في حياته مثل هذه الأمور، ما دام يأخذ بالأسباب ويتقي الله، وسوف يجد في لحظة من لحظات الكرب أن الفرج قد جاء من حيث لا يحتسب؛ لأن الله هو الرصيد النهائي للمؤمن.

وينقلنا الحق سبحانه إلى نَقْلة أخرى؛ وهي لحظة أنْ دخلوا على يوسف عليه الصلاة والسلام في مقرِّه بمصر؛ ونقرأ قوله الحق: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ ..."[1].

ومثال آخر في سورة النمل يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ (النمل:٢٩)

نلحظ هنا سرعة جواب الأمر (اذهب)(النمل: ٢٨) فبعده مباشرة قالت ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾(النمل: ٢٩) وهذا يدل على أن أوامر سليمان كانت محوطة بالتنفيذ العاجل؛ لذلك حذف السياق كل التفاصيل بين الأمر (اذهب)(النمل: ٢٨) والجواب﴿قَالَتْ﴾ (النمل: ٢٩) هكذا على وجه السرعة[2].

أما سورة الكهف فمن مواطن الفجوة المقصودة عند قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾(الكهف:٢١)

يقول الرازي مبيناً دلالات الحذف، فكان العثار سبباً لحصول العلم والتبين فأطلق اسم السبب على المسبب واختلفوا في السبب الذي لأجله عرف الناس واقعة أصحاب الكهف على وجهين:

الأول: أنه طالت شعورهم وأظفارهم طولاً مخالفاً للعادة وظهرت في بشرة وجوههم آثار عجيبة تدل على أن مدتهم قد طالت طولاً خارجاً عن العادة.

---

(١) الشعراوي، تفسير الشعراوي، (٤٤٧٠/١)

(٢) الفخر الرازي، مفاتح الغيب،- (١٨٦/١٠)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والثاني: أن ذلك الرجل لما دخل إلى السوق ليشتري الطعام وأخرج الدراهم لثمن الطعام قال صاحب الطعام: هذه النقود غير موجودة في هذا اليوم. وإنها كانت موجودة قبل هذا الوقت بمدة طويلة ودهر داهر فلعلك وجدت كنزاً ، واختلف الناس فيه وحملوا ذلك الرجل إلى ملك البلد فقال الملك من أين وجدت هذه الدراهم؟ فقال:بعت بها أمس شيئاً من التمر، وخرجنا فراراً من الملك دقيانوس فعرف ذلك الملك أنه ما وجد كنزاً وأن الله بعثه بعد موته ثم قال لِيَبْعَثَهُمْ(أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ) يعني أنا إنما أطلعنا القوم على أحوالهم ليعلم القوم أن وعد الله حق بالبعث والحشر والنشر روى أن ملك ذلك الوقت كان ممن ينكر البعث إلا أنه كان مع كفره منصفاً فجعل الله أمر الفتية دليلاً للملك، وقيل بل اختلفت الأمة في ذلك الزمان فقال بعضهم: الجسد والروح يبعثان جميعاً [١].

ومما سبق يتبن أن ثمة موطن في القصة القرآنية في القرآن الكريم يحمل في طياته لون جميل من ألوان الإيجاز القرآني وهو النقلة أو الفجوة المقصودة التي من أبرز دلالاتها تسريح النفس في جوانب القصة مما يجعل القارئ والسامع يعش أجواءها بكل متعة وشوق، بذلك يتجلى لون مميز من ألوان الإعجاز القرآني العظيم.

([١]) الشعراوي، تفسير الشعراوي، (٦٧٣٥/١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: شواهد من الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم، أثرها في الإعجاز القرآني.

لا يكاد يخلو كتاب من كتب التفسير من الحديث بأنواعه وأقسامه واعتباره نوعً من أنواع الإيجاز، الذي ينطوي عليه إعجاز القرآن الكريم، منها المكثر ومنها المقل، فكان أكثرها ذكراً كتب التفسير البلاغي والنحوي؛ مثل كتاب الكشاف للزمخشري، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.

وفي هذا المبحث نذكر إن شاء الله بعض النماذج على سبيل الاستدلال التأصيلي:

ففي تفسير قوله تعالى: "غير المغضوب عليهم"(الفاتحة:٧)

قال الآلوسي رحمه الله"وقال بعضهم في الآية حذف والتقدير غير صراط المغضوب عليهم[١]، فالمعنى لا يكون واضحاً إلا بتقدير ذلك المحذوف.

وعند تفسيره لقوله تعالى:"كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (البقرة:٢٠)، فالمفعول محذوف أي: كلما أضاء لهم ممشى مشوا فيه وسلكوه[٢]، لأن الفعل أضاء فعل متعدي فلا يستقيم المعنى إلا بتقدير المحذوف.

وفي قوله تعالى:(فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) (البقرة:٢٤)، أي في زعمكم أنه من كلامه عليه الصلاة والسلام وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه أي إن كنتم صادقين فأتوا بسورة من مثله الخ واستلزام المقدم للتالي من حيث أن صدقهم في ذلك الزعم يستدعى قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه الصلاة والسلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والأشعار وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام لاسيما عند المظاهرة والتعاون ولا ريب في أن القدرة على الشئ من موجبات الإتيان به ودواعى الأمر به [٣].

وفي تفسير قوله تعالى:"فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العالمين"(البقرة:٤٧) ففي الآية عطف على نِعْمَتِيَ وهو من عطف الخاص على العام،والكلام على حذف مضاف أي فضلت آباءكم وهم

---

(١)الآلوسي، روح المعاني (٧٦/١)

(٢)الآلوسي، روح المعاني (١٩٥/١)

(٣) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٦٦/١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذين كانوا قبل التغيير، أو باعتبار أن نعمة الآباء نعمة عليهم، قال الزجاج: والدليل على ذلك قوله تعالى:(إِذْ نجيناكم)(البقرة: ٤٩)، والمخاطبون لم يروا فرعون ولا آله[١].

وفي تفسير قوله تعالى:"نَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ "(البقرة:٥٨) فذلك وعد بالزيادة من خيري الدنيا والآخرة ولذلك حذف مفعول نزيد. وسنزيد حكيت في سورة الأعراف مستأنفة [٢]، فعلم أنها تعبر عن نظير لها في الكلام الذي خاطب الله به موسى على معنى الترقي في التفضل[٣]، وعند تفسير قوله تعالى:"تَطَوَّعَ خَيْراً فهو خيرٌ له)(البقرة:١٨٤) فهو تعلَّق بمحذوفٍ، أي: خيرٌ كائنٌ له، وقوله:(أَن تَصُومُواْ خيرٌ لكم إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)طٌ حُذِفَ جوابُهُ، تقديرُه: فالصومُ خيرٌ لكم حُذِفَ مفعولُ العلم إمَّا اقتصاراً [٤]، أي: إن كنتمْ من ذوي العلم والتمييز، أو اختصاراً لعلمكم ما شرعيتُه وتبيينُه، أو فَضْلَ ما عِلْمْتُم.

ومن ذلك ما ذكره الشنقيطي في تفسيره لقوله تعالى:" الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى"(البقرة:١٨٩)، لم يصرح هنا بالمراد بمن اتقى، لكنه بيَّنه في قوله:(آمَنَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ الْكِتَابِ وَ النَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ فِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)(البقرة:١٧٧) والكلام في الآية على حذف مضاف[٥]، أي ولكن ذا البر من اتقى، وقيل ولكن البر بر من اتقى.

وفي تفسير قوله تعالى: الْحَجُّ أَشْهُرٌ)(البقرة:١٩٧) ففي تقدير احتمالاتٍ:

أحدُهما:أنه على حَذْف مضافٍ من الأول، تقديرأشهرُ الحجِّ أشهرٌ معلوماتٌ .

الثانيالحَذْفُ من الثاني تقديرالحجُّ حَجُّ أشهرٍ[٦] حَذَفَ من كلٍّ واحدٍ ما أَثْبَتَ نظيرَهُ.

وكما في تفسير قوله تعالى:(يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ)(البقرة:٢٢٨).

---

(١)الآلوسي، روح المعاني (٣٠٢/١)

(٢) إشارة لقوله تعالى:(وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ)(الأعراف:١٦١)

(٣) بتصرف ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٤٥/٣)

(٤) بتصرف يسير السمين الحلبي، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (٤٢٢/١)

(٥)الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني ت ٣٩٣هـ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م،(٧٤/١)

(٦) بتصرف يسير السمين الحلبي، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (٤٢٢/١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال أبوحيان رحمه الله"هذا شرط جوابه محذوف على الأصح من المذاهب، حذف لدلالة ما قبله عليه، ويقدر هنا من لفظه، أي إن كنّ يؤمنّ بالله واليوم الآخر، فلا يحل لهنّ ذلك والمعنى: أن من اتصف بالإيمان لا يقدم على ارتكاب ما لا يحل له، وعلق ذلك على هذا الشرط، وإن كان الإيمان حاصلاً لهنّ إيعاداً وتعظيماً للكتم"(١).

وفي تفسير قوله تعالى: "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة"(البقرة:٢٦١)، يقول القرطبي رحمه الله"وفي الكلام حذف مضاف تقديره مثل نفقة الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة. وطريق آخر: مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل زارع زرع في الأرض حبة فأنبتت الحبة سبع سنابل، يعني أخرجت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، فشبه المتصدق بالزارع وشبه الصدقة بالبذر فيعطيه الله بكل صدقة له سبعمائة حسنة(٢).

وفي تفسير قوله تعالى: "ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه"(آل عمران:٩) أي لحساب يوم أو لجزاء يوم حذف المضاف وأقيم مقامه المضاف إليه(٣)، تهويلا له وتفظيعا لما يقع فيه.

وفي تفسير قوله تعالى: "وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ "(الأنعام:١٣٦) ففي الكلام حذف واختصار، وهو وجعلوا لأصنامهم نصيبا؛ دل عليه ما بعده. وكان هذا مما زينه الشيطان وسوله لهم، حتى صرفوا من ماله طائفة إلى الله بزعمهم وطائفة إلى أصنامهم(٤)؛ والمعنى متقارب.

وفي تفسير قوله تعالى:" وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (الأعراف:٨٢)، فميثاق النبيين في تقديره أوجه(٥):

أحدها أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك.

---

(١)أبو حيان، البحر المحيط (١٩٨/٢)

(٢)القرطبي، تفسير القرطبي (٣٠٣/٣)

(٣) أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٩/٢)

(٤)القرطبي، تفسير القرطبي(٤٩٩/١)

(٥)الزمخشري، الكشاف(٢٩١/١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والثاني أن يضيف الميثاق إلى النبيين إضافته إلى الموثق لا إلى الموثق عليه، كما تقول ميثاق الله وعهد الله، كأنه قيل: وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم.

والثالث: أن يراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف.

والرابع: أن يراد أهل الكتاب وأن يرد على زعمهم تهكماً بهم، لأنهم كانوا يقولون: نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب ومنا كان النبيون.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾(هود:٦٦) ففي ملة (من خزي يومئذٍ) حذف المعطوف، أي: ونجيناهم من خزي يومئذٍ، ومن قرأ بكسر الميم أعربه، ومن قرأ بالفتح بناه؛ لاكتساب المضاف البناء من المضاف إليه"[١].

وفي تفسير قوله تعالى: "واتخذ سبيله في البحر عجبًا"(الكهف:٦٣)، فالتقدير؛ فحيى الحوت، واضطرب، ووقع في البحر[٢] واتخذ سبيله فيه سبيلاً عجبًا.

ومما ذكره العثيمين في تفسيره لقوله تعالى"فلولا فضل الله عليكم ورحمته"(البقرة:٦٤) أي بإرسال الرسل، وبيان السبل، وغير ذلك فـ"الفضل"بمعنى التفضل؛ و"لولا"حرف امتناع لوجود؛ و"فضل"مبتدأ، وخبره محذوف،والتقدير: فلولا فضل الله عليكم موجود[٣].

ويدخل في هذا الباب ما ذكره علماء الإعجاز القرآني من مقارنات بين الآيات التي فيها حذف لبعض الألفاظ وذكر في موضع آخر،[٤] وهو على ضروب ثلاثة وهي:

أولاً :الذكروالحذف في الحروف:

من روائع البيان القرآني المعجز أنه يحذف حرفاً من بعض ألفاظه في موضع ويذكره في موضع آخر، وحذف هذا الحرف ليس حذفاً اعتباطياً كما أن ذكره ليس مصادفة عشوائية إنما ذكره لحكمة وحذفه لحكمة.

وهناك أغراض يذكرها أهل اللغة في هذا الباب فيقولون: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى إلى غيرها من الأغراض العربية وفي القرآن نجد من هذا كثيراً ولكن يحكمه التوازن الدقيق ليس في بعض أبوابه بل في كل أبوابه.

---

(١)ابن عجيبة، البحر المديد (٣٠٧/٣)

(٢)ابن عجيبة، البحر المديد (٢٥٤/٤)

(٣) ابن عثيمين، تفسير القرآن، (١٦٢/٣)

(٤) سبق أن أشارالباحث لهذه الفكرة عن حديثه عن أغراض الحذف فيكتفى هنا بذكر بعض الأمثلة من كتب الإعجاز المعاصرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولننظر إلى بعض الأمثلة في حكمة ذكر أو حذف بعض حروف الكلمات في القرآن الكريم ومثالها"تطع" و"تستطع".

وردت هاتان الكلمتان في قصة موسى و العبد الصالح، حيث رافق موسى العبد الصالح وأمره بعدم سؤاله عما يفعله فكان يفعل أموراً يرى موسى أن العبد الصالح فيها مخالف فينكر عليه، فقال له بعد إنكاره الفعل الثالث ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾ (الكهف:٧٨)بإثبات التاء.

ثم نبأه بتأويل أفعاله وأخبره أنه لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾"ثم ذكر قوله: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾ (الكهف: ٨٢) بحذف التاء، ووجه الإعجاز البلاغي هنا أن المرة الأولى كان موسى في قلق جرّاء أفعال العبد الصالح، فراعى السياق القرآني الثقل النفسي الذي يعيشه موسى عليه الصلاة والسلام فأثبت التاء ليتناسب مع الثقل النفسي لموسى، الثقل في نطق الكلمة بزيادة الحرف. وحذفه في المرة الثانية بعد زوال الحيرة وخفة الهم عن موسى ليتناسب خفة الهم مع خفة الكلمة بحذف الحرف الذي ليس من أصل الكلمة[1].

وكذا في تفسير قوله تعالى"اسطاعوا"و"استطاعوا":

فقد جاءت هاتان الكلمتان في سورة الكهف في الحديث عن السد الذي بناه ذو القرنين على يأجوج ومأجوج وأنه بعد أن بناه عليهم كي يمنع فسادهم أرادوا الخروج فحاولوا تسلق السد فلم يفلحوا ثم حاولوا أن ينقبوه أو يخربوه فلم يستطيعوا كذلك، قال تعالى ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً﴾ (الكهف: ٩٧)

فلماذا حذف التاء في الأولى وأثبته في الثانية ؟. يظهر والله أعلم أن ذلك ليتناسب مع السياق فتسلق السد شيء لطيف يحتاج إلى لطف وخفة فناسب حذف التاء والنقب والخراب شيء ثقيل يحتاج إلى جهد وقوة ومعدات ثقيلة فناسب ذكر التاء ليكون ثقل الكلمة مناسب لثقل الفعل وخفة الكلمة مناسب لخفة الفعل، فسبحان الذي ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾(الإسراء: ٨٨)

---

(1)١- الخالدي، إعجاز القرآن البياني، ص ٢٤٢-٢٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعند ذكر قوله تعالى: "قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (الجاثية:١٥) فحذف المقول؛لأنّ الجواب دال عليه[١]، والمعنى: قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون أيام .

وفي تفسير قوله تعالى: "وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم"(الأحقلف:١١)، ففي الآية حذف وتقديره:وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم، فسيقولون هذا إفك قديم، فهذا المضمر صحّ به الكلام[٢].

وفي تفسير قوله تعالى: "وحور عين"(الواقعة:٢٢) هو مرفوع على أنه مبتدأ خبره محذوف دل المقام عليه، أي: وفيها حور عين[٣]، أو لهم حور عين.

وفي تفسير قوله تعالى: "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم"(المجادلة:٧)؛ أي من ذوي نجوى، أو مصدراً أطلق على الجماعة المتناجين [٤].

وعند ذكر قوله تعالى: "ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد"(الفجر:٦)

قوله إِرَمَ عطف بيان لعاد وإيذاناً بأنهم عاد الأولى القديمة وإن جعلناه اسم البلدة أو الأعلام كان التقدير بعاد أهل إرم[٥]، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه.

وفي قوله تعالى: "لكم دينكم ولي دين"(الكافرون:٦) فيكون على تقدير حذف المضاف أي لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني وحسبهم جزاء دينهم وبالاً وعقاباً كما حسبك جزاء دينك تعظيماً وثواباً [٦]، على تقدير لكل جزاء ما عمل وقدم.

وذكر الدكتور فاضل السامرّائي بعض حالات ذكر وحذف الحرف في القرآن الكريم فقال: نذكر من حالات ذكر وحذف الحرف في القرآن الكريم حالتين:

الأولى: عندما يحتمل التعبير ذكر أكثر من حرف، ومع ذلك يحذفه.

والثانية عندما لا يحتمل التعبير ذكر حرف بعينه[٧].

---

(١)الزمخشري، الكشاف(٢٧٧/٦)

(٢)الزمخشري،الكشاف (٢٩٧/٦)

(٣)الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،(٣٣٢/١)

(٤)أبو حيان، البحر المحيط (٢٣٣/٨)

(٥)الرازي، مفاتح الغيب (١٥٢/٣١)

(٦)الرازي، مفاتح الغيب (١٣٧/٣٢)

(٧) السامرائي، فاضل صالح، التعبيرالقرآني، دار عمار، ط٢، ١٩٩٨، ص٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثال الحالة الأولى: (أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)(النمل:٩١) يحتمل أن يكون المحذوف(الباء)؛ لأن الأمر عادة يأتي مع حرف الباء (أمرت بأن) كما في قوله تعالى (تأمرون بالمعروف) كما يحتمل التعبير ذكر حرف اللام (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) فلماذا حذف؟ هذا ما يسمى التوسع في المعنى وأراد تعالى أن يجمع بين المعنيين (الباء واللام) فإذا أراد التخصيص ذكر الحرف وإذا أراد كل الاحتمالات للتوسع في المعنى يحذف.

أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم(مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَ)(الأعراف:١٦٩).

في الآية حرف جر محذوف، يحتمل أن يكون (في) (ألم يؤخذ عليهم في ميثاق الكتاب)، ويحتمل أن يكون (اللام) (ألم يؤخذ عليكم ميثاق الكتاب لئلا يقولوا على الله إلا الحق) ويحتمل أن يكون (على) (ألم يؤخذ عليكم ميثاق الكتاب على ألا يقولوا على الله إلا الحق) ويحتمل أن يكون بالباء (ألم يؤخذ عليكم ميثاق الكتاب بألا يقولوا على الله إلا الحق) لذا فهذا التعبير يحتمل كل معاني الباء واللام وفي وعلى للتوسع في المعنى أي أنه جمع أربع معان في معنى واحد بحذف الحرف.

مثال الحالة الثانية: يحذف الحرف في موقع لا يقتضي إلا الحذف بالحرف، والذكر يفيد التوكيد بخلاف الحذف (مررت بمحمد وبخالد) أوكد من (مررت بمحمد وخالد).

مثال من القرآن الكريم: في سورة آل عمران قال تعالى: (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ)(آل عمران:١٤٢،١٤١).

إذا كان التعبير يحتمل تقدير أكثر من حرف يُحذف للتوسع في المعنى وعندما لايحتمل إلا حرفاً بعينه فيكون في مقام التوكيد أو التوسع وشمولية المعنى: (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)(آل عمران:١٤٢) ذكرت اللام في كلمة (ليعلم) وحذفت في كلمة (يتّخذ)، الآية الأولى نزلت بعد معركة أحد (ليعلم الله الذين آمنوا) غرض عام يشمل كل مؤمن ويشمل عموم المؤمنين في ثباتهم وسلوكهم أي مما يتعلق به الجزاء ولا يختص به مجموعة من الناس فهو غرض عام إلى يوم القيامة والله أعلم. وهذا علم يتحقق فيه الجزاء. أما في قوله (يتخذ منكم شهداء) ليست في سعة الغرض الأول فالشهداء أقل من عموم المؤمنين. وكذلك في قوله تعالى في سورة آل عمران: (وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ)(آل عمران: ١٤١) ذكرت في (ليمحص) ولم تذكر في (يمحق). غرض عام سواء في المعركة (أحد) أو غيرها لمعرفة مقدار ثباتهم وإخلاصهم وهو أكثر اتساعاً وشمولاً من قوله تعالى: (ويتخذ منكم شهداء) ويمحق الكافرين ليست بسعة (ليمحص الله) لم تخل الأرض من الكافرين ولم يمحقهم جميعاً . وزوال

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكافرين ومحقهم على وجه العموم ليست الحال وليست بمقدار الغرض الذي قبله. (ليعلم الله) غرض كبير متسع وكذلك قوله تعالى (ليمحص الله) إنما قوله تعالى: (يتخذ منكم) و(يمحق الكافرين) فالغرض أقل اتساعاً لذا كان حذف الحرف (لام).

أما في قوله تعالى: (لِيَبْتَلِيَ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (آل عمران:١٥٤). هنا الغرضان بدرجة واحدة من الاتساع ولهذا وردت اللام في الحالتين.

ثانياً :الذكر والحذف لبعض كلمات الآية

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاء كَرْهاً) (النساء: ١٩) مع أن أكثر المنهيات كانت تلي حرف النهي مباشرة كقوله تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم"وقوله:(ولا تقربوا الزنى)وقوله:(ولا تقربوا مال اليتيم) .. الخ المنهيات، ففي هذه الآية لم يقل لا ترثوا النساء كرهاً بل قال"لا يحل لكم..الخ".

وعند البحث عن نظائر هذه الآية كقوله تعالى:(ولا يحل لكم أن تأخذوا مما أتيتموهن شيئاً)(البقرة:٢٢٩). يبدو والله أعلم أن هذه الكلمة إنما تأتي بجانب قضايا كان الناس يزاولونها من دون أن يروا بها بأساً أو حرجاً كالقضايا السابقة بل كانت عادات منتشرة بين العرب، أما بقية المنهيات الأخرى كالقتل والزنى وأكل مال اليتيم وغيرها فهي أمور تنفر منها العقول السليمة والطباع المستقيمة وتنكرها الأعراف السائدة لا يقرها عقل ولا شرع؛ لذلك كان النهي عنها مباشراً لما جبل في الفطرة على النفور منها بخلاف الأشياء السابقة المقررة عندهم فتحتاج لترسيخ التحريم ألفاظاً قوية حادة قاطعة. فانظر إلى جمال التعبير القرآني لهذه الأمور حتى لا يساورها شك في التحريم. فهذه فروق عجيبة في التعبير أعجزت أفصح البلغاء عن معارضته، سبحان العليم الخبير[1]

١ ـ جاء في قوله تعالى في حديثه عن الزوجين اللذين لا يستطيعان مواصلة الحياة الزوجية(وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً)(النساء: ١٣٠).

وجاء في قوله تعالى مبيناً حرمة دخول المشركين إلى المسجد الحرام للمفارقة العقدية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(التوبة: ٢٨).

فلماذا ذكر في الآية الأخيرة"إن شاء"ولم يذكرها في السابق مع أن الحديث عن موضوع واحد وهو الإغناء وكذلك كل شيء إنما يكون بمشيئة الله تعالى..

([1])- عباس، إعجاز القرآن،ص٢١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والذي يظهر والله أعلم أن الآية الأولى جاءت خطاباً لبعض الأفراد الذين تعسر عليهم مواصلة الحياة الزوجية رجالاً كانوا أم نساء فأراد الله تبارك وتعالى _ والله أعلم بما ينزل _ أن يبين لهم سعة فضله وواسع رزقه وعظيم تيسيره.

وأما الآية الثانية فجاءت خطاباً للأمة والأمة لابد أن تتعود التضحية للمحافظه على عقائدها ومقدساتها مهما كلفها ذلك من ثمن وقد يؤدي بها ذلك إلى أن تحرم بعض المكاسب وتتحمل كثيراً من الأعباء لذا ذكر فعل المشيئة.

فانظر إلى هذه اللفتة البيانية العظيمة في كتاب الله تعالى يظهر لك أن كل حرف وكلمة في كتاب الله تعالى وضع لحكمة"والله أعلم بما ينزل".

ويشبه الآية الأولى كلام الله تعالى (وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)(النور: ٣٢).فهذه الآية كذلك لم تتقيد بالمشيئة لأنها شئون فردية[١]

٢ ـ قوله تعالى (وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ)(الأحزاب: ٣٥) لماذا ذكر كلمة فروجهم عند كلامه عن الرجال ولم يذكر ذلك عند كلامه على النساء، وقد يقال إن ذلك من باب حذف المفعول لدلالة ما قبله عليه وهذا من أبواب العربية وهو معروف.

إلا أن هناك أمراً آخر قد نلمسه في بيان سر الحذف وهو أن الله سبحانه وتعالى لم يمدح النساء بحفظ الفروج فقط ولكنه مدحهن بمطلق الحفظ، والمرأة لا ترتقي لهذه الأوجه ولا تصل لهذه الرتبة إلا إذا حافظت على نفسها من كل أسباب الغواية، ولو جاء في الذكر الحكيم لفظ (والحافظات لفروجهن) لوجدنا امرأة تقبل على الرجال الأجانب وتفعل معهم كل ألوان الزنا المجازي عدا الزنا في الفرج وتقول إنها حفظت فرجها فتدخل في زمرة الممدوحين في هذه الآية فهذه المرأة قد وقف النظم القرآني أمامها لأن القرآن لم يرد من المرأة حفظ الفرج فقط ولكن حفظ كل ما من شأنه أن يحفظ؛ لأنها كلها عورة فحذف المفعول للتعميم والشمول وسبحان من نزل القرآن تبياناً لكل شيء ونلمس هذا الحذف قد يكون أعم من الذكر.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن هذا الحذف قد أضاف معنى زائداً على اللفظ الظاهر، وهذا هو جوهر الإيجاز الذي يقتضي الإتيان بأقل العبارات مع الاشتمال على أغزر المعاني، وما لذلك من الأثر الواضح على الإعجاز القرآني فلا يتسنى لبشر مهما بلغ من البلاغة والبيان أن يصل لهذه الدرجة من عمق المعاني وقوتها وسعتها، مع ذاك الاقتضاب في الألفاظ كيف وإن كان ممن هو أمي فهو أحرى بالعجز.

([١])- عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص٢١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني: الإيجاز بالاحتباك والاكتفاء، وأثرهما في الإعجاز القرآني.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الإيجاز بالاحتباك و أثره في الإعجاز القرآني.
المبحث الثاني: الإيجاز بالاكتفاء و أثره في الإعجاز القرآني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول: الإيجاز بالاحتباك و أثره في الإعجاز القرآني.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الاحتباك في اللغة والإصطلاح٠

المطلب الثاني: أنواع الإيجاز بالاحتباك في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: شروط الإيجاز بالاحتباك في القرآن الكريم، بلاغته، وكونه من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم:

المطلب الرابع: شواهد من الإيجاز بالاحتباك وأثرها في إعجاز القرآن الكريم٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول: الاحتباك في اللغة والاصطلاح:

أولاً: الاحتباك في اللغة:

يمكننا القول بأن المعجمات اللغوية قد حددت معنى الحبك في الشدّ والإحكام وتحسين:

فقد جاء في القاموس المحيط أن الاحتباك: من حبك الشيء حبكا، أي: أحكمه، يقال: حبك الثوب، أي أجاد نسجه، وحبك الحبل: شد فتله، وحبك العقدة: قوى عقدها ووثقها، وحبك الأمر: أحسن تدبيره، وحبك الثوب ثنى طرفه وخاطه، وحبك الشيء يسمى حبكه، والشعر جعده والثوب نسجه، والحباك الطريقة تحدثها الريح في الرمل والماء الساكن وحظيرة من قصب مشدود بعضه إلى بعض، وحباك الثوب ما ثني وخيط من أطرافه، وحباك الحمام سواد ما فوق جناحيه، والحبكة الحبل يشد به على الوسط ومن السراويل ما فيه التكة، ويقال فرس محبوك قوي شديد"[١].

وأخذ الاحتباك بالباء وهوشدُّ الإزار)"[٢]وقال صاحب الصحاح: ومما جاء بهذا المعنى ما روي عن عائشة – رضي الله عنها – إنها كانت تحتبك تحت الدرع في الصلاة[٣]، أي تشد الإزار وتحكمه[٤].

فعند سماع لفظ (احتباك) لأول وهلة، يتراءى للذهن تلك الصورة من تداخل خيوط نسج الثوب، أوقطع القصب مع بعضها وتفاوتها عن بعضها، كما توحي اللفظة بتراص الخيوط مع بعضها؛ بحيث تندثر بينها الفرج التي تبدو عند عملية النسج البدائية، من خلال سحب هذه الخيوط بأصابع اليد ، فهو عملية نسج من غير ترك فروج بين الخيوط أوقطع القصب اومما ينسج منه.

وجاء في أساس البلاغة: "كساء محبك: مخطط.وكأن خطه وشيٌ محبوك، وذهب مسبوك؛ وللشعر الجعد حبك.

وما أملح حباك هذه الحمامة، وهوالخط الأسود على جناحها، وجود حباك الثوب أي كفافهن وحبكت الثوب: كففته، وحبكت الحبل: شددته، وبناء محبك: موثق. وحبكت العقدة:

---

(١) بتصرف يسير، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (١٥٣/١).

(٢) ابن المنظور، لسان العرب: ٤٠٧/١٠، مادة حبك.

(٣)البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد،الطبعة : الطبعة : الأولى، رقم٣٣٩٢، (٢ / ٢٣٥) دون حكم عليه.

(٤)الجوهري، الصحاح،: ١٥٧٨/٤ أو ٢٣١/١ مادة حبك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثقتها"[١]، وجاء في العين حبكته بالسيف حبكا، وهوضرب في اللحم دون العظم، ويقال: هومحبوك العجز والمتن إذا كان فيه استواء مع ارتفاع

قال الأعشى:

على كل محبوك السراة كأنه عقاب هوت من مرقب وتعلت [٢].

فالاحتباك إذاً هو شدُّ الإزار،وكل شيءٍ أحكمته وأحسنت صنعه فقد احتبكته.

فالذي تطمئنّ النفس له بعد هذا العرض الموجز للإشتقاقات اللغوية؛أنّ الاحتباك من الحبك ومعناه (الشدُّ والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب)"[٣].

ثانياً: الاحتباك في الاصطلاح:

عُرِفَ الاحتباك عند العلماء بأكثر من مصطلح، وقد عرفوه بأكثر من تعريف، فقد عُرِفَ عند الزركشي (ت ٧٩٤هـ) بالحذف المقابلي وعرفه بقوله: "وهوأن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الاخر عليه، كقوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ)(هود:٣٥)، الأصل فإن افتريته فعلي إجرامي وأنتم براء منه وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون فنسبة قوله تعالى: "إجرامي"وهوالأول إلى قوله: "وعليكم إجرامكم"- وهوالثالث - كنسبة قوله: "وأنتم براء منه"وهوالثاني - إلى قوله: "وعليكم إجرامكم"وهوالثالث -كنسبة قوله: "وأنتم براء منه"- وهوالثاني - إلى قوله تعالى: (وَإِنَا بَرِيءٌ مِمَا تُجْرِمُونَ "،وهوالرابع،واكتفى من كل متناسبين بأحدهما.[٤].

ومنه قوله تعالى: (فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ"(الأنبياء:٥)، تقديره: إن أرسل فليأتنا بآية كما ارسل الأولون فأتوا بآية.

وقوله تعالى: (الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ"(الأحزاب:٢٤)، تقديره كما قال المفسرون: "ويعذب المنافقين إن شاء فلا يتوب عليهم أويتوب عليهم فلا يعذبهم"، عند ذلك يكون مطلق قوله: فلا يتوب عليهم أويتوب عليهم مقيدا بمدة الحياة الدنيا.

واعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ "(البقرة:٢٢٢)، فتقديره: لا تقربوهن حتى يطهرن ويطهرن فإذا

---

(١) الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة،، دار صادر ودار بيروت للنشر والطباعة، ١٩٦٥م، (٧٤/١).

(٢) الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بَصير، المعروف بأعشى قيس المتوفى سنة (٦٢٩ م) ديوان الأعشى: ص٢٤٠ ، بيت رقم (١٣).

(٣)الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ٢٩٧/٣ ،مادة حبك.

(٤) الزركشي، البرهان في علوم القرآن،(١٢٩/٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طهرن وتطهرن فآتوهن وهوقول مركب من أربعة اجزاء نسبة الأول إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ويحذف من أحدهما لدلالة الآخر عليه[١].

ومما لا يخفى أن دلالة السياق قاطعة بهذه المحذوفات وبهذا التقدير يعتضد القول بالمنع من وطء الحائض إلا بعد الطهر والتطهر جميعا وهومذهب الشافعي.

أما الإمام جلال الدين السيوطي فعرفه: وهوأن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول[٢]، كقوله تعالى﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾(البقرة:١٧١) التقدير ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق والذي ينعق به فحذف من الأول الأنبياء لدلالة الذي ينعق عليه ومن الثاني الذي ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه، ويشهد له ما ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره للآية حيث يقول﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل؛ كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها راعيها، وداعيها إلى ما يرشدها، لا تفقه ما يقول ولا تفهمه، بل إنما تسمع صوته فقط"[٣].

ومنه قوله:(وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء)(طه:٢٢) التقدير تدخل غير بيضاء وأخرجها تخرج بيضاء فحذف من الأول غير بيضاء ومن الثاني وأخرجها.

وقد جمع الإمام جلال الدين السيوطي الصلة بينه وبين المعنى اللغوي فقال: "مأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشد والأحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحبك الثوب شد ما بين خيوطه من الفرج وشده وإحكامه؛ بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق وبيان أخذه منه من أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه فوضع المحذوف مواضعه كان حابكا له مانعا من خلل يطرقه فسد بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق"[٤].

وفرق الجرجاني بين الاحتباك والاحتراس بأن الاحتباك أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه، كقوله: علفتها تبنا وماءا باردا أي: علفتها تبنا وسقيتها ماء باردا، والاحتراس: هوأن يأتي في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه، أي:

---

(١) ذكر هذه الأمثلة وغيرها الامام الزركشي، ينظر المرجع السابق.

(٢)السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (١٦٤/٢)

(٣)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،- (٤٨٠/١).

(٤) السيوطي، عبد الرحمن بن كمال، معترك الأقران، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩م، ٢٤٢/٢. ٢٤٢/١-٢٤٣,٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يؤتى بشيء يدفع ذلك الإيهام، نحو قوله تعالى: "فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين"(المائدة:٥٤)، فإنه تعالى لو اقتصر على وصفهم بأذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلك لضعفهم وهذا خلاف المقصود فأتى على سبيل التكميل بقوله أعزة على الكافرين [١]، وكل من جاء بعد الجرجاني سماه (الاحتباك).

كما قال عنه البقاعي–رحمه الله– (ت ٨٥٥ هـ) في أحد المواضع:(أن يؤتى بكلامين يحذف منهما شيءٌ إيجازاً ، يدل ما ذكر على ما حذف من الآخر)"[٢].

كما ذكر الشيخ الشعراوي -رحمه الله-للإحتباك اسماً آخر وهو(الترتيب لفائدة) وقال عنه: (وهذا ما يسميه العلماء احتباكاً ، وهوأن يأتي المتكلم بأمرين كلٌّ أمر فيه شطران المتكلم يريد أن يربي الفائدة بإيجازٍ دقيق فيجيء من الجزء الأول عنصر ويحذف مقابله من الشق الثاني ، ويجيء من الجزء الثاني عنصرٌ ويحذف مقابله في الأول)"[٣].

وقالل صاحب الكليات: الاحتباك: من ألطف أنواع البديع وأبدعها؛ وقد يسمى حذف المقابل: وهوأن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول كقوله تعالى: (ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم)(الأحزاب:٢٤) فلا يعذبهم، وكقوله تعالى: (فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة)(آل عمران:١٣)"[٤].

وعرفه الدكتور:عبد الفتاح الحموز وقال عنه: (أن يحذف من الأول ما اثبت في الثاني، ومن الثاني ما اثبت في الأول)"[٥].

وهذه التعاريف غير جامعة ،لأنَّ بعضهم قيدها بالتناظر ، والآخر بالمثل أوالمتشابه، والاحتباكأصلاً يشمل هذه الأنواع كلها ، فيقع بين الألفاظ الضدية، كما يقع بين الألفاظ المتشابهة ، أو المتناظرة ، أو بين المنفية والمثبتةوقد يشترك نوعان منها في نصٍ واحد فيكون احتباكاً مشتركاً ،وبعضها قيد الاحتباك بين الجمل المتقابلة.

---

[١] الجرجاني، التعريفات، (٢٥/١) مصطلح رقم ٣٨.

[٢]البقاعي، نظم الدرر، (٢٦٣/٤).

[٣] المنتخب من تفسير القرآن الكريم، محمد متولي الشعراوي: ١٠٠/٣-١٠١، وكذا تفسير الآية ٢٧ من سورة الأنعام.

[٤] أبوالبقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري،(ص٥٧).

[٥] الحموز، عبدالفتاح، معجم الأفعال التي حذف مفعولها غير الصريح في القرآن الكريم،دار الفيحاء ودارعمار، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٦م، ص١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وربما عنى العلماء بالتقابل والتناظر والتشابه ، التناظر الوزني بين الجملتين لا العلاقات الضدية والمتناظرة... الخ ، أي إذا حذف من الجملة الأولى شيءٌ عوض عنه في الجملة الثانية ، وإذا حذف من الجملة الثانية شيءٌ عوض عنه في الجملة الأولى ما يدل عليه ، ولذلك يحصل نوع من التوازن كما هو الحال في كفتي الميزان ، ومنه تستنبط دلالة التقابل وهذا يقودنا إلى المبحث الآتي الذي يفصل القول بأنواع الاحتباك.

وفي هذا المضمون يقول الدكتور عدنان عبدالسلام معلقاً "ونحن عند وضع هذا التعريف لا يعني أننا نأتي بشيءٍ جديد ، ولكن هذا التعريف مستقى من كلام معظم العلماء الذين ذكروا الاحتباك ، مع التأليف بين النصوص لوضع صورة كاملة للاحتباك فنقول هو(أن يؤتى بالكلامين في النص في كلٍ منهما متضادان ، أو متشابهان ، أو متناظران ، أو منفيان ، أو يشترك نلإنعمنها في نص ٍ واحد ، فيحذف من أحد الكلامين كلمة ، أوجملة إيجازاً يأتي ما يدل على المحذوف في الثاني، ويحذف من الثاني كلمة أوجملة أيضاً قد أتى ما يدل عليها في الأول ،فيكون باقي كلٍّ منهما دليلاً على ما حذف من الأخر ،ويكمل كل جزءٍ الجزء الأخر ويتممه ويقيده من غير إخلال في النظم ولا تكلف)"[١].

ولعله من الممكن اختصار ما سبق؛ أن يؤتى بكلام له شقان متقابلان أو متناظران نفياً أو إثباتاً، ويحذف من كل من الشقين ما يدل عليه مذكوره في الشق الآخر، من غير إخلال في النظم ولا تكلف.

---

[١] عدنان عبد السلام اسعد،الاحتباك في القران الكريم،دراسة بلاغية، جامعة الموصل،العراق، ص١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: أنواع الإيجاز بالاحتباك في القرآن الكريم:

الإيجاز بالاحتباك في القرآن الكريم أمثلته كثيرة وأنواعه متعددة، وهذا التنوع والاختلاف يرجع إلى تقدير المحذوف ،والمحذوف نفسه يفهم غالباً من السياق أوبوجود قرينة تدل عليه، ومن خلال الدراسة للإحتباك ، وتقدير المحذوف، ومن خلال كلام العلماء وتعاريفهم له يمكن أن نقسم الاحتباك إلى خمسة أقسام:

الأول: (الإيجاز بالاحتباك الضدي) وهوما كان تقابل الألفاظ فيه بالتضاد.

الثاني: (الإيجاز بالاحتباك المتشابه) وهوما كان تقابل الألفاظ فيه بالتشابه.

الثالث: (الإيجاز بالاحتباك المتناظر) وهوما كان تقابل الألفاظ فيه بالتناظرأوالتشابه ببعض الصفات.

الرابع: (الإيجاز بالاحتباك المنفي المثبت) وهوما كان تقابل الألفاظ فيه بالنفي والإثبات

الخامس: (الإيجاز بالاحتباك المشترك) الذي يشرك نوعين في كلَّ موضع، وهذه الأنواع دائماً يحذف عنصرٌ من الأول لدلالة الثاني عليه، ومن الثاني لدلالة الأول عليه وحسب القرائن السابقة (تضاد، تشابه....الخ).

السادس: (الإيجاز بالاحتباك في الصيغة) وهوما كان تقابل الألفاظ فيه بالمفرد والجمع.

السابع: (الإيجاز بالاحتباك الظرفي) وهوما كان تقابل الألفاظ فيه بالظروف.

الثامن: (الإيجاز بالاحتباك المقابلي) وهوأن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابلة لدلالة الاخر عليه

وفيما يأتي بيان لهذه الأنواع[١]:

---

[١] استفدت هذا التقسيم وزدت عليها من الأستاذ عدنان عبد السلام اسعد في بحثه الاحتباك في القران الكريم،دراسة بلاغية، الذي وضع هذه المنهجية لأنواع الاحتباك، فقد أشار لجملة كبيرة من هذه الأقسام والأمثلة، ولم أقف على سابق له بهذا التقسيم ص١٧-٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأول: الإيجاز بالاحتباك الضدي

هو الذي يقع بين ألفاظٍ العلاقة بينها قائمة على التضاد، وقد أطلق هذا الاسم على هذا النوع من الاحتباك عدد من العلماء عند تعليقهم على الآيات القرآنية التي فيها احتباك بين ألفاظٍ متضادة منهم البقاعي – رحمه الله – عندما يقول: حذف من الأول ما اثبت ضده في الثاني ومن الثاني ما اثبت ضده في الأول[١].

والضد كما يقول ابن السكيت: (خلاف الشيء)"[٢].

ويقول ابن فارس: (المتضادان الشيئان لا يجوز اجتماعهما في وقتٍ واحدٍ كالليل والنهار)"[٣].،فالضدُّ إذن هو كلُّ شيءٍ تضادد مع الآخر بحيث لا يجتمع معه في وقتٍ واحد[٤].،

ومن خلال هذا العرض اليسير يمكن القول إنَّ الاحتباك الضدي: هو أن يؤتى بكلامين في كلٍ منهما متقابلان متضادان لما في الأخر فيحذف من الأول ما أُثبِتَ ضده في الثاني ومن الثاني ما اثبت ضده في الأول ، ويدل ما ذكر على ما حذف في كلٍّ منهما، ومعلوم أن الاحتباك الضدي من أكثر أنواع الاحتباك وروداً في القرآن الكريم مقارنةً بالأنواع الأخرى ، وذلك لأنَّه من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في التمييز بين ضدين ونقيضين، ونعني بالألفاظ المتقابلة بالضدية بين لفظةٍ وضدها معنىً ودلالةً بين الأسماء والأسماء ، والأفعال والأفعال ، أو بين الأفعال والأسماء نحو(الجنة - النار"(يهدي – يضل"(امنوا والكافرون)... وغيرها من الألفاظ المتضادة الواردة في الآيات القرآنية [٥].

ومن أمثلته قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ "(يونس:٦٧) ، حيث حذف من الأول (مظلماً) لدلالة ضده عليه في الثاني (مبصراً) ، وحذف من الثاني (لتنتشروا فيه وتبتغوا من فضله) لدلالة ضده عليه في الأول (لتسكنوا فيه) ، وعليه يكون تقدير الآية الكريمة هو:

---

(١)البقاعي، نظم الدرر، (٣٨٧/٣).

(٢)لابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، إصلاح المنطق، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة،١٩٤٩م، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون ص٢٨.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٣٦٠/٣ ،مادة ضدد.

(٤) فايز القرعان، التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ص١٨.

(٥) ينظر عدنان عبد السلام اسعد في بحثه الاحتباك في القران الكريم، دراسة بلاغية، ص١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هوالذي جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه،والنهار مبصراً لتنتشروا فيه ولتبتغوا من فضله.

قال العلامة الآلوسي"هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً فيه تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة فتعريف الطرفين للقصر وهوقصر تعيين،وفي ذلك أيضاً تقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكه المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه.

والجعل إن كان بمعنى الإبداع والخلق فمبصراً حال وإن كان بمعنى التصيير فلكم المفعول الثاني حال كما في الوجه الأول فالمفعول الثاني لِتَسْكُنُوا فِيهِ أوهومحذوف يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية كما أن العلة الغائية منها محذوفة اعتماداً على ما في الأولى، والتقدير هوالذي جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه والنهار مبصراً لتتحركوا فيه لمصالحكم فحذف من كل ما ذكر في الآخر اكتفاءً بالمذكور عن المتروك؛ وفيه على هذا صنعة الاحتباك والآية شائعة في التمثيل بها لذلك وهوالظاهر فيها وإن كان أمراً غير ضروري، ومن هنا ذهب جمع إلى أنه لا احتباك فيها، والعدول عن لتبصروا فيه الذي يقتضيه ما قبل إلى ما في النظم الجليل للتفرقة بين الظرف المجرور والظرف الذي هوسبب يتوقف عليه في الجملة وإسناد الإبصار إلى النهار مجازي [1].

ومن الأمثلة الأخرى على هذا النوع من الاحتباك قوله تعالى"إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ"(محمد:١٢)

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جنات تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الانهار"فيه بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الأخروية وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ أي ينتفعون بمتاع الدنيا أياماً قلائل وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الانعام يقول سيبويه أي يأكلونه أي الأكل مشبهاً أكل الأنعام، والمعنى أن أكلهم مجرد من الفكر والنظر كما تقول للجاهل تعيش كما تعيش البهيمة لا تريد التشبيه في مطلق العيش ولكن في خواصه ولوازمه، وحاصله أنهم يأكلون غافلين عن عواقبهم ومنتهى أمورهم، وقوله تعالى النار مَثْوًى لَّهُمْ أي موضع إقامة لهم، وقال بعض الأجلة: في الكلام احتباك وذلك أنه ذكر الأعمال الصالحة ودخول الجنة أولاً دليلاً على حذف الأعمال الفاسدة ودخول النار ثانياً وذكر التمتع والمثوى ثانياً دليلاً على حذف التقلل والمأوى أولاً والأول أحسن وأدق، وأسند إدخال الجنة إلى الله تعالى ولم يسلك نحوهذا المسلك في قوله تعالى والنار مَثْوًى

---

[1] الألوسي، روح المعاني- (٦٤/٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لَّهُمْ"، وخولف بين الجملتين فعلية واسمية للإيذان بسبق الرحمة والإعلام بمصير المؤمنين والوعد بأن عاقبتهم أن الله سبحانه يدخلهم جنات وأن الكافرين مثواهم النار وهم الآن حاضرون فيها ولا يدرون وكالبهائم يأكلون [١].

الثاني: الإيجاز بالاحتباك المتشابه

وهوالذي يقع الحذف فيه بين ألفاظٍ متشابهة.

وفي الوسيط: تشابه الشيئان أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا وفي التنزيل العزيز(إن البقر تشابه علينا) وتشبه بغيره ماثله وجاراه في العمل، والمتشابه في النص القرآني يحتمل عدة معان [٢].

الاحتباك المتشابه الكلمة نفسها التي تذكر في الجملة الأولى تحذف من الثانية ، ومن الثانية الأولى نفسها ، وأطلق عليه هذا الاسم من خلال الألفاظ المذكورة والمحذوفة التي دلَّ عليها كلام العلماء مثل قولهم: فحذف من الأول ما اثبت مثله في الثاني ومن الثاني ما اثبت مثله في الأول.

وعلى هذا يمكننا القول بأن المتشابه أنْ يؤتى بجملتين في كلٍّ منهما متشابهان لما في الأخرى فيحذف من الأول لدلالة مثله عليه في الثاني ومن الثاني لدلالة مثله عليه في الأول ويكون ما بقي دليلاً على ما حذف في كلٍّ منهما، ويأتي الإيجاز بالاحتباك المتشابه بعد الإيجاز بالاحتباك الضدي من حيث النسبة التي ورد فيها في القرآن الكريم، وهذا التشابه بين الألفاظ المذكورة والمحذوفة يكون بين اسمٍ واسم نحو(الجنة – الجنة) ،أوفعلٍ وفعل نحو(يؤمنون – يؤمنون) ، أواسمٍ وفعل نحو(يغفر – الغفور)...الخ من الألفاظ المذكورة في القرآن الكريم تحت هذا النوع.

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى" حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ "(الأنفال:٦٥) ، ففي هذه الآية حذف من الجملة الأولى (من الذين كفروا) لدلالة مثله عليه في الثاني ، وحذف من الثاني (صابرة) لدلالة مثله عليه في الأول ، وعليه يكون تقدير الآية الكريمة كما يأتي:

إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين من الذين كفروا

---

[١] الألوسي، روح المعاني- (١١٣/١٩)

[٢]الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (٤٧١/١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا.....

"إن يكن ولما كانت لذة الخطاب تثير الهمم وتبعث العزائم وتوجب غاية الوثوق بالوعد، عدل عن الغيبة فقال:منكم عشرون أي رجلاً ، صابرون يغلبوا مائتين أي من الكفار، والآية من الوعد الصادق الذي حققه وقائع الصحابة رضي الله عنهم وإن يكن منكم مائة أي صابرة يغلبوا ألفاً أي كائنين من الذين كفروا.

فالآية من الإيجاز بالاحتباك:أثبت في الأول وصف الصبر دليلاً على حذفه ثانياً ، وفي الثاني الكفر دليلاً على حذفه أولاً ؛ ولعل ما أوجبه عليهم من هذه المصابرة علة للأمر بالتحريض،أي حرضهم لأني أعنت كلاً منهم على عشرة، فلا عذر لهم في التواني؛ وعلل علوهم عليهم وغلبتهم عليهم على هذا الوجه بقوله: بأنهم أي هذا الذي أوجبته ووعدت بالنصر عنده بسبب أنهم، أي الكفار قوم لا يفقهون.

الثالث: الإيجاز بالاحتباك في الصيغة

هذا النوع يختلف عن الأنواع الأخرى من حيث إنَّه يجمع في طرفي السياق بين صيغتين، كأن يجعل في الطرف الأول الكلام بصيغة المفرد والكلام في الطرف الثاني بصيغة الجمع، ليدلل على أن المراد كلا الصيغتين من السياق، فقد ورد هذا النوع في قول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا"(الأحزاب:٥٠)

ولما كان قد أفرد العم لأن واحد الذكور يجمع من غيره لشرفه وقوته وكونه الأصل الذي تفرع منه هذا النوع، عرف بجمع الإناث أن المراد به الجنس لئلا يتوهم أن المراد إباحة الأخوات مجتمعات فقال: "وبنات عماتك"من نساء بني عبد المطلب[١].

ولما بدأ بالعمومة لشرفها، أتبعها قوله: "وبنات خالك"جارياً أيضاً في الإفراد والجمع على ذلك النحو"وبنات خالاتك"أي من نساء بني زهرة ويمكن أن يكون في ذلك احتباك عجيب

---

(١) لوقدر استقراء ما ورد في القرآن من أمثلة على كل نوع من هذه الأنواع فستكون دراسة جيدة مفيدة والله أعلم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو: بنات عمك وبنات أعمامك، وبنات عماتك وبنات عمتك، وبنات خالك وبنات أخوالك، وبنات خالاتك وبنات خالتك، وسره ما أشير إليه[١].

الرابع:الإيجاز بالاحتباك المنفي المثبت

هوالذي يقع بين ألفاظٍ العلاقة بينها قائمة على النفي والإثبات ، وفي هذا النوع يحذف من الأول كلمة مثبتة لدلالة نفيها عليها في الثاني ، ومن الثاني كلمة مثبتة لدلالة نفيها عليها في الأول ، أوبالعكس يبقى المنفي ويحذف المثبت ، وأفدنا من كلام البقاعي في بيان هذا النوع في قوله: حذف من الأول ما اثبت نفيه في الثاني ، ومن الثاني ما اثبت نفيه في الأول[٢]، وهذا النوع من الأنواع القليلة التي ذكرت في القرآن الكريم ،فقد ورد في أحد عشر موضعاً ، ومن ألفاظه (يشفقون – لا يشفقون"(يستعجلون – لا يستعجلون) كما في قوله تعالىيَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (الشورى: ١٨) ، فقد حذف من الأول (لا يشفقون منها) للدلالة عليه في الثاني وهو(يشفقون) ، وحذف من الثاني (لا يستعجلونها) للدلالة عليه في الأول وهو(يستعجل)"[٣].وعليه يكون التقدير:

يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها فلا يشفقون منها والذين آمنوا مشفقون منها ولا يستعجلونها ويعلمون أنها الحق من ربهم....

ومثال آخر على هذا النوع من الإيجاز بالاحتباك:

وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (ص:٢٨)

"أم نجعل أي على عظمتنا الذين آمنوا أي امتثالاً لأوامرنا وعملوا أي تصديقاً لدعواهم الإيمان الصالحات من الأعمال كالذين أفسدوا وعملوا السيئات أم نجعل المصلحين في الأرض"كالمفسدين"أي المطبوعين على الفساد الراسخين فيه في الأرض أي بالكفر وغيره،

---

(١) ذهب إلى ذالك البقاعي، نظم الدرر، (٣٨٧/٣)، وهو محتمل ولكن يمكن أن توجه الغاية من الإفراد والجمع أن بنات العم شيء واحد من نفس الأسره من حيث الصلب وكذا بنات الخال، أما بنات العمات والخالات فقد تتفرع من حيث المصاهرة والله أعلم .

(٢) البقاعي، نظم الدرر، (٢٨٣/١٧).

(٣) ينظر المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتسوية بينهم لا يشك عاقل في أنها سفه،"أم نجعل"على ما لنا من العز والمنعة الذين اتقوا كالذين فجروا أم نصيّر المتقين أي الراسخين من المؤمنين في التقوى الموجبة للتوقف عن كل ما لم يدل عليه دليل كالفجار أي الخارجين من غير توقف عن دائرة التقوى من هؤلاء الذين كفروا أومن غيرهم في أن كلاً من المذكورين يعيش على ما أدى إليه الحال في الدنيا، وفي الأغلب يكون عيش الطالح أرفع من عيش الصالح، ثم يموت ولا يكون شيء بعد ذلك، ولا شك أن المساواة بين المصلح والمفسد والمتقي والمارق لا يراها حكيم ولا غيره من سائر أنواع العقلاء فهولا يفعلها سبحانه وإن كان له أن يفعل ذلك، فإنه لا يجب عليه شيء ولا يقبح منه شيء، وقد علم أن الآية من الإيجاز بالاحتباك [١].

الخامس: (الإيجاز بالاحتباك الظرفي)

وهوما كان تقابل الألفاظ فيه بالظروف، فيحذف من الطرف الأول ما دل عليه الطرف الثاني ويذكر في الأول ما حذف قبيله في الثاني، وورد هذا النوع في تفسير قوله تعالى:لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ "(التوبة:٢٥)

مَوَاطِنَ جمع موطن، والموطن هوما استوطنت فيه. وكل الناس مستوطنون في الأرضوكل جماعة منا تُحيز مكاناً من الأرض ليكون وطناً لها، والوطن مكان محدد نعيش فيه من الوطن العام الذي هوالأرض؛ لأن الأرض موطن البشرية كلها، ولكن الناس موزعون عليها، وكل جماعة منهم تحيا في حيز تروح عليه وتغدوإليه وتقيم فيه.

والله سبحانه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة)، وما دام الحديث عن النصر، يكون المعنى: إن الحق سبحانه قد نصركم في مواطن الحرب أي مواقعها، مثل يوم بدر، ويوم الحديبية، ويوم بني النضير، ويوم الأحزاب، ويوم مكة، وكل هذه كانت مواقع نصر من الله للمسلمين،ولكنه في هذه الآية يخص يوماً واحداً بالذكر بعد الكلام عن المواطن الكثيرة، فبعد أن تحدث إجمالاً عن المعارك الكثيرة (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) فكثرة عدد المؤمنين في يوم حنين كان ظرفاً خاصاً، أما المواطن الأخرى، مثل يوم بدر فقد كانوا قلة، ويوم فتح مكة كانوا كثرة، ولكنهم لم يعجبوا؛ وبذلك يكون يوم حنين له مزية، فهويوم خاص بعد الحديث العام.

ونقول: "هذا هو ما يسميه العرب"احتباك"؛ لأن كل حدث مثل"أكل"و"شرب"و"ضرب"و"ذاكر"؛ كل حدث لا بد له من زمان ولا بد له من مكان، فإذا

---

[١] البقاعي،نظم الدرر، (١٩٠/٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلت: أكلت، نقول: متى؟ في الصبح، أوفي الظهر، أوفي العصر، أوفي العشاء؟ وأين؟ في البيت، أوفي الفندق، أوفي المطعم، أوفي الشارع"[١].

فتقدير الكلام في مواطن كثيرة وأيام كثيرة وفي أرض بدر مثلاً ويوم حنين.

السادس: الإيجاز بالاحتباك المتناظر

وهوالذي يقع بين ألفاظٍ بينها صفات مشتركة ، أي التشابه في بعض الصفات وليس تشابهاً كلياً لفظاً ومعنىً ،بل تشابهاً جزئياً ، فعندما يقال: التقى وزير الدولة بنظيره وزير الدولة الأخرى ، فهما ليسا نفس الشخص بل هما مشتركان في صفةٍ هي إن كليهما وزير ، وهذا الذي يعنى بـ (التناظر) ، ومفاد ذلك من تعريف السيوطي للاحتباك في وضع اسمه وتعريفه ، وهوقوله: (هوأن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول)"[٢]، ومن أمثلة التناظر بين الألفاظ (الذي ينعق – الداعي)(الكفار – الغنم) في قوله تعالى: "وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ "(البقرة:١٧١)، حيث حذف من الجملة الأولى (داعي الكفار محمد عليه الصلاة والسلام) لدلالة نظيره عليه في الثاني وهو الراعي (الذي ينعق)، وحذف من الثاني المنعوق به وهي (الغنم أوما يرعى من البهائم) لدلالة نظيره عليه في الأول وهوالمدعو(الذين كفروا)[٣]، وعليه يكون تقدير الآية: مثلك يا محمد- عليه الصلاة والسلام - ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به

فالصفة التي تجمع بين المتقابلات المتناظرة ، هي الدعاء والنداء بين داعي الكفار والراعي ، وعدم الاستجابة والفهم وعدم التدبر بين الكفار والمنعوق به[٤]

---

(١) الشعراوي، المنتخب من تفسير القرآن الكريم، ٣٤٣٨

(٢) سبق الإشارة إلى كلام السيوطي في هذا المعنى عند كلامنا عن الاحتباك في الإصطلاح، وينظر الأستاذ عدنان عبد السلام اسعد، الاحتباك في القران الكريم، ص٢٠.

(٣) بتصرف أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان،البحر المحيط،٦٥٧/١، ولعله من المناسب توجيه الكلام أن صورة الذين كفروا في تبعيتهم من يقودهم، وهم لا يفقهون تبعية عمياء؛ صورة الغنم التي تتبع الراعي دون أن تدرك إلا الصوت؛ على أن الناعق رؤوس الكفر كأبي جهل وغيره، والمنعوق عليهم عامة الكفار، كما كان ذلك في غزوة بدر عندما أصر عليهم بالذهاب وقتال الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان ذلك على غير بصيره، ينظر العلي، إبراهيم، صحيح السيرة النبوية، دار النفائس، ط٥، ٢٠٠٠م، ص٢٢٩.

(٤) سبق التدليل لذلك مما أورد ابن كثير في تفسيره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد قال سيبويه"في باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى": لم يشبهوا بالناعق وإنما شبهوا بالمنعوق به وإنما المعنى: ومثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع إلا دعاء ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى(١).

والذي أحوجه إلى هذا التقدير أنه لما شبه الذين كفروا بالغنم،- وهذا بناه على أن الناعق بمعنى الداعي وليس بمتعين لجواز ألا يراد به الداعي بل الناعق من الحيوان - شبههم في تألهم وتأتيهم بما ينعق من الغنم بصاحبه من أنهم يدعون مالا يسمع ولا يبصر ولا يفهم ما يريده، وقيل: ليس من هذا النوع إلا الاكتفاء من الأول بالثالث لنسبة بينهما(٢)، وذلك أنه اكتفى بالذي ينعق –وهو الثالث المشبه به - عن المشبه وهو الكناية المضاف إليها في قوله: ومثلك وهو الأول وأقرب إلى هذا التشبيه المركب والمقابلة وهو الذي غلط من وضعه في هذا النوع، وإنما هو من نوع الاكتفاء للارتباط العطفي على ما سلف(٣).

السابع: الإيجاز بالاحتباك المشترك

يقول الأستاذ عدنان أسعد"هذا النوع يختلف عن الأنواع الأخرى من حيث إنَّه لا يلتزم بنوعٍ واحدٍ من الإيجاز بالاحتباك بل يجمع نوعين في الآية الواحدة ، فهويشرك جميع الأنواع فيما بينها فيحذف من الأول ما يدل عليه نفيه في الثاني ، ومن الثاني ما يدل عليه ضده في الأول ، أويحذف من الأول ما يدل عليه مثله في الثاني ، ومن الثاني ما يدل عليه ضده في الأول، أوبين المتشابه والمتناظر.... الخ ، أوبالعكس ، وأطلقنا على هذا النوع بـ (الإيجاز بالاحتباك المشترك)، لأنَّه يجمع ويشرك جميع الأنواع الماضية تحت ثناياه (الضدي والمتشابه والمنفي والمتناظر) في الكلام الواحد ، فتكون إحدى الألفاظ المذكورة ضدية والأخرى منفية أومتشابهة أومتناظرة ، وبالعكس، فورد هذا النوع في القرآن الكريم ، ومن ألفاظه (يؤمن – لا يؤمن"(الجنة – النار)... الخ من الألفاظ ، ومن أمثلته قوله تعالى"وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ "(الأعراف:٥٨) ، فحذف من الأول(افياً حسناً) لدلالة ضده عليه في الثاني وهو(نكداً)، وحذف من الثاني (نباته)

---

(١) ينظر سيبويه، الكتاب، (٤٢/١).

(٢) سمى بعض العلماء بعض أنواع الإيجاز بالاحتباك إكتفاءً جوزاً ،لأن في الكلام تقابلاً ، فهو من باب الاحتباك، ولا مشاحة في الاصطلاح، والله أعلم، ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (١٣١/٣).

(٣) ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (١٣١/٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لدلالة مثله عليه في الأول ، وعليه يكون تقدير الآية الكريمة:(والبلد الطيب يخرج نباته وافياً حسناً طيباً بإذن ربه، والبلد الذي خبث لا يخرج نباته إلا خبيثاً نكدا.... [١].

الثامن: (الإيجاز بالاحتباك التقابلي):

وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الأخر عليه، ومثاله قوله تعالى:(قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ)(هود:٣٥)، الأصل فإن افتريته فعلى إجرامي وأنتم براء منه وعليكم إجرامكم وأنا برىء مما تجرمون فنسبة قوله تعالى: (إجرامي) وهو الأول إلى قوله: (وعليكم إجرامكم) - وهوالثالث - كنسبة قوله: (وأنتم براء منه)- وهو الثاني - إلى قوله:(وعليكم إجرامكم)- وهو الثالث -كنسبة قوله:(وأنتم براء منه)- وهو الثاني - إلى قوله تعالى:(وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ)، وهو الرابع،واكتفى من كل متناسبين بأحدهما.

ومنه قوله تعالى:(بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ)(الأنبياء:٥)، تقديره: إن أرسل فليأتنا بآية كما أرسل الأولون فأتوا بآية.

وقوله تعالى:(إِنْ شَاءَ يُعَذِّبَهُمْ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ)(الأحزاب:٢٤)، فتقدير الكلام:"ويعذب المنافقين إن شاء فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم فلا يعذبهم"، عند ذلك يكون مطلق قوله: فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم مقيدا بمدة الحياة الدنيا.

وقوله تعالى:(فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ)(البقرة:٢٢٢)، فتقديره: لا تقربوهن حتى يطهرن ويتطهرن فإذا طهرن وتطهرن فآتوهن وهو قول مركب من أربعة أجزاء نسبة الأول إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ويحذف من أحدهما لدلالة الآخر عليه.

ومعلوم أن دلالة السياق قاطعة بهذه المحذوفات وبهذا التقدير يعتضد القول بالمنع من وطء الحائض إلا بعد الطهر والتطهر جميعاً وهو مذهب الشافعي(٣).

ومنه قوله تعالى:(فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ)(النمل:١٢)، تقديره: أدخل يدك تدخل وأخرجها تخرج، إلا أنه قد عرض في هذه المادة تناسب بالطباق فلذلك

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٣٦٦/١ ، والآلوسي، وروح المعاني: ١٤٧/٨، لو قدر استقراء ما ورد في القرآن من أمثلة على كل نوع من هذه الأنواع فستكون دراسة مجادة مفيدة والله أعلم.

(٢) ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (١٣١/٣).

(٣) ينظر الخطيب الشربيني، محمد الشربيني الخطيب، الإقناع، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، دار الفكر، ١٤١٥هـ، بيروت،، (١٠٢/١) هذا رأي فقهي لايمكن اعتباره مسلمة ولكن يذكر دون رفض لغيره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقى القانون فيه الذي هو نسبة الأول إلى الثالث ونسبة الثاني إلى الرابع على حالة الأكثرية فلم يتغير عن موضعه ولم يجعل بالنسبة التي بين الأول والثاني وبين الثالث والرابع وهي نسبة النظير.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾(التوبة:١٠٢).

أصل الكلام:خلطوا عملاً صالحاً بسيء وآخر سيئاً بصالح، لأن الخلط يستدعي مخلوطاً ومخلوطاً به أي تارة أطاعوا وخلطوا الطاعة بكبيرة وتارة عصوا وتداركوا المعصية بالتوبة.

فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾(طه:١٢٣) الآية، فإن مقتضى التقسيم اللفظي من اتبع الهدى فلا خوف ولا حزن يلحقه وهو صاحب الجنة ومن كذب يلحقه الخوف والحزن وهو صاحب النار فحذف من كل ما أثبت نظيره في الأخرى.

أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الملك:٢٢) فإن فيه جملتين حذف نصف كل واحدة منهما اكتفاء بنصف الآخرى وأصل الكلام: أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى ممن يمشي سويا على صراط مستقيم، أمن يمشي سويا على صراط مستقيم أهدى ممن يمشي مكبا !.

ومعلوم أن أفعل التفضيل لا بد في معناه من المفضل عليه، وهاهنا وقع السؤال عمن في نفس الأمر، هل هذا أهدى من ذلك، أم ذاك أهدى من هذا؟ فلا بد من ملاحظة أربعة أمور وليس في الآية إلا نصف إحدى الجملتين ونصف الأخرى، والذي حذف من هذه مذكور في تلك والذي حذف من تلك مذكور في هذه، فحصل المقصود مع الإيجاز والفصاحة ثم ترك أمر آخر لم يتعرض له وهو الجواب الصحيح لهذين الاستفهامين وأيهما هو الآهدى لم يذكره في الآية أصلاً لأنه من المسلمات التي ينكرها عاقل أن الذي يمشي على صراط مستقيم أهدى ممن يمشي مكبا على وجهه.

وقد يحذف من الأول لدلالة الثاني عليه وقد يعكس وقد يحتمل اللفظ الأمرين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالأول: كقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ)(الأحزاب:٥٦) في قراءة من رفع ملائكته أي إن الله يصلي فحذف من الأول لدلالة الثاني عليه وليس عطفا عليه(١).

والثاني: كقوله: (اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ)، أي ما يشاء، وقوله: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)(التوبة:٣)، أي برىء أيضا، وقوله: (وَالأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ) (إبراهيم:٤٨)، وقوله: (وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ)(الطلاق:٤)، أي كذلك، وقوله تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)(لقمان:٢٥)، والتقدير خلقهن الله فحذف خلقهن لقرينة تقدمت في السؤال، وقوله: (سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)(الصافات:١٠٩) ولم يقل: إنا كذلك، اختيارا واستغناء عنه بقوله فيما سبق في قوله تعالى: (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (الصافات:١٠٥)(٢)

والثالث: كقوله: (وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ)(التوبة:٦٢)،

إنما أفرد الضمير في يُرْضوه، وإن كان الأصل في العطف بالواو المطابقةَ لوجوهٍ:

الأول: إما للإيذان بأن رضاه عليه الصلاة السلام مندرجٌ تحت رضاه سبحانه وإرضاؤُه عليه الصلاة والسلام إرضاءٌ له أي أنَّ رضا الله ورسولِه شيء واحد، فمَنْ أطاع الرسول فقد أطاع الله(٣)، ومنه قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ)(الفتح: ١٠) فلذلك جَعل الضميرين ضميراً واحداً مَذْبَهة على ذلك.

الثاني: وإما لأنه مستعارٌ لاسم الإشارةِ الذي يشار به إلى الواحد والمتعدد بتأويل المذكور، كقول رؤبة:

فيها خطوطٌ مِنْ سوادٍ وبَلَقْ كأنه في الجلد تَوْلِيعُ البَهَقْ (٤)، أي: كأن ذاك المذكور

الثالث: قال المبرد: في الكلام تقديمٌ وتأخير تقديره: الله أحقُّ أن يُرْضوه ورسولُه.

---

(١) هذه قرأة شاذة ليست من القرآءات المتواترة، وإنما ذكرها الباحث على سبيل الإستشهاد البلاغي والنحوي، ينظر الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر(ص٤٥٦)الشيخ محمد كريم راجح وعلوي بن محمد بن أحمد بلفقيه، القرآءات العشر المتواترة، ص٤٢٦.

(٢) ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن،(١٣١/٣) فقد ضم هذه الأمثلة إلى أمثلة الاحتباك المقابلي تجوزاً، مع أنها للاكتفاء أقرب، والله أعلم.

(٣) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (١٨٢/٣)

(٤) ذكر هذا البيت ابن سيده،أبوالحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده،في المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م،الطبعة الأولى، (٤٨٥/١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال السمين هذا "على رأي مَنْ يدَّعي الحَذْفَ من الثاني(١).

الرابع: هو مذهب سيبويه أنه حَذَفَ خبر الأول وأبقى خبر الثاني. وهو أحسن من عكسه وهو قولُ المبردِ، لأن فيه عدمَ الفصلِ بين المبتدأ وخبره، ولأن فيه أيضاً الإِخبار بالشيء عن الأقرب إليه، وأيضاً فهو متعيَّنٌ في قول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندكَ راضٍ والرأيُ مختلفُ (٢).

أي نحن راضُون، حَذَفَ "راضون" لدلالةِ خبر الثاني عليه(٣)، وأما قوله تعالى: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا) (النساء:١٤٠)، فالفائدة في إعادة الجار والمجرور (بها)؛ لأنه لو حذف من الثاني لم يحصل الربط لوجوب الضمير فيما وقع مفعولا ثانيا أو كالمفعول الثاني لـ(سمعتم)، ولو حذف من الأول لم يكن نصا على أن الكفر يتعلق بالإثبات لجواز أن يكون متعلق الأول غير متعلق الثاني(٤).

ومما سبق يتضح أن كله تعطي مدلولات بينة على محذوفات قرآنية مقصودة دل عليها السياق القرآني، ليكون غاية في الإيجاز والإعجاز، وبذلك يمكن القول أن العلاقة بين الإيجاز والنظم علاقة تلاحم لا يمكن أن يفصل واحد عن الآخر، ولا أن يوصل لواحد دون الوصول للآخر.

---

(١) السمين الحلبي، الدر المصون في علم الكتاب المكنون، (٢٢٠٢/١).

(٢) ينظر عبد القادر بن عمر البغدادي،خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب،حقيق محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م- (٢٦١/٤)

(٣) ينظر السمين الحلبي، الدر المصون في علم الكتاب المكنون، (٢٢٠٢/١)

(٤) ذكر هذه الآراء بهذا التفصيل مجموعة من المفسرين منهم من ذكرنا كأبي السعود، والسمين الحلبي، وغيرهم، كما أشار إلى ذلك الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (١٣٥/٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث: شروط الإيجاز بالاحتباك في القرآن الكريم، بلاغته، وكونه من مظاهر الإيجاز في القرآن الكريم:

أولاً. شروطه

لا بد للاحتباك من شروط وضوابط تسوغه منها ما هوعام ومنها ما هوخاص بالإيجاز بالاحتباك[١].

فمن الشروط العامة للحذف التي ينبغي توفرها في الإيجاز بالاحتباك:

١. أن يدعواليه داعٍ بلاغي يجعل الحذف أبلغ من الذكر.

٢. أن يكون في الكلام بعد الحذف دليلٌ على المحذوف [٢].

أما الخاصة بالإيجاز بالاحتباك:

١. وجود متقابلين في كلٍّ من الجملتين في الكلام.

٢. حذف من كلتا الجملتين ما أثبت في الأخرى.

٣. دلالة ما بقي على ما حذف من الأخرى.

هذه هي الشروط التي يجب أن تتوفر في النص ليكون فيه احتباك وإلاّ كان في النص نوعٌ من التكلف

ثالثاً. بلاغته

يمتاز القرآن الكريم بأساليبه الفنية المعجزة ومن هذه الأساليب الإيجاز ، ولغة القرآن هي العربية واللغة العربية هي أكثر اللغات إيجازاً ،وبما أنَّ الإيجاز بالاحتباك هوضربٌ من إيجاز حذف ،فلابد من فوائد بلاغية لهذا الفن ؛ وذلك لأنَّ الإيجاز من أكثر الأساليب دقة وحكمة ، وأحسنها بلاغة ، وأغزرهم معنى ، ويمكن للباحث أن يحدد بعض هذه الفوائد البلاغية التي يحققها الإيجاز بالاحتباك في الكلام منها:

---

(١) ينظر عدنان أسعد، الاحتباك في القرآن الكريم دراسة بلاغية، مبحث شروط الاحتباك وبلاغته ص٢٢، بتصرف يسير.

(٢) بتصرف واسع شروح التلخيص:باب الحذف،ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبن هشام: مغني اللبيب، جمال الدين (٥٢٧/١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١. إحكام النظم بحذف فضول الكلام وما يمكن الاستغناء عنه ، مع قلة الألفاظ وكثرة المعاني التي تدل عليها ، وهذه هي غاية البلاغة المتمثلة في استثمار اقل ما يمكن من الألفاظ في أكثر ما يمكن من المعاني.

يقول دراز موضحاً هذا المقصد"فلقد تراه يعمد بعد حذف فضول الكلام وزوائده إلى حذف شيء من أصوله وأركانه التي لا يتم الكلام في العادة بدونها ولا يستقيم المعنى إلا بها ولقد يتناول بهذا الحذف كلمات وجملا كثيرة متلاحقة ومتفرقة في القطعة الواحدة ثم تراه في الوقت نفسه يستثمر تلك البقية الباقية من اللفظ في تأدية المعنى كله بجلاء ووضوح وفي طلاوة وعذوبة حتى يخيل إليك من سهولة مسلك المعنى في لفظة أن لفظه أوسع منه قليلا فإذا ما طلبت سر ذلك رأيته قد أودع معنى تلك الكلمات أو الجمل المطوية في كلمة هنا وحرف هناك[١].

٢. تحقيق فضيلة الإيجاز، وسرعة الوصول إلى الأمر المطلوب ، فاستخدام الإيجاز بالاحتباك يعطي دلالات أوضح ويكون ذا اثرٍ بالغ في إيصال المعنى[٢].

٣. تنبيه المتلقي إلى البحث عن المحذوف، فيجعله يتجاوب مع ما يقرأ، فترسخ المعلومة في نفسه ويقل نسيانه، وهذا مطلب من مطالب الحذف في القرآن الكريم [٣].

٤تهذيب العبارة ؛ لأنَّ المعنى الذي يدركه الفهم إدراكاً قوياً مع حذف الألفاظ الدالة عليه يكون في ذكرها فضولٌ يتنزه عنه البيان الحكيم.

٥. صيانة الكلام من الثقل والترهل اللذين يحدثان من ذكر ما تدل عليه القرينة [٤].

٦.الكشف عن تفاوت مستوى السامعين في النباهة والفطنة.

---

(١) دراز، محمد عبد الله النبأ العظيم، دار الثقافة ـ الدوحة، الطبعة: ١٩٨٥، ص١٢٧.

(٢) ينظر عدنان أسعد، الاحتباك في القرآن الكريم دراسة بلاغية، مبحث شروط الاحتباك وبلاغته ص٢٢، بتصرف يسير.

(٣) فاطمة الكبيسي، تعاقب الذكر والحذف في القرآن الكريم ، الجامعة الأردنية، رسالة دكتوراه، ١٩٩٨، ص١٢.

(٤) أبوموسى، محمد، خصائص التراكيب، ص ١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الرابع: شواهد من الإيجاز بالاحتباك وأثرها في إعجاز القرآن الكريم.

تناولت كتب التفسير هذا النوع من الإيجاز القرآني بشيء من الشرح، فكان منهم المقل ومنهم المكثر مثل التفسير البقاعي (٨٥٥هـ) والآلوسي (ت ١٠٢٥هـ)وغيرهما وفي هذا المبحث إن شاء الله نسلط الضوء على نماذج من كتب التفسير لبعض الآيات القرآنية التي تحوي هذا النوع من الإيجاز القرآني[١]،علماً أننا قد أشرنا إلى بعض الأمثلة في المبحث السابق فما ذكر لا حاجة لإعادة ذكره، كمانستطيع أن نعدّ سيبويه (١٨٠هـ) أول من أشار إليه بإشارة عابرة من غير تنظير أو استفاضة عند وقوفه على قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ "(البقرة:١٧١)حيث قال: "لم يشبهوا بما ينعق إنما شبهوا بالمنعوق به، وإنما المعنى: ومثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى"[٢]، وهذا من باب التشبيه التمثيلي الذي فيه صورة منتزعة من متعدد.

فحذف من الأول"داعي الكافرين لدلالة "الذي ينعق"عليه في الثاني ، وحذف من الثاني"المنعوق به"لدلالة الأول عليه وهو"الذين كفروا".

ثم ذكر المفسرون تباعاً بعد سيبويه إشارات لا يمكن أن ترقى إلى مستوى التنظير، منها ما ذكره الطبري (٣١٠هـ) عند تفسيره لقوله تعالى: "وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ "(البقرة:١٣٥) ما في معناه وهذا يعني قالت اليهود كونوا هوداً تهتدوا ، وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا[٣].

وهذا من الإيجاز بالاحتباك أيضاً لأنه حذف من الأول (تهتدوا) لدلالة (تهتدوا) الثانية عليه ، وحذف من الثاني (كونوا) لدلالة (كونوا) في الأول عليه ، إذ المعلوم أن اليهودية تكفر النصرانية ولا تجوزها والنصرانية تكفر اليهودية ولا تجوزها ، فلا يجوز أن يراد به التخيير[٤].

أما أبن عطية (ت ٤٧٨ هـ) فقد وردت عنده إشارة واضحة إلى الإيجاز بالاحتباك في قوله تعالى: "لِيَجْزِيَ اللّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً "(الأحزاب:٢٤) حيث قال: "تعذيب المنافقين ثمرة إدامتهم الإقامة على النفاق إلى موتهم، والتوبة موازية لتلك الإدامة ، وثمرة التوبة تركهم دون عذاب ،فهما درجتان إقامةٌ على

---

(١) أشار إلى بعض هذه النماذج وغيرها الأستاذ عدنان أسعد، الاحتباك في القرآن الكريم دراسة بلاغية ص٢٧

(٢) سيبويه، الكتاب،٢١٢/١، كما سبقت الإشارة إلى التوجيه الثاني.

(٣) الطبري، جامع البيان،٦٥٢/١.

(٤) الرازي، التفسير الكبير،٨٩/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفاق أو توبة منه ،وعنهما ثمرتان تعذيبٌ أو رحمة ، فذكر تعالى على جهة الإيجاز واحدة من هذين ودل ما ذكر على ما ترك ذكره"[١].

وبهذا القول تصبح الآية من الإيجاز بالاحتباكلأنَّ الحذف وقع من الطرفين فذكر (العذاب)أولاً يدل على (الرحمة)والنعيم ثانياً ، وذكر (التوبة)ثانياً يدل على (عدم التوبة) أولاً .

وكذا الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) فقد أشار إليه في تفسيره الكشاف عند وقوفه على قوله تعالى"وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"(يونس:١٠٧) فقال: فإن قلت: لم ذكر المس في أحدهما والإرادة في الثاني، قلت: كأنه أراد أنيذكر الأمرين جميعاً : الإرادة والإصابة في كل واحد من الضر والخير، وأنه لا راد لما يريده منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما، فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهوالإصابة في أحدهما والإرادة في الآخر؛ ليدل بما ذكر على ما ترك)"[٢]، وهذا من الإشارات الواضحة على الإيجاز بالاحتباكوذلك لأنَّه حذف من الأول (الإرادة) لدلالة الثاني عليه (يردك) ، وحذف من الثاني (المس) لدلالة الأول عليه (يمسسك)[٣].

وممن أشار إليه كذالك الرازي (ت ٦٠٦هـ)، عند تفسير قوله تعالى"وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ "(غافر:٤١) أن معناها: (أنا ادعوكم إلى الإيمان الذي يوجب النجاة وتدعونني إلى الكفر الذي يوجب النار)"[٤]، وهذه الآية من الإيجاز بالاحتباكلأنَّه ذكر النجاة الملازمة للإيمان أولا دليلاً على حذف الهلاك الملازم للكفران ثانياً والنار ثانياً دليلاً على حذف الجنة أولاً .

أما القرطبي (ت ٦٧١هـ)فقد ذكر إشارة أخرى عندما قال معلقاً على قوله تعالى: وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ"(البقرة:٢٢٨)، أي: لهن من الحقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن"[٥]وهذا مما عُدَّ من الإيجاز بالاحتباكأيضاً لأنَّه حذف من الأول (على الرجال) لدلالة (عليهن) في الثاني عليه وحذف من الثاني (للرجال) لدلالة (لهن) في الأول عليه.

---

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز: ٤٤/١٢.

(٢) الزمخشري، الكشاف: ٤٧٩.

(٣)وقد توجه الآية على عظيم رحمة الله تعالى؛ بأن الضر يكون قليلاً بلطف من الله، وأن النفع والخير يكون واسعاً بإرادة وقدرة متحتمة منه جل في علاه.

(٤) الرازي، التفسير الكبير: ٧١/٢٧.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٨٢/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الآيات الدالة عليه قوله تعالى: "أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْهُمْ قَآئِلُونَ "(الأعراف:٤)، أي أنَّه إذا قيل بياتاً ليلاً ،أي ليلاً وهم نائمون أو نهاراً وهم قائلون"[١]، وعلى هذا تكون الآية من الإيجاز بالاحتباك أيضاً وذلك لأنَّه حذف من الأول (نائمون) لدلالة الثاني عليه (قائلون)، وحذف من الثاني (نهاراً) لدلالة الأول عليه وهو(بياتاً أي ليلاً).

ولعل أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) يعد من أوائل الذين بينوا الإيجاز بالاحتباك ووضحوه، لكنه لم يسمه بالاحتباك، فعندما فسر قوله تعالى: "وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ" قال معلقاً عليها: "هذا من بديع الكلام، إذ حذف شيئاً من الأول أثبت نظيره في الآخر، وأثبت شيئاً في الأول حذف نظيره في الآخر، وأصل التركيب ولهنّ على أزواجهنّ مثل الذي لأزواجهنّ عليهنّ ، فحذفت على أزواجهنّ لإثباتها عليهنّ ، وحذف لأزواجهنّ لإثبات لهنّ "[٢].

وهذا هوالإيجاز بالاحتباك المتناظر الذي يحذف من كلٍّ من الطرفين ما اثبت نظيره من الآخر، لقوله تعالى: "لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً "(الأحزاب: ٨)، فيجوز أن يكون حذف من الأول ما أثيب به الصادقون، وهم المؤمنون، وذكرت العلة؛ وحذف من الثاني العلة، وذكر ما عوقبوا به. وكان التقدير: ليسأل الصادقين عن صدقهم، فأثابهم؛ويسأل الكافرين عما أجابوا به رسلهم"[٣].وهذا من الإيجاز بالاحتباك الضدي الذي يحذف من كلٍّ من الطرفين ضد الآخر.

أما ابن القيم (ت٧٥١ هـ) فقد جعله من الإيجاز الحسن، من غير أن يسميه عند تعليقه على عدد من الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: "إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ "(الأعراف:٥٦) فقال: "إنَّ هذا من باب الاستغناء بأحد المذكورين عن الاخر ، لكونه تبعاً له ،ومعنىً من معانيه فإنَّه ذكرٌ أغنى عن ذكره لأنَّه يفهم منه فعلى هذا يكون الأصل في الآية إنَّ الله قريبٌ من المحسنين،وإنَّ رحمة الله قريبة من المحسنين"[٤]. وعند قوله تعالى: وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً "(المزمل:٨) فقال: "ومصدر بتل إليه (تبتلاً) كالتعلم والتفهم، ولكن جاء على (التفعيل) مصدر (تعلل) لطيف فإنَّ في هذا الفعل إيذاناً بالتدريج والتكلف والتعمل والتكثر والمبالغة، فأتى بالفعل الدال على أحدهما ، وبالمصدر الدال على الآخر فكأنة قيل: بتل نفسك

---

(١) ابن الزبير الغرناطي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣٥٥.

(٢) أبوحيان، البحر المحيط: ٢٠٠/٢.

(٣)عدنان أسعد،الاحتباك في القران الكريم دراسة بلاغية،ص٢٢.

(٤) ابن القيم بدائع الفوائد: ٣٠/٣، وابن القيم، التفسير القيم، ص٢٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى الله تبتيلا وتبتل إليه تبتلا، ففهم المعنيان من الفعل ومصدره. وهذا كثير في القرآن، وهومن حسن الاختصار والإيجاز"[١].

أما الزركشي (ت ٧٩٤هـ) فذكره في البرهان وأطلق عليه اسم (الحذف المقابلي) وقال عنه: "هوأن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كلٍّ واحدٍ منهما مقابله لدلالة الآخر عليه"[٢].

و بعد الزركشي فقد أخذ العلماء يسمونه بالاحتباك وأول من ورد عنده هذا الاسم علي الجرجاني المعروف بالشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) في كتابه التعريفات وأورد له نفس كلام الزركشي[٣].

ومن بعد علي الجرجاني جاء الإمام برهان الدين البقاعي (ت٨٥٥هـ) – رحمه الله – الذي اهتم به كثيراً ،حتى إنَّ تفسيره (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ورد فيه الاحتباك بكثرة ،ونظر له أيضاً فقال في أحد المواضع: هوأن يحذف من جملةٍ شيءٌ إيجازاً ويذكر في الجملة الأخرى ما يدل عليه"[٤] ، ولم يكتف بذكره في تفسيره،بل صنف له كتاباً خاصاً ، وسماه (الإدراك لفن الاحتباك)[٥] كما يقول هو: (قد جمعت فيه كتاباً حسناً ذكرت فيه تعريفه ومأخذه من اللغة وما حضرني من أمثلته من الكتاب العزيز وكلام الفقهاء وسميته (الإدراك لفن الاحتباك)، وينسب بعض العلماء هذا الفن إليه[٦] بسبب اهتمامه به ، فهوكثيراً ما يقف على الآيات الكريمات التي فيها احتباك، ويذكر ويبين ما حذف وما ذكر من الآخر من حيث التضاد والتشابه والنفي...الخ.

ومن الأمثلة التي ذكرها ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(البقرة:١٨٥)

---

(١)ابن قيم الجوزية، بدائع التفسير الجامع لتفسير، جمع وتوثيق يسري السيد حسن: ٥٠/٥، وابن القيم، التفسير القيم، ص٥٠١/٥٠٢

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن:١٢٩/٣.

(٣) الجرجاني، التعريفات، ص٢٥.

(٤) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٦٣/٤.

(٥) لم يعثر الباحث على هذا الكتاب خلال بحثه ولعله من المخطوط أو المفقود.

(٦)السيوطي، الإتقان في علوم القرآن:٢٠٤/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال العلامة البقاعي"وفيه إشارة إلى احتباكفإن ذكر الشهود أولاً يدل على عدمه ثانياً وذكر الإكمال لأجل الغمام ثانياً يدل على الصحوأولاً "[١]، فأراد من ذكر الشهود الدلالة على عدم الشهود، ومن ذكر الإكمال الدلالة على عدم الإكمال بسبب الرؤية.

وقوله تعالى: وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (البقرة:٢٠٦)، فإذا تولى أي أعرض بقلبه أوقاله عمن خدعه بكلامه، وكنى بالتعبير بالسعي عن الإسراع في إيقاع الفتنة بغاية الجهد فقال:(سعى) ونبه على كثرة فساده بقوله: في الأرض، أي كلها بفعله وقوله عند من يوافقه، ليفسد أي ليوقع الفساد وهواسم لجميع المعاصي فيها أي في الأرض في ذات البين لأجل الإهلاك والناس أسرع شيء إليه فيصير له مشاركون في أفعال الفساد، فإذا فعل منه ما يريد كان معروفاً عندهم فكان له عليه أعوان وبين أنه يصل بإفساده إلى الغاية بقوله مسمياً المحروث حرثاً مبالغة: ويهلك الحرث:أي المحروث الذي يعيش به الحيوان، قال الحرالي[٢]: "سماه حرثاً (مشيراًإلى قوله تعالى:"أفرأيتم ما تحرثون" لأنه الذي نسبه إلى الخلق، ولم يسمه زرعاً ؛ لأن ذلك منسوب إلى الحق" انتهى. ولأنه إذا هلك السبب هلك المسبب من غير عكس، والنسل أي المنسول الذي به بقاء نوع الحيوان، وفعله ذلك للإفساد ونظمت الآية هكذا إفهاماً لأن المعنى أن غرضه أولاً بإفساد ذات البين التوصل إلى الإهلاك وثانياً بالإهلاك التوصل إلى الإفساد،"والله"أي والحال أن الملك الأعظم لا يحب الفساد أي لا يفعل فيه فعل المحب فلا يأمر به بل ينهى عنه ولا يقر عليه بل يغيره وإن طال المدى ويعاقب عليه، ولم يقل: الهلاك،لأنه قد يكون صورة فقط فيكون صلاحاً كما إذا كان قصاصاً ولا قال: الإفساد يشمل ما إذا كان الفساد عن غير قصد، والآية من الإيجاز بالاحتباك،ذكر أولاً الإفساد ليدل على حذفه ثانياً وثانياً الإهلاك ليدل على حذفه أولاً ، وذكر الحرث الذي هوالسبب دلالة على الناسل والنسل الذي هوالمسبب دلالة على الزرع فهواحتباك ثان". [٣].

وفي تفسيروقوله تعالى: وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ "(الأنعام:٣٢)، فلما كان التقدير: وما الدار الآخرة إلا جد وحضور وبقاء للأتقياء،

([١]) البقاعي، نظم الدرر، (٢٧٤/١)

([٢]) هو علي بن أحمد بن الحسن الحرالي التجيبي، أبو الحسن، مفسر من علماء المغرب، أكثر في الثناء عليه وإيراد أخباره، ومن ذلك قيل: ما من علم إلا له فيه تصنيف. أصله من " حرالة " من أعمال مرسية. ولد ونشأ في مراكش. ورحل إلى المشرق وتصوف، ثم استوطن بجاية، وعاد إلى المشرق، فأخرج من مصر. وتوفي في حماة (بسورية) ٦٣٨ هـ من كتبه " مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن، الزركلي،الأعلام (٤ / ٢٥٦)

([٣])البقاعي: نظم الدرر، (١٩٠/٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أتبعه قوله مؤكداً : "وللدار الآخرة خير"ولما كان الكل مآلهم إلى الآخرة، خصص فقال: "للذين يتقون"أي يوجدون التقوى، وهي الخوف من الله الذي يحمل على فعل الطاعات وترك المعاصي، ليكون ذلك وقاية لهم من غضب الله، فذكر حال الدنيا وحذف نتيجتها لأهلها لدلالة ثمرة الآخرة عليه وحذف ذكر حال الآخرة لدلالة ذكر حال الدنيا عليه، فهواحتباك؛ ولما كان من شأن العقلاء الإقبال على الخير وترك غيره، تسبب عن إقبالهم على الفاني وتركهم الباقي قوله منكراً أفلا تعقلون [١].

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ "(الزمر:٣٣)، يقول البقاعي: "فلما ذكر سبحانه الظالمين بالكذب ذكر أضدادهم الذين يخاصمونهم عند ربهم وهم المحسنون بالصدق فقال: والذي أي الفريق الذي جاء بالصدق أي الخبر المطابق للواقع، فصدق على الله، وتعريفه يدل على كماله،فيشير إلى أن الإتيان به ديدنه لا يتعمد كذباً وصدق به أي بكل صدق سمعه وقام عليه الدليل، وليس هو بجموده عدوما لم يعلم، فهو يكذب بكل ما لم يسمع، فمن أعدل منه لكونه صدق على الله وصدق بالصدق إذ جاءه واستمر عليه، ولعله أفرد الضمير إشارة إلى قلة الموصوف بهذا الوصف من الصدق، وهذا الفريق هوالرسل وأتباعهم، ولذلك حصر التقوى فيهمفقال مشيراً بالجمع إلى عظمتهم وإن كانوا قليلاً : أولئك أي العالو في الرتبة، هم أي خاصة المتقون الذين جانبوا الظلم، فليس لجهنم عليهم سبيل، ولا لهم فيها منزل ولا مقيل، بل الجنة منزلهم، أليس في الجنة منزل للمتقين؟

فالآية من الإيجاز بالاحتباكذكر أولاً المثوى في جهنم دليلاً على حذف ضده ثانياً، والاتقاء ثانياً دليلاً على حذف ضده أولاً، وسره أنه ذكر أنكأ ما للمجرم من الكفر وسوء الجزاء. وأسرّ ما للمسلم من قصر التقوى عليه، وذكر أحب جزائه إليه، والإشارة إلى عراقته في الإحسان وفي الآيات احتباك آخر وهوأنه ذكر الكذب والتكذيب أولاً دليلاً على الصدق والتصديق ثانياًوالاتقاء وجزاءه وما يتبعه ثانياً دليلاً على ضده أولاً ، وسره أنه ذكر في شق المسيء أنكأ ما يكون من الكذب والتكذيب في أقبح مواضعه، ولا سيما عند العرب، وأسر ما يكون في شق المحسن من استقامة الطبع وحسن الجزاء [٢].

وكل من جاء بعد الجرجاني والبقاعي أخذ يذكره باسمه،ولكن بحدودٍ مختلفة ، فبعد البقاعي ذكره الإمام السيوطي (٩١١هـ)باسمه وجعله واحداً من أقسام الحذف في كتبه، ونظر

---

(١)البقاعي: نظم الدرر (٤٣/٣)

(٢)البقاعي: نظم الدرر (٧:٢٥٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له وعده من أجمل أنواع الحذف والإيجاز وعزاه إلى البقاعي فقال عنه: "هومن ألطف الأنواع وأبدعها وقل من تنبه له أونبه عليه من أهل فن البلاغة، ولم أره إلا في شرح بديعية الأعمى، وذكره الزركشي في البرهان ولم يسمه هذا الاسم بل سماه الحذف المقابلي وأفرده في التصنيف من أهل العصر العلامة برهان الدين البقاعي، ونقل السيوطي عن الأندلسي في شرح البديعية: " ومن أنواع البديع الإيجاز بالاحتباك، وهو نوع عزيز، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول[١]، وضرب عليه أمثلة منها، كقوله تعالى: "ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق"التقدير: ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق والذي ينعق به فحذف من الأول الأنبياء لدلالة الذي ينعق عليه ومن الثاني الذي ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه. وقوله: "وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء"التقدير تدخل غير بيضاء وأخرجها تخرج بيضاء فحذف من الأول تدخل غير بيضاء ومن الثاني وأخرجها.

وكذا الآلوسي فقد ذكره في تفسير قوله تعالى:قيِّماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً)(الكهف:٢)

فقال"ويبشر المؤمنين الخ للإيذان بكفاية ما في حيز الصلة في الكفر على أقبح الوجوه وإيثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل بعضهم المفعول المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة وفي الآية صنعة الإيجاز بالاحتباك حيث حذف من الأول ما ذكر فيما بعد وهو المنذر وحذف مما بعد ما ذكر في الأول وهو المنذر به وتعقب بأنه يؤدي إلى خروج سائر أصناف الكفرة عن الإنذار والوعيد [٢].

وكذا في تفسير قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً "(الأحزاب:٥٦)، فإنه تعالى أخبر في الأول بصلاته وصلاة ملائكته عليه مؤكدا له بأن وبالجمع المفيد للعموم في الملائكة وفي هذا من تعظيمه ما يوجب المبادرة إلى الصلاة عليه من غير توقف على الأمر موافقة لله تعالى وملائكته في ذلك، وبهذا أستغنى عن تأكيد يصلي بمصدر ولما خلا السلام عن هذا المعنى وجاء في حيز الأمر المجرد حسن تأكيده بالمصدر تحقيقا للمعنى وإقامة لتأكيد الفعل مقام تقريره وحينئذ حصل لك التكرير في الصلاة خبرا وطلبا كذلك حصل لك التكرير في السلام فعلا ومصدرا وأيضا هي مقدمة عليه لفظا والتقديم يفيد الإهتمام فحسن تأكيد السلام لئلا يتوهم قلة الإهتمام به لتأخره، وقيل: إن في الكلام الإيجاز

---

(١) للمزيد ينظرالسيوطي، الإتقان في علوم القرآن:٢٠٤/٣، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن:٢٤٢/١.

(٢) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: (٢٠٣/١٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالاحتباك والأصل صلوا عليه تصلية وسلموا عليه تسليما فحذف عليه من إحدى الجملتين والمصدر من الأخرى[١].

ومن ذلك ما ذكره القاسمي في تفسير قوله تعالى: "وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم"(إبراهيم:٢٢)فقوله:عَدَكُمْ وَ عْدَ الْحَقِّ على ألسنة رسله بأن في اتباعهم النجاة والسلامة، أي: فوفى بهَ وأنجزتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ:ووعدتكم وعد الباطل، وهو أن لا بعث ولا جزاء. ولئن كان، فالأصنام شفعاؤكم. ولم يصرح ببطلانه لدلالة فَأَخْلَفْتُكُمْ عليه. والإخلاف مستعار لعدم تحقق ما أخبر به وكذبه، أو مشاكلة. وفي الآية من الإيجاز البليغ شبه الاحتباك.حيث حذف أولاً (فوفى به)لدلالة قوله بعدُ:(فَأَخْلَفْتُكُم) عليه لأنه مقابله،وحذف ثانياً (وعد الباطل) لدلالة:وَعْدَ الْحَقِّ "[٢].

وقد ذكره ابن عاشور في تفسير قوله تعالى:وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ "(يونس:٦٠) حيث يقول:""فعلم من قرينة العموم في الأفعال الثلاثة بواسطة النكرات الثلاث المتعلقة بتلك الأفعال والواقعة في سياق النفي أن ما يحصل في الحال وما يحصل في المستقبل من تلك الأفعال سواء، وهذا من بديع الإيجاز والإعجاز. وكذلك الجمع بين صيغ المضارع في الأفعال المعممة بـ(تَكُونَ - تَتْلُوا وتَعْمَلُونَ "وبين صيغة الماضي في الفعل الواقع في موضع الحال مثل" كُنَّا"للتنبيه على أن ما حصل ويحصل وسيحصل سواء في علم الله تعالى على طريقة الاحتباك كأنه قيل: وما كنتم وتكون وهكذا، إلا كنا ونكون عليكم شهوداً [٣].

ومن ذلك ما ذكره إسماعيل حقي في تفسير قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "(فصلت:٤٠)فقال: "فَيُلْقَى فِي النَّارِ على وجهه؛ وهم الكفرة بأنواعها خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا من النار يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وهم المؤمنون على طبقاتهم قابل الإلقاء في النار بالإتيان آمناً مبالغة في إحماد حال المؤمنين بالتنصيص على أنهم آمنون يوم القيامة من جميع المخاوف، فلوقال: أم من يدخل الجنة،لجاز من طريق الاحتمال أن يبدلهم الله من بعد خوفهم أمناً ولك أن تقول الآية من الاحتباك حذف من الأول مقابل الثاني، ومن الثاني مقابل الأول.

---

(١) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: (٨٠/٢٢).

(٢) القاسمي، محاسن التأويل: ٣٤٠٥/٩.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير:١١٨/١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتقدير: أفمن يأتي خائفاً ويلقى في النار خير أم من يأتي آمناً ويدخل الجنة يعني: أن الثاني خير"[١].

أما الشعراوي فقد ذكر له اسماً أخر مع الاحتباك وهو(الترتيب لفائدة) فقال: "وهذا ما يسميه العلماء احتباك ، وهو أن يأتي المتكلم بأمرين كلُّ أمر فيه عنصران المتكلم يريد أن يربي الفائدة بإيجازٍ دقيق فيجيء من العنصر الأول عنصر ويحذف مقابله من العنصر الثاني،ويجيء من العنصر الثاني عنصرٌ ويحذف مقابله في الأول"[٢].

ومن الأمثلة التي ذكرها الشعراوي، في تفسير قوله تعالى:كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ "(آل عمران:١٣)

وهذا وصف الفئة التي تقاتل في سبيل الله من مقابلها في الآية وهي الفئة الأخرى.

فمقابل الكافرة مؤمنة، ومعلوم أن الفئة الكافرة إنما تقاتل في سبيل الشيطان لمجرد معرفتنا أن الفئة الأولى المؤمنة تقاتل في سبيل الله. ويسمون ذلك في اللغة"احتباك". وهو أن تحذف من الأول نظير ما أثبت في الثاني، وتحذف من الثاني نظير ما أثبت في الأول، وذلك لفوائد فمنها: حتى لا تكرر القول، وحتى توضح الالتحام بين القتال في سبيل الله والإيمان، والقتال في سبيل الشيطان والكفر[٣].

وكذا الحق سبحانه وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله)(البقرة: ٢٤٩)الفئة القليلة تكون قلّتُها في الأفراد والعَتَاد وكلِّ لوازم الحرب، والفئة الكثيرة، تظهر كثرَتها في العُدَّة والعَدَد وكلِّ لوازم الحرب،والفئة القليلة إنما تَغْلِب بإذن الله تعالى.

وهكذا يوضِّح الحق سبحانه أن الأسباب تقضي بغلبة الفئة الكثيرة، لكن مشيئته سبحانه تغلب الأسباب وتصل إلى ما شاءه الله تعالى، ولذلك يقول الحق سبحانه في آية أخرى(قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وأخرى كَافِرَةٌ)(آل عمران: ١٣)، فحذف سبحانه صفة الإيمان عن الفئة الأولى، كما حذف عن الفئة الثانية صفة أنها تقاتل في سبيل الطاغوت والشيطان، وهذا يسمَّى"الاحتباك"[٤].

---

(١)إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي (٢٠٥/٨) وكذا أشار إليه كل من الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(٤١٧/٤)، والصابوني، صفوة التفاسير(٨٦/١)، والحموز، التأويل النحوي في القرآن: ٤٣٢/١، والحموز، معجم الأفعال التي حذف مفعولها غير الصحيح في القرآن الكريم ص١٨.

(٢) الشعراوي،المنتخب من تفسير القرآن الكريم ص٣٢٨٤٩.

(٣) بتصرف يسير الشعراوي،المنتخب من تفسير القرآن الكريم، ص٨٣٩

(٤)الشعراوي،المنتخب من تفسير القرآن الكريم، ص٨٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي تفسير قوله تعالى:"يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا"(الأعراف: ٢٧)، فقال:"وهذا نهي لبني آدم وليس نهيا للشيطان، وهذا في مُكنة الإنسان أن يفعل أولا يفعل، فسبحانه لا ينهى الإنسان عن شيء ليس في مكنته، بل ينهاه عما في مكنته، والشيطان قد أقسم أن يفتنه وسيفعل ذلك لأنه أقسم وقال: فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ". فإياكم أن تنخدعوا بفتنة الشيطان؛ لأن أمره مع أبيكم واضح، ويجب أن تنسحب تجربته مع أبيكم عليكم فلا يفتننكم كما أخرج أبويكم من الجنة، ويتساءل البعض: لماذا لم يقل الله: لا يفتننكم الشيطان كما فتن أبويكم، وقال لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ؟. ونقول هذا هو السمو والافتنان الراقي في الأداء البياني للقرآن.

وإن هذا تحذير من فتنة الشيطان حتى لا يخرجنا من جنة التكليف. كما فتن أبوينا فأخرجهما من جنة التجربة. ويقال عن هذا الأسلوب إنه أسلوب احتباك، وهو أن تجعل الكلام شطرين وتحذف من كل منهما نظير ما أثبت في الآخر قصد الاختصار. وهذا هو الأسلوب الذي يؤدي المعنى بمنتهى الإيجاز؛ لينبه ذهن السامع لكلام الله[١].

وأفي قوله تعالى:"أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ "(هود:٣٥) فعلق:" وأسلوب الآية الكريمة يحذف عنهم البراءة في الشطر الأول منها، ولو جاء بالقول دون احتباك، لقال سبحانه:قل إن افتريته فعليَّ إجرامي وأنتم براءه منه،وإنْ لم أفْتَرِ فعليكم إجرامكم وأنا بريء،فحذف الحذف من شِقٍّ المقابل من شقٍّ آخر، وهذا ما يسمَّى في اللغة"الاحتباك"[٢].

كما أشار إليه محمد عبده في مجلة المنار في تفسير قوله تعالى: "قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً "(الجن:٢١)

قال في الآية احتباكي لا أملك لكم ضرًّا ولا نفعًا ولا رشدًا ولا غواية أضلالةً ، فحذف من كل ما أثبت مقابله في الآخر [٣].

فمما سبق من شواهد مترامية الأطراف والأنواع، يتبين للباحث روعة النسق القرآني في عرضه البياني بصورة غاية في الإيجاز، وذلك من حيث الإتقان بين المحذوف ومدلوله

---

(١)الشعراوي،المنتخب من تفسير القرآن الكريم، ص٢٨٤٨

(٢)الشعراوي،المنتخب من تفسير القرآن الكريم، ص٤١٨٩

(٣)محمد عبده، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، مجلة المنار، المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، نسجة الحرم المدني، (٦٣٠/٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي عبر عنه العلماء الإيجاز بالاحتباك، فهو أشبه ما يكون بالسماء المحبوكة التي لا تجد فيها أي خلل في نظمها مع أنه غاية في الطول والعرض والقرآن كله كذالك؟!، هذا كله يعطي الدليل الأكبر على الإعجاز القرآني البياني من خلال الدقة في النظم، الجودة في العرض والغاية في تنظيم المحذوف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: الإيجاز بالاكتفاء و أثره في بالإعجاز القرآني.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاكتفاء في اللغة والاصطلاح وأمثلة على ذلك.

المطلب الثاني: الأساليب التيتعطي مدلولاً قريباً من إيجاز الاكتفاء.

المطلب الثالث: شواهد من الإيجاز بالاكتفاء وتلك المدلولات وأثرها في إعجاز القرآن الكريم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول: الاكتفاء في اللغة والاصطلاح وأمثلة على ذلك.

أولاً :الاكتفاء في اللغة.

يمكن القول أن الجذر اللغوي لمادة الاكتفاء يعود إلى"كفي"الكاف والفاء والحرف المعتل الذي يدلُّ على الحَسْب الذي لا مُستَزَادَ فيه. يقال:كفاك الشّيءُ يَكفِيكوقد كَفَى كِفاية، إذا قام بالأمو الكُفْيَةُ القوت الكَافِي، والجمع كُفًى ويقال حَسْبُك زيدٌ من رجلٍ ، وكافيك [١]. أو"الكاف والفاء والهمزة أصلانِ يدلُّ أحدُهما على التَّساوِي في الشَّيئين، ويدلُّ الآخر على المَيْل والإمالة والاعوجاج، فالأول كافأت فلاناً، إذا قابلتَه بمثل صَنيعه. والكفء المِثْل. قال الله تعالى:(وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ) (الإخلاص: ٤). والتكافؤ التَّساوِي. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: المسلمون تتكافأ دماؤُ هم"[٢]، أي تتساوى، وأمَّا الآخر،فقولُهم: أكفأت الشيءَ، إذا أمَلْتَه[٣].

وكلا المعنيين يفيد في بحثنا لأن التساوي بين الحذف والذكر من المدلولات التي يدل عليها الإيجاز فهناك من اعتبر من أنواع الإيجاز إيجاز المساواة، والاستغناء عن المحذوف من مدلولات الاكتفاء أيضاً؛ وهذا هو الرابط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي كما سيظهر لاحقاً .

ويقال بالشيء كفاية إذا استغنى به عن غيره فهو كاف وكفي وكثيرا ما تزاد معها الباء وفي التنزيل العزيز (وكفى بالله حسيبا)(الأحزاب:٣٩) (و) (وكفى بالله شهيدا) (الرعد:٤٣) ويقال كفاه مؤونته [٤]، وفي الحديث:"من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس"[٥].

---

(١)ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (١٨٨/٥)

(٢)أبوداود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمروالأزدي،المتوفى: ٢٧٥هـ، سنن أبي داود، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، الطبعة: الأولى،(٣٨٨/٧)

(٣)ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (١٨٩/٥) والمعنى الثاني ليس مراد في مبحثنا

(٤) بتصرف واسع الفيروز آبادي، المعجم الوسيط، (٧٩٣/٢)

(٥)الترمذي،الجامع الصحيح،(٤ / ٦٠٩) رقم: ٢٤١٤، قال الشيخ الألباني: صحيح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبذلك يتضح أن الاكتفاء في الأصل اللغوي يدل على المساواة التي يمكن توظيفها في المعنى الاصطلاحي بين الذكر والحذف كما سيلاحظ.

ثانياً: الاكتفاء في الاصطلاح:

الاكتفاء ضرب من الإيجاز:هو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم، وارتباط، فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكتة، ولا يكون المكتفى عنه إلاآخرًا لدلالة الأول عليه، وذلك الارتباط قد يكون بالعطف وهو الغالب[١].

كما أورد ابن رشيقتعريفاً للاكتفاء وهو: أن يدل موجود الكلام على محذوفه[٢].

وهذا كلام عام ليس جامعاً مانعاً يحتاج إلى ضوابط لأنه يشترك مع الأصناف الأخرى كالتضمين والاحتباك والحذف أيضاً .

أما الزركشي، فقد بيّن قيده بأن: يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفى بأحدهما عن الآخر ويخص بالارتباط العطفي غالبا، ثم ليس المراد الاكتفاء بأحدهما كيف اتفق بل لأن فيه نكتة تقتضى الاقتصار عليه[٣].

ثالثاً: من الأمثلة على الاكتفاء.

من أبرز أمثلة هذا النوع من الإيجاز القرآني قوله تعالى:﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾(النحل:٨١) أي والبرد هكذا قدروه[١].

---

(١).ينظر ابن معصوم علي صدر الدين المدني ت:١١٢٠هـ،أنوار الربيع في أنواع البديع، حققه شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، ط1 ، النجف الأشرف،١٣٨٨هـ١٩٦٨م، ٧١/٣ وينظر أبومحمد القاسم الأنصاري السجلماسي،المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق د. علال الغازي، مكتبة المعارف، ط ١٩٨١/١م، ص١١٨.

(٢) ينظر شمس الدين النواجي، الشفاء في بديع الاكتفاء، تحقيق د. محمود حسن أبوناجي، منشورات دار مكتبة الحياة، ط ١، بيروت،١٤٠٣هـ١٩٨٣م، ص١، وللمزيد يراجع البحث المحكم الشفاء في بديع الاكتفاء، شمس الدين محمد بن حسن النواجي
المتوفى سنة٨٥٩هـ، حسن محمد عبد الهادي، كلية الآداب، جامعة الخليل، الخليل، فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية المجلد التاسع، العدد الثاني٢٠٠١، ص١٧٦_٢١٤.

(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (١١٩/٣)، بتصرف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأوردوا عليه سؤال الحكمة من تخصيص الحر بالذكر وأجابوا بأن الخطاب للعرب وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم لأنه أشد من البرد عندهم.

والحق أن الآية ليست من هذا القسم فإن البرد ذكر الامتنان بوقايته قبل ذلك صريحا في قوله: (وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا)(النحل:٨٠) وقوله: (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً)(النحل:٨١)، وقوله في صدر السورة: (خَلَقَ الأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ)(النحل:٥)

فإن قيل: فما الحكمة في ذكر الوقايتين بعد قوله: (وَجَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً)(النحل:٨١)، فإن هذه وقاية الحر، ثم قال: (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً)، فهذه وقاية البرد على عادة العرب ؟.

قيل: لأن ما تقدم بالنسبة إلى المساكن وهذه إلى الملابس، وقوله: (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً) فيه الجوابان السابقان[٢].

ومن أمثلة هذا القسم كثيرة، كقوله تعالى: (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)(الأنعام:١٣).

فإنه قيل: المراد: وما تحرك وإنما آثر ذكر السكون، لأنه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد، ولأن الساكن أكثر عددا من المتحرك، أولأن كل متحرك يصير إلى السكون، ولأن السكون هوالأصل والحركة طارئة،والمرادُ ما سكن فيهما أوتحرّك، فاكتفي بأحد الضدَّيْن عن الآخر[٣]. وقوله: (لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ) (الحديد:١٠)،أي ومن أنفق بعده وقاتل لأن الاستواء يطلب اثنين وحذف المعطوف لدلالة الكلام عليه، وقبل فتح مكة لما عز الإسلام وقوّة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجاً وقلة الحاجة إلى القتال والنفقة فيه، ومن أنفق من بعد الفتح؛ فحذف لوضوح الدلالة لذا تراه قال بعده: (أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا)[٤]، وقوله: (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ) (الشعراء:٢٢)،والظاهر أن هذا الكلام إقرار من موسى عليه الصلاة والسلام بالنعمة، كأنه

---

(١) للمزيد ينظر البحث المحكم الشفاء في بديع الاكتفاء، شمس الدين محمد بن حسن النواجي، المتوفى سنة٨٥٩هـ، حسن محمد عبد الهادي، كلية الآداب، جامعة الخليل، الخليل، فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية المجلد التاسع، العدد الثاني٢٠٠١، ص١٧٦_٢١٤.

(٢) ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (١١٨/٣)

(٣) أبوالسعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم- (٣٤٠/٢)

(٤) الزمخشري، الكشاف، (٤٩٣/٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول:وتربيتك لي نعمة عليّ من حيث عبدت غيري وتركتني واتخذتني ولداً، ولكن لا يدفع ذلك رسالتي[١]، ولعل من الأوجه أن السؤال هنا إنكاري لا من باب الإقرار.

(١) أبوحيان، البحر المحيط، (٤٠٥/٨)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: الأساليب التي تعطي مدلولاً قريباً من إيجاز الاكتفاء.

فصل الزركشي القول في بعض الأساليب التي تدل من خلال السياق على محذوف غير ما ذكرنا من أساليب سابقة في الفصول الماضية وإن كان يدخل بعضها ضمناً خلال الكلام السابق إلا أنه تنظيم مستساغ وإصطلاح لطيف فمن ذلك:

أولاً : مايسمى الضمير والتمثيل، ويعني الإمام الزركشي بالضمير: أن يضمر من القول المجاور لبيان أحد جزأيه[١]، كقول الفقيه: النبيذ مسكر فهوحرام فإنه أضمر (وكل مسكر حرام) [٢].

ويكون في القياس الاستثنائي كقوله تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا) (الأنبياء:٢٢).

وقوله تعالى: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) (آل عمران:١٥٩)، وقد شهد الحس والعيان أنهم ما انفضوا من حوله وهي المضمرة وانتفى عنه صلى الله عليه وسلم أنه فظ غليظ القلب.

وقوله تعالى: (وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) (الأنفال:٢٣)، المعنى لوأفهمتهم لما أجدى فيهم التفهيم فكيف وقد سلبوا القوة الفاهمة فعلم بذلك أنهم مع انتفاء الفهم أحق بفقد القبول والهداية

ثانياً : أن يستدل بالفعل لشيئين وهوفي الحقيقة لأحدهما فيضمر للآخر فعل يناسبه كقوله تعالى: (تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ) (الحشر:٩)أي واعتقدوا الإيمان.

وقوله تعالى: (وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا) (الفرقان:١٢) أي وشموا لها زفيرا.

وقوله تعالى: (وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ)(الحج:٤٠)، والصلوات لا تهدم فالتقدير: ولتركت صلوات، وقوله تعالى: (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ) (الواقعة:١٧) فالفاكهة ولحم الطير والحور العين لا تطوف وإنما يطاف بها، أي: يطوفون عليهم بهذه الأشياء : المأكول

---

(١).ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (١٢٤/٣)

(٢) أشار لهذه القاعدة معظم من كتب في الأصول ومنهم الإمام تاج الدين السبكى، ينظر/تاج الدين عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي السبكي، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، ١٩٩١م، (١٢١/٢)، ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبومحمد، الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ (٦٦/١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمشروبِ والمتفكَّهِ به، وهذا كمالُ العِيشةِ الراضيةِ[١]،فاكتفى بذكر الطواف الأول وأغنى عن ذكره مرة أخرى.

وأما قولهفَأَجْمِعُوا(أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ)(يونس:٧١)، فالواو بمعنى مع أي شركائكم كما يقال: لوتركت الناقة وفصيلها لرضعها أي مع فصيلها، وقال الآخرون: أجمعوا أمركم وادعوا شهداءكم، اعتبارا بقولهوَادْعُوا(مَنِ اسْتَطَعْتُمْ)(يونس:٣٨)،"واعلم أن تقدير فعل محذوف للثاني ليصح العطف هوقول الفارسي والفراء وجماعة من البصريين والكوفيين لتعذر العطف. وذهب أبوعبيدة والأصمعي واليزيدي وغيرهم إلى أن ذلك من عطف المفردات وتضمين العامل معنى ينتظم المعطوف والمعطوف عليه جميعا"[٢].

الثاً: أن يقتضى الكلام شيئين فيقتصر على أحدهما لأنه المقصود، كقوله تعالى حكاية عن فرعونَ(رَبُّكُمَا يَا مُوسَى)(طه:٤٩)، ولم يقل: وهارون لأن موسى المقصود المتحمل أعباء الرسالة كذا[٣]، ويحتمل أنه أراد أن يتم الكلام فيقول: (وهارون)، ولكنه نكل عن خطاب هارونتهميشاً له وإيقاعاً للعداوة من خلال التفريق بينه وبين أخيه.

رابعاً: أن يذكر شيئان ثم يعود الضمير إلى أحدهما دون الآخر، كقوله تعالىوَ(إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْلَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا)(الجمعة:١١) قال الزمخشري: تقديره: إذا رأوا تجارة انفضوا إليها أولهوا انفضوا إليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه،ويبقى عليه سؤال وهوأنه لم أوثر ذكر التجارة ؟ وهلا أوثر اللهو؟.

رُوي أنَّهُ قَدَّ أهلَ المدينةِ أصابَهُم جوعٌ وغلاءٌ شديدٌ فقدمَ دِحْيةُ بنُ خَلِيفةَ بتجارةٍ منْ زَيْتِ الشامِ والنبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يخطبُ يومَ الجمعةِ فقامُوا إليهِ خشيةَ أنْ يُسْبقُوا إليهِ فما بقيَ معَهُ لصلاةِ والسلامُ إلا ثمانيةٌ وقيلَ أحدَ عشرَ وقيلَ اثنا عشرَ وقيلَ أربعونُ فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُوالَّذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ لخرجُوا جميعاً لأضرمَ اللهُ عليهِم الواديَ ناراً[٤]، وكانُوا إذَا أقبلتْ العيرُ استقبلُوها بالطبلِ والتصفيقِ ،وهُو المرادُ باللهوتخصيصُ التجارةِ برجعِ الضميرِ لأنَّها المقصودُ أوالانفضاضَ للتجارةِ معَ الحاجةِ إليهَا والانتفاعِ بهَا إذا كانَ

---

(١) ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، (١ / ٥١٤٣)

(٢) ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (١٢٥/٣)

(٣) ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (١٢٦/٣)

(٤) ينظرأبو داود السجستاني ، سليمان بن الاشعث (المتوفى : ٢٧٥هـ)، المراسيل، ص٧٤، برقم(٦٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مذموماً فمَا ظنُّكَ بالانفضاضِ بالكُلِّيةِ إلَى اللَّهو وهُوَ مذمومٌ في نفسهِ، وقيلَ تقديرُهُ إذَا رأَوا تجارةً انفضُّوا إليهِ فحذفَ الثانيَ لدلالةِ الأولِ عليهِ[1].

واختلف في مواضع: منها قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (التوبة:٣٤)،فإنه سبحانه ذكر الذهب والفضة وأعاد الضمير على الفضة وحدها، لأنها أقرب المذكورين ولأن الفضة أكثر وجودا في أيدي الناس والحاجة إليها أمس فيكون كنزها أكثر وقيل أعاد الضمير على المعنى لأن المكنوز دنانير ودراهم وأموال، ونظيره: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) (الحجرات:٩)،لأن الطائفة جماعة. وقيل: من عادة العرب إذا ذكرت شيئين مشتركين في المعنى تكتفي بإعادة الضمير على أحدهما استغناء بذكره عن الآخر اتكالا على فهم السامع، ومنها قوله تعالى: (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا) (الأحزاب:٩) فضميرُ (تَرَوْهَا) راجعا إلى الجنود، أو هم الملائكة.

ومنها قوله تعالى: (وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) فقيل (أحق) خبر عنهما وسهل إفراد الضمير بعدم إفراد (أحق) وأن إرضاء الله سبحانه إرضاء لرسوله.

وقيل خبر (أحق) النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحذف من الأول لدلالة الثاني عليه، وقيل: العكس، وإنما أفرد الضمير لئلا يجمع بين اسم الله ورسوله في ضمير واحد كما جاء في الحديث: "قل ومن يعص الله ورسوله"(٢).

ومنها قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ)(الأنفال:٢٠)، وقوله: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ) (البقرة:٤٥)،فقيل: الضمير للصلاة لأنها أقرب المذكورين وقيل أعاده على المعنى وهوالاستعانة المفهومة من استعينوا، وقيل: المعنى على التثنية وحذف من الأول لدلالة الثاني عليه، ومنها قوله تعالى: (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً) (النساء:١١٢)، وهو نظير آية الجمعة التي سبق ذكرها، وفي هاتين الآيتين لطيفتان: وهما أن الكلام لما اقتضى إعادة الضمير على أحدهما أعاده في آية الجمعة على التجارة وإن كانت أبعد ومؤنثة أيضا، لأنها أجذب للقلوب عن طاعة الله من اللهو، لأن المشتغلين بالتجارة أكثر من المشتغلين باللهو أو لأنها أكثر نفعا من اللهو أو لأنها كانت أصلا، واللهو تبعا لأنه ضرب بالطبل لقدومه كما جاء في صحيح البخاري: "عير يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَثَارَ النَّاسُ إِلاَّ اثْنَىْ عَشَرَ رَجُلاً فَأَنْزَلَ اللَّهُ: "وَإِذَا رَأَوْا

---

(١) أبوالسعود،إرشاد العقل السليم، (٣٢٥/٦)

(٢) الإمام مسلم،الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم،كتاب الجمعة،باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم ٢٠٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا"(١)،وأعاده في قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ) على الإثم رعاية لمرتبة القرب والتذكير(٢)، ومنه قوله تعالى: (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا)(يونس:٥٨) أي بذلك القول.

فهذه الأساليب وغيرها في سياق الكلام تقدم الحجة والبرهان على ما في القرآن من دلالات خفية مختبئة خلف النص القرآني وما لذالك من أثر على بيانه وإعجازه.

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الجمعة، رقم ٤٨٩٩

(٢) ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (١٢٨/٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث: شواهد من الإيجاز بالاكتفاء وتلك المدلولات وأثرها في إعجاز القرآن الكريم.

يبرهن هذا المبحث إلى ما ذهب إليه سابقاً من وجود الاكتفاء في القرآن الكريم جلياً، مع إضافة بعض العبارات الدالة عليه من كلام أهل التفسير فمن ذلك:

قوله تعالى: (يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)(البقرة:٣)،أي وبالشهادة[١]؛ لأن الإيمان بكل منهما واجب وآثر الغيب لأنه أبدع ولأنه يستلزم الإيمان بالشهادة من غير عكس.

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) (البقرة:٢٠)، فإنه سبحانه ذكر أولا الظلمات والرعد والبرق وطوى الباقي.

وفي تفسير قوله تعالى: (وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) (البقرة:٤١)، فقد قيل: المعنى وآخر كافر به، فحذف المعطوف لدلالة قوة الكلام من جهة أن أول الكفر وآخره سواء[٢]، وخصت الأولوية بالذكر لقبحها بالابتداء.

وفي تفسير قوله تعالى: (بِيَدِكَ الْخَيْرُ)(آل عمران:٢٦) وتقدير: والشر إذ مصادر الأمور كلها بيده جل جلاله وإنما آثر ذكر الخير لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم إليه أو لأنه أكثر وجودا في العالم من الشر ولأنه يجب في باب الأدب ألا يضاف إلى الله تعالى كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "والشر ليس إليك"[٣]، "فإن قلت: كيف قال بيدك (الخير) فذكر الخير دون الشر؟ قلت: لأنّ الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة، فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك، ولأن كل أفعال الله تعالى من نافع وضارّ صادر عن الحكمة والمصلحة، فهو خير كله كإيتاء الملك ونزعه. ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما، وحال الحيّ والميت في إخراج أحدهما من الآخر، وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على أنّ من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن

---

(١)ينظر شهاب الدين الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي حَاشِيَةُ الشِّهَابِ عَلَى تَفْسِيرِ البَيْضَاوِي المُسَمَّاة عِنَايَةُ القَاضِي وَكِفَايَةُ الرَّاضِي عَلَى تَفْسِيرِ البَيْضَاوِي، دار صادر - بيروت، (١ / ٢٣٣)

(٢) ينظر السمين الحلبي، الدر المصون في علم الكتاب المكنون، (١٤٤/١)

(٣) ينظر مسلم، صحيح مسلم - (٢ / ١٨٥) برقم١٨٤٨، محمد بن فتوح الحميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: د. علي حسين البواب، دار ابن حزم، لبنان/بيروت، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م،الطبعة: الثانية،، (٨٣/١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرزق بغير حساب دلالة من يشاء من عباده[١]، فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم.

وقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) (الأنعام:٥٥)،أي والمؤمنين، وهو عطف على المعنى كأنه قيل ليظهر الحق وليستبين، وحسن هذا الحذف لكونه معلوماً[٢].

ومنه قوله تعالى: (وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)(الأنعام:٧٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) (الأنعام:٧٣) أي: هو عالم بما غاب وما ظهر[٣]، فهو الحكيم في صنعه، الخبير بأمر عباده.

ومنه قوله تعالى: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ)(الإسراء:٧٦) أي والبر، وإنما آثر ذكر البحر لأن ضرره أشد، ويعلل الشيخ الشعراوي ذكر البر دون البحر بأن البحر هو المزنق والضائقة التي لا يستطيع الخلاص منها إنْ أصابه فيه سوء[٤]، فالبر منافذ النجاة فيه متعددة، أما البحر فلا نجاة فيه إلا بعناية الله.

وقوله تعالى: (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ)(الصافات:٥)،أي والمغارب، كما في قوله تعالى: (فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ) (المعارج:٤٠)

"والمراد بالمشارق عند جمع مشارق الشمس لأنها المعروفة الشائعة فيما بينهم وهي بعدد أيام السنة فإنها في كل يوم تشرق من مشرق وتغرب في مغرب فالمغارب متعددة تعدد المشارق[٥]، وكأن الاكتفاء بها لاستلزامها ذلك مع أن الشروق أدل على القدرة وأبلغ في النعمة، ولهذا استدل به إبراهيم عليه الصلاة والسلام عند محاجة لذاك الرجل الدهري.

أو قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ)(الملك:١٩)،أي ويبسطن، فأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على لتحرك، فجيء بما هو طارئ غير

---

(١) ينظر الزمخشري، الكشاف، (٢٦٤/١)

(٢) ينظرالآلوسي، روح المعاني،، (٦٢/١٧)

(٣) ينظر ابن عجيبة، البحر المديد، (١٦١/٢)

(٤) ينظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، (٥٢٦٨/١)

(٥) بتصرف الرازي، مفاتح الغيب، (٣٠٦/٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة بعد تارة، كما يكون من السابح[1].

ومن الأمثلة أيضاً في تفسير قوله تعالى: (مَالَكُمْ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً) (نوح:١٣)

قد اختلف في معنى مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لله ِ وَقَاراً في تعلق معمولاته بعوامله على أقوال: بعضها يرجع إلى إبقاء معنى الرجاء على معناه المعروف وهوترقب الأمر، وكذلك معنى الوقار على المتعارف وهو العظمة المقتضية للإجلال، وبعضها يرجع إلى تأويل معنى الرجاء، وبعضها إلى تأويل معنى الوقار، ويتركب من الحمل على الظاهر ومن التأويل أن يكون التأويل في كليهما، أو أن يكون التأويل في أحدهما مع إبقاء الآخر على ظاهر معناه.

---

(1) ينظر أبوحيان، البحر المحيط، (٣٠٩/١٠) ومن الأمثلة الأخرى، لاقوله تعالى(لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً) أي ولا غير إلحافمنوقوله تعالى(الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ)،أي وأخرى غير قائمةلاونقوله تعالى(بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ)،أي بين أحد وأحد.

وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ منقوله تعالى(عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً)،أي ومن لا يستنكف ولا يستكبر بدليل التقسيم بعده بقوله تعالى(الَّذِينَ آمَنُوا) (الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا)،ونحوقوله تعالى(الآيَتَيْنِيَهُمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ)،فاكتفى هنا بذكر الجهات الأربع عن الجهتين،ومنقوله تعالى: (الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ)، الاكتفاء بجهتين عن سائرها.

وقوله تعالى(امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ)،أي ولا والد بدليل أنه أوجب للأخت النصف وإنما يكون ذلك مع فقد الأب فإن الأب يسقطها.

فَأَمَّا مَنْ تَابَ منقوله تعالى(آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ)ولم يذكر القسم الآخر الذي تقتضيه "أما" إذ وضعها لتفصيل كلام مجمل وأقل أقسامها قسمان ولا ينفك عنهما في جميع القرآن إلا في موضعين هذا أحدهما والتقدير: وأما من لم يتب ولا يؤمن ولم يعمل صالحا فلا يكون من المفلحين. والثاني في آل فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ) إلى قوله تعالى(اللَّهُ) هذا أحد القسمين والقسم الثاني ما بعده، وتقديره: وأما الراسخون في العلم فيقولون،ونحوقوله تعالى(ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ)،أي وفعلا غير الذي أمروا به لأنهم أمروا بشيئين: بأن يدخلوا الباب سجدا وبأن يقولوا حطة فبدلوا القول في (حنطة) (حطة) وبدلوا الفعل بأن دخلوا يزحفون على أستاههم، ولم يدخلوا ساجدين والمعنى إرادتنا حطة أي حط عنا ذنوبنا، وقوله تعالى(يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ)الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ.لا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ)ونحوقوله تعالى(يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)، فإن قيل: ليس للفجر خيط أسود إنما الأسود من الليل، فأجيب بأن(الْفَجْرِ) متصل بقوله تعالى(الأَبْيَضُ)، والمعنى حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل، لكن حذف من الليل لدلالة الكلام ثم عليه، ولوقوع الفجر في موضعه، لأنه لا يصح أن يكون من الفجر متعلقا بالخيط الأسود ولووقع من الفجر في موضعه متصلا بالخيط، الأبيض لضعفت الدلالة على المحذوف وهومن الليل فحذف من الليل للإختصار وآخر من الفجر للدلالة عليه، للمزيد ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (١٣٥/٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعلى حمل الرجاء على المعنى المتعارف الظاهر وحمل الوقار كذلك. قال ابن عباس وسعيد بن جبير وأبو العالية وعطاء بن أبي رباح وابن كيسان: ما لكم لا ترجون ثوابا من الله ولا تخافون عقابا، أي فتعبدوه راجين أن يثيبكم على عبادتكم وتوقيركم إياه. وهذا التفسير ينحو إلى أن يكون في الكلام اكتفاء[١]، أي ولا تخافون عقابا.

وعلى ما رصد من شواهد قليلة يتبن لنا روعة هذا البيان الأخاذ من حيث وفرة الألفاظ مع سعة المعاني القرآنية التي ما كانت لتكون لو كان من عند غير الله تعالى، وفي ذلك الحجة البالغة على أن القرآن الكريم هو من عند الواحد الأحد.

---

(١) ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٨٥/٢٩)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث: الإيجاز بالقصر والإيجاز بالتضمين، وأثرهما في الإعجاز القرآني.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إيجاز القصر وعلاقته بالإعجاز القرآني.

المبحث الثاني: إيجاز التضمين وعلاقته بالإعجاز القرآني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدخل:

سبق للباحث أن أشار في الفصل التمهيدي إلى إيجاز القصر؛ من حيث معناه، وأغراضه، وإشارة السابقين من أهل الاختصاص إليه، وهنا لابد من التأكيد على أن أهم ركائز القصر في القرآن الكريم، تكمن في استثمار الألفاظ القليلة لإبراز المعاني الكثيرة، ووضع اللفظفي مكان تقديماً وتأخيراً ليعطي أوسع مدلول مراد، وإن كانت الأمثلة التي ذكرها من كتب في إعجاز القرآن الكريم حول هذه الفكرة متواضعة، إلا أنها لتعطي البراهين القاطعة على عمق المعاني القرآنية مع قلة ألفاظها، ومن هذه الأمثلة التي رغب الباحث في ذكرها _مع ما فيها من إطالة النقل _ لما لها من فائدة وبيان ما ذكره الأستاذ محمد عبدالله دراز في تحليله لقوله تعالى: وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين)(البقرة:٩١-٩٣)

فقال: "هذه قطعة من فصل من قصة بني إسرائيل، والعناصر الأصلية التي تبرزها لنا هذه الكلمات القليلة تتلخص فيما يلي:

١. **مقالة ينصح بها الناصح لليهود إذ يدعوهم إلى الإيمان بالقرآن.**
٢. **إجابتهم لهذا الناصح بمقالة تنطوي على مقصدين.**
٣. **الرد على هذا الجواب بركنيه من عدة وجوه.**

وأقسم لو أن محامياً بليغاً وكلت إليه الخصومة بلسان القرآن في هذه القضية ثم هدى استنباط هذه المعاني التي تختلج في نفس الداعي والمدعو، لما وسعه في أدائها أضعاف هذه الكلمات، ولعله بعد ذلك لا يفي بما حولها من إشارات واحتراسات وآداب وأخلاق قال الناصح لليهود آمنوا بالقرآن كما آمنتم بالتوراة ألستم قد آمنتم بالتوراة التي جاء بها موسى؛ لأنها أنزلها الله فالقرآن الذي جاء به محمدا أنزله الله فآمنوا به كما آمنتم بها، فانظر كيف جمع القرآن هذا المعنى الكثير في هذا اللفظ الوجيز آمنوا بما أنزل الله، وسر ذلك أنه عدل بالكلام عن صريح اسم القرآن إلى كنايته، فجعل دعاءهم إلى الإيمان به دعاء إلى الشيء بحجته، وبذلك أخرج الدليل والدعوى في لفظ واحد ثم انظر كيف طوى ذكر المنزل عليه فلم يقل آمنوا بما أنزل الله على محمد مع أن هذا جزء متمم لوصف القرآن المقصود بالدعوة، أتدري لم ذلك؛ لأنه لو ذكر لكان في نظر الحكمة البيانية زائداً ، وفي نظر الحكمة الإرشادية مفسداً ، أما الأول فلأن هذه الخصوصية لا مدخل لها في الإلزام، فأدير الأمر على القدر المشترك وعلى الحد الأوسط الذي هو عمود الدليل، وأما الثاني فلأن إلقاء هذا الاسم على مسامع الأعداء من شأنه أن يخرج أضغانهم ويثير أحقادهم فيؤدي إلى عكس ما قصده الداعي من التأليف والإصلاح ذلك إلى ما في هذا الحذف من الإشارة إلى طابع الإسلام وهو أنه ليس دين تفريق وخصومة بل هو جامع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما فرقه الناس من الأديان داع إلى الإيمان بالكتب كلها على سواء بما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين شيء من كتبه كما لا نفرق بين أحد من رسله كان جواب اليهود أن قالوا إن الذي دعانا للإيمان بالتوراة ليس هو كونها أنزلها الله فحسب بل إننا آمنا بها؛ لأن الله أنزلها علينا، والقرآن لم ينزله علينا فلكم قرآنكم ولنا توراتنا ولكل أمة شرعة ومنهاج، هذا هو المعنى الذي أوجزه القرآن في قوله "نؤمن بما أنزل علينا" وهذا هو المقصد الأول، وقد زاد في إيجاز هذه العبارة أن حذف منها فاعل الإنزال وهو لفظ الجلالة؛ لأنه تقدم ذكره في نظيرتها من البين أن اقتصارهم على الإيمان بما أنزل عليهم يومئ إلى كفرانهم بما أنزل على غيرهم، وهذا هو المقصد الثاني، ولكنهم تحاشوا التصريح به لما فيه من شناعة التسجيل على أنفسهم بالكفر، فأراد القرآن أن يبرزه،انظر كيف أبرزه إنه لم يجعل لازم مذهبهم مذهباً لهم ولم يدخل مضمون قولهم في جملة ما نقله من كلامهم، بل أخرجه في معرض الشرح والتعليق على مقالتهم فقال "ويكفرون بما وراءه" أليس ذلك هو غاية الأمانة في النقل، ثم انظر إلى التعبير عن القرآن بلفظ "ما وراءه"، فإن لهذه الكلمة وجها تعم به غير القرآن ووجها تخص به هذا العموم، ذلك أنهم كما كفروا بالقرآن المنزل على محمد كفروا بالإنجيل المنزل على عيسى وكلاهما وراء التوراة أي جاء بعدها ولكنهم لم يكفروا بما قبل التوراة من صحف إبراهيم مثلا وهكذا تراه قد حدد الجريمة تمام التحديد باستعمال هذا اللفظ الجامع المانع وهذا هو غاية الإنصاف وتحري الصدق في الاتهام جاء دور الرد والمناقشة فيما أعلنوه وما أسروه فتراه لا يبدأ بمحاورتهم في دعوى إيمانهم بكتابهم بل يتركها مؤقتا كأنها مسلمة ليبني عليها وجوب الإيمان بغيره من الكتب،فيقول كيف يكون إيمانهم بكتابهم باعثاً على الكفر بما هو حق مثله لا بل هو الحق كله،وهل يعارض الحق حتى يكون الإيمان بأحدهما موجباً للكفر بالآخر ثم يترقى، فيقول وليس الأمر بين هذا الكتاب الجديد وبين الكتب السابقة عليه كالأمر بين كل حق وحق، فقد يكون الشيء حقاً وغيره حقاً ، فلا يتكاذبان ولكنهما في شانين مختلفين فلا يشهد بعضهما لبعض، أما هذا الكتاب فإنه جاء شاهداً ومصدقا لما بين يديه من الكتب فأنى يكذب به من يؤمن بها، ثم يستمر في إكمال هذا الوجه قائلا ولو أن التحريف أو الضياع الذي نال من هذه الكتب قد ذهب بمعالم الحق فيها جملة لكان لهم بعض العذر في تكذيبهم بالقرآن إذ يحق لهم أن يقولوا إن البقية المحفوظة من هذه الكتب في عصرنا ليس بينها وبين القرآن هذا التطابق والتصادق، فليس الإيمان بها موجباً للإيمان به، بل لو أن هذه البقية ليست عندهم، ولكنهم كانوا عن دراستها غافلين لكان لهم مثل ذلك العذر أما وهذا القرآن مصدق لما هو قائم من الكتاب في زمنهم وبأيديهم ويدرسونه بينهم فبماذا يعتذرون وأنى يذهبون هذا المعنى كله يؤديه لنا القرآن بكلمة لما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معهم فانظر إلى الأحكام في صنعة البيان إنما هي كلمة رفعت وأخرى وضعت في مكانها عند الحاجة إليها فكانت هذه الكلمة حسما لكل عذر وسدا لكل باب من أبواب الهرب، بل كانت هذه الكلمة وحدها بمثابة حركة تطويق للخصم أتمت في خطوة واحدة، وفي غير ما جلبه ولا طنطنه، ولما قضى وطر النفس من هذا الجانب المطوي الذي ساقه مساق الاعتراض والاستطراد استوى إلى الرد على المقصد الأصلي الذي يبجحوا بإعلانه والافتخار به؛ وهو دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم فأوسعهم إكذاباً وتفنيداً وبين أن داء الجحود فيهم داء قديم قد أشربوه في قلوبهم ومضت عليه القرون حتى أصبح مرضاً مزمناً ، وأن الذي أتوه اليوم من الكفر بما أنزل على محمد ما هو إلا حلقة متصلة بسلسلة كفرهم بما أنزل عليهم وساق على ذلك الشواهد التاريخية المفظعة التي لا سبيل لإنكارها في جهلهم بالله وانتهاكهم لحرمة أنبيائه وتمردهم على أوامره، "قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين"

١. **فتأمل كيف أن هذا الانتقال كانت النفس قد استعدت له في آخر المرحلة السابقة إذ يفهم السامع من تكذيبهم بما يصدق كتابهم أنهم صاروا مكذبين بكتابهم.**
٢. **وانظر كيف عدل بالإسناد عن وضعه الأصلي وأعرض عن ذكر الكاسب الحقيقي لتلك الجرائم فلم يقل فلم قتل آباؤكم أنبياء الله واتخذوا العجل وقالوا سمعنا وعصينا إذ كان القول على هذا الوضع حجة داحضة في بادئ الرأي مثلها كمثل محاجة الذئب للحمل في الأسطورة المشهورة فكان يحق لهم في جوابها أن يقولوا وما لنا ولآبائنا تلك أمة قد خلت ولا تزر وازرة وزر أخرى.**
٣. **و كيف زاد هذا المعنى ترشيحا بإخراج الجريمة الأولى وهي جريمة القتل في صيغة الفعل المضارع تصويرا لها بصورة الأمر الواقع الآن، كأنه بذلك يعرض علينا هؤلاء القوم أنفسهم وأيديهم ملوثة بتلك الدماء الزكية.**
٤. **ولقد كان التعبير بهذه الصيغة مع ذكر الأنبياء بلفظ عام مما يفتح بابا من الإيحاش لقلب النبي العربي الكريم وبابا من الاطماع لأعدائه في نجح تدابيرهم ومحاولاتهم لقتله.**
٥. **فانظر كيف أسعفنا بالاحتراس عن ذلك كله بقوله من قبل فقطع بهذه الكلمة أطماعهم وثبت بها قلب حبيبه إذ كانت بمثابة وعده إياه بعصمته من الناس ذلك إلى ما فيها من تنبيه على أصل وضع الكلام وعلى ما صنع به من التجوز المذكور آنفا في الإسناد وفي الصيغة.**
٦. **وانظر كيف جيء بالأفعال في الجرائم التالية على صيغة الماضي بعد أن وطأ لها بهذه الكلمة من قبل فاستقام التاريخ على وضعه الطبيعي حين لم تبق هناك حاجة إلى مثل التعبير الأول.**
٧. **وانظر إلى الآداب العالية في عرض الجريمة الثانية وهي جريمة الشرك فإنها لما كانت أغلظ من سابقتها وأشد نكرا في العقول نبه على ذلك ألطف تنبيه بحذف أحد ركنيها فلم يقل اتخذتم العجل إلها بل طوى هذا المفعول الثاني استبشاعا للتصريح به في صحبة الأول وبيانا لما بينهما من مفارقة وكم في هذا الحذف من تعبير وتهويل فرب صمت هو أنطق بالحكم وأنكى في الخصم.**

ثم انظر إلى النواحي التي أوثر فيها الإجمال على التفصيل إعراضا عن كل زيادة لا تمس إليها حاجة البيان في الحال فقد قال إن القرآن مصدق لما معهم ولم يبين مدى هذا التصديق أفي أصول الدين فحسب أم في الأصول والفروع جميعا أم في الأصول وبعض الفروع وإلى أي حد ذلك أن هذا كلام الملوك لا يتنزل إلا بقدر معلوم

ولو ذهبنا نتتبع سائر ما في هذه القطعة من اللطائف لخرجنا عن حد التمثيل والتنبيه الذي قصدنا إليه فلنكتف بتوجيه نظرك فيها إلى سر دقيق لا تراه في كلام الناس ذلك أن المرء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا أهمه أمر من الدفاع أو الإقناع أو غيرهما بدت على كلامه مسحة الانفعال بأغراضه وكان تأثيره بها في نفسك على قدر تأثره هو طبعا أو تطبعا فتكاد تحس بما يخالجه لو أعرض الناس عن هداه إذا كان مؤمنا بقضيته مخلصا في دعوته.

ثم يختم "قلنا إن القرآن الكريم يستثمر دائما برفق أقل ما يمكن من الفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني أجل تلك ظاهرة بارزة فيه كله يستوي فيها مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام الإيجاز ومواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب ولذلك نسميه إيجازا كله، لأننا نراه في كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد ولا يميل إلى الإسراف ميلا ما، ونرى أن مراميه في كلا المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر والحلى بأقل من ألفاظه، ولا بما يساويها فليس فيه كلمة إلا هي مفتاح لفائدة جليلة وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى دع عنك قول الذي يقول في بعض الكلمات القرآنية إنها مقحمة[١].

فكان لابد من مثل هذا المدخل لبيان ما لروعة بيان القصر القرآني من استثمار الألفاظ القلية في إعطاء المعاني الواسعة الشاملة، وضم الكلام بعضه لبعض بطريقة تضخ المعنى الواسع؛ التي لا يمكن لأي كلام سوى القرآن من إبرازها، فمجمل ما سبق يمكن أن يلخص بأن يجاز القصر يكمن في اختيار الألفاظ ونظمها، وقد قام الباحث ببيانها على النحو الآتي.

---

(١) بتصرف واسع دراز، النبأ العظيم،ص١١٩-١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول: الإيجاز بالقصر وأثره في الإعجاز القرآني.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحصر والقصر في اللغة و الإصطلاح٠

المطلب الثاني: طرق القصر في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أركان إيجاز القصر وأقسامه في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: شواهد من الإيجاز بالقصر، وأثرهما في الإعجاز القرآني٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول: الحصر والقصر في اللغة و الاصطلاح:

أولاً: الحصر والقصر في اللغة:

يمكننا القول بأن المعجمات اللغوية قد حددت معاني الحصر والقصر في عدة معاني من أهمها الجمع والاحتباس والإحاطة والمنع والثبات والعي

قال ابن فارس: "الحاء والصاد والراء أصلٌ واحد، وهو الجمع والحَبْس والمنع.

الخِصر يأتي بمعنى العَيِّ، كأنَّ الكلام حُبِس عنه ومُنِع منه والحَصَنِيقُ الصَّدْر. والحُصْر، وهو اعتقال البَطْن؛ يقال منه حُصِر وأُحْصِر والناقة الحَصُور، وهي الضيِّقة الإحليل؛ والقياس واحد لأن الإحصار فأن يُحْصَرَ الحاجُّ عن البيت بمرضٍ أو نحوه [١].

أما القصر، فيقول ابن فارس في معناه "(قصر) القاف والصاد والراء أصلانِ صحيحان، أحدهما يدلُّ على ألا يبلُغَ الشّيءُ مدَاه ونهايتَه، والآخر على الحَبْس. والأصلان متقاربان.

فالأوّل القِصَر خلافُ الطُّول، فيقولون هو قَصيرٌ بيِّن القِصَر. ويقال قَصَّرتُ الثَّوبَ والبِنَاءَ تَقصيراً وقَصْر الصّلاة هو ألاَّ يُتِمّ لأجل السّفَر، قال الله تعالى: (عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاَةِ) (النساء ١٠١) والقُصَيْرى: أسفل الأضلاع، وهي الواهنة والقُصَيْرى: أفْعَى، سمِّيت لقِصَرها، ويقال أقْصَرت الشَّاةُ إذا لَمْ تَنَلْ حتَّى تقصُرَ أطرافُ أسنانها، وأقصَرت المرأة ولدت أولاداً قِصاراً، ويقال قَصَّرتُ في الأمرِ تقصيراً، إذا توانيت عنه.

والثاني: الحبس، يقال قَصَرْتُه، إذا حبستَه، وهو مقصور، أي محبوس، قال الله تعالى: حُورٌ (مَقْصُورَاتٌ في الخِيَامِ) (الرحمن ٧٢) امرأةٌ قاصِرَة الطَّرف لا تمدُّه إلى غيرِ بَعلِها، كأنَّها تحبِس طرْفَها حَبْساً. قال الله سبحانه وتعالى: (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) (الرحمن:٥٦). ومن الباب: قُصارَاك أن تفعَلَ كذا وقَصْرُكَ، كأنَّه يراد ما اقتصرت عليه وحَبَسْتَ نفسَك عليه. والمقاصر: جمع مقصورة، وكلُّ ناحيةٍ من الدار الكبيرة إذا أحيط عليها فهي مقصورة. وهذا جائزٌ أن يكون من القياس الأوَّل. ويقولون فرسٌ قَصِير وقَرَبة مُدْناةٌ لا تُترك تَرود، لنَفاستها عند أهلها[٢].

أما الأزهري فله عبارات أخرى في التعريف حيث يقول: "الحصر: ضرب من العي، نقول حصر فلان فلم يقدر على الكلام، وإذا ضاق صدر المرء عن امر قيل: حصر صدر المرء

---

(١) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، (٧٢/٢)

(٢) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، (٩٧/٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن امره يحصر حصراً ؛يريدون قد ذهب عقله. ويكون الحصر: من الغائط، والاسر: من البول(١)القَصْرُ الغاية، ويقال قُصارُك أن تفعل ذاك، أي جهدُك وغايتكَ (٢).

الحَصْرُ كالضَّرْبِ والنَّصْرأي مِنْ بَابِ ضَرَبَ يَحْصُرُه حَصْراً ، فهو محْصُورضُيِّقَ عليه ومنه قَولُه تَعَالى:واحْصُرُوهُمْ ضَيِّقوا علَيْهم الحَصْرُ أيْضاً الحَبْسُ . يقالحُبِسَ فُلَانٌفهُو مَحْصُورٌ أي حَبَسْتُه(٣).

وأضاف صاحب أساس البلاغة: "حصرتهم حصواً : حبستهم. والله حاصر الأرواح في الأجسام. وأحصر الحجاج إذا حبسوا عن المضيّ بمرض أو خوف أو غيرهما، وحصر الرجل وأحصر: اعتقل بطنه،وبقينا في الحصار أياماً، أي في المحاصرة أو في مكانها. وحصر صدره، وحصر لسانه. وحصر في كلامه،عيّ، ورجل حصور: لا يرغب في النساء. وهو بخيل حصور وحصر. وقد حصر على قومه. وفي قلبه، ولسانه، أي ضيق"(٤).

ومحاصرة وحصارا؛ بمعنى أحاط به ومنعه من الخروج من مكانه، والحصارو قيد الدابة والموضع الذي يحصر فيه الإنسان(٥).

أما القصر فيقال: قصرقصراً أخذه وجع في عنقه فالتوى، فهو قصر وأقصر وهي قصرة وقصراء، وأقصر عن الشيء؛ كف ونزع عنه وهو يقدر عليه والشيء جعله قصيرا، قصر فلان عن الأمر تركه وهو لا يقدر عليه، وفي الأمر تهاون فيه وفي العطية قللها فهو مقصر وفي الشيء؛صيره قصيراً ، وفي الصلاة؛ قصرها، وفي شعره ومن شعره؛ حذف منه شيئا ولم يستأصله، وفي الثوب دقه وبيضه فهو مقصر، واقتصر على الشيء اكتفى به ولم يجاوزه، وتقاصر عن الأمر؛ كف عنه وعجز، وتقوصر الرجل؛ دخل بعضه في بعض، واستقصره؛عده قصيراً وعده مقصراً ، والقاصر من الورثة؛ من لم يبلغ سن الرشد(٦).

---

(١) الأزهري، أبومنصور محمد بن أحمد الأزهري،تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، (١٠/٢).

(٢) الأزهري، تهذيب اللغة (١٥١/٣)

(٣) الزبيدي، تاج العروس، (٢٦٩٣/١)

(٤) الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة،، دار صادر ودار بيروت للنشر والطباعة، ١٩٦٥م، (٨٨/١).

(٥) بتصرف الفيروزآبادي، القاموس المحيط،(١٧٨/١)بتصرف يسير.

(٦) الفيروزآبادي، القاموس المحيط،(٧٣٨/٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و قصرته: حبسته.وهو كالنّازع المقصور: الذي قصره قيده. وقصرت نفسي على هذا الأمر إذا لم تطمح إلى غيره. وقصرت طرفي:لم أرفعه إلى ما لا ينبغي، وهنّ قاصرات الطرف: قصرنه على أزواجهن.وقصر السّتر: ارخاه[١].

"وقصرت هذه اللقحة على عيالي وعلى فرسي؛ إذا جعلت درّها لهم، وقصر من الصلاة قصراً وأقصر وقصّر، وأقصر عن الأمر:كفّ عنه وهو يقدر عليه، وقصر عنه قصوراً : عجز عنه ولم ينله"[٢].

فمما سبق من انفتاحات لغوية؛ يتبن أن الحصر والقصر في أصل اللغة يدل على محدودية في المقصد ودقة في المعنى وتمام للمراد دون زيادة عليه وذاك من تمام الإيجاز في أصله الذي هو من أبرز وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

([١]) بتصرف الفيروزآبادي، القاموس المحيط،(٧٣٨/٢)

([٢]) بتصرف واسع الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة،، دار صادر ودار بيروت للنشر والطباعة، ١٩٦٥م، (٣٨٠/١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: الحصر والقصر في الاصطلاح:

الحصر عند أهل العربية: إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه ويعرف أيضا بالقصر وعند المناطقة عبارة عن كون القضية محصورة وتسمى مسورة والحصر العقلي الدائر بين الإثبات والنفي لا يجوز العقل فيما وراءه شيئا آخر كقولنا العدد إما زوج وإما فرد[١].

أما الإمام جلال الدين السيوطي فعرفه:"أما الحصر ويقال له القصر فهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ويقال أيضا إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه" [٢].

وكذا من معاني الحصر: إيراد الشيء على عدد معين، والقصر تخصيص شيء بشيء وحصره فيه ويسمى الأمر الأول مقصورا والثاني مقصورا عليه كقولنا في القصر بين المبتدأ والخبر وإنما زيد قائم وبين الفعل والفاعل نحو ما ضربت إلا زيدا والقصر في العروض حذف ساكن السبب الخفيف ثم إسكان متحركه مثل إسقاط نون فاعلاتن وإسكان تائه ليبقى فاعلات ويسمى مقصوراً

فهذه المعاني كلها مرادة في القرآن الكريم، لكن الأمر إذا تعلق بالإيجاز القرآني كان أوسع من ذلك، فالقصر في القرآن يحمل في طياته المعاني الكثيرة من اللفظ القليل، ومنه الحقيقي والإضافي.

فعلى سبيل المثال على القصر الحقيقي : لا إله إلا الله؛ تخصيص الشيء بالشيء بحسب الحقيقة وفي نفس الأمر بأن لا يتجاوزه إلى غيره أصلاً ، فنلحظ في هذه الجملة المعدودة الألفاظ المعنى العميق الواسع؛ ففيها المعبودات جميعها من حجر ونجم وشجر وغيرها مهما ذكرت منفي عنها صفت الآلهه، وأما القصر الإضافي هو الإضافة إلى شيء آخر بألا يتجاوزه إلى ذلك الشيء وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء آخر في الجملة[٣]،أي ليس قصراً حقيقيّاً عامّاً، وإنّما هو قَصْرٌ بالإِضافة إلى موضوع خاصٍّ يدور حول احتمالين أو أكثر من احتمالاتٍ محصورة بعَدَدٍ خاصّ ، ويُسْتَدلُّ عليها بالقرائن،سَنَلْمَسُ(مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْمِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) هذا البيان لتصحيح تصوُّر الَّذِين يتوهَّمُونَ أنّ محمداً رسولٌ لاَ يموتُ كما يموت سائر الناس، فأراد تجريده مما يظن من كونه مخلداً أو مؤلهاً أو أي صفة أخرى تخرجه عن طبيعته البشرية،فالموضوع الخاصّ الذي يدور الكلام حوله هو كونمحمّدٍ رسولاً مبرَّءاً من أن يكون عرضةً للموت، فجاء النصّ مبيّناً قَصْرَهُ علَى كونه رسولاً فقط، والمقصورُ عنه أمْرٌ

---

(١) الفيروزآبادي،القاموس المحيط، (٧٣٨/٢)

(٢)السيوطي،الإتقان في علوم القرآن، (١٣٤/٢)

(٣) الجرجاني، التعريفات، (١١٨/١) مصطلح الحصر رقم ٥٨٤ و(٢٢٥/١)مصطلح القصر رقم ١١٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاصٌ هو كونه لا يموت، لا سائر الصفات غير صفة كونه رسولاً، إذْ له صفات كثيرة لا حصر لها، وهي لا تدخل في المقصور عنه. [١]،

وقال المناوي: "الحصر والقصر تخصيص شيء بشيء وحصره فيه ويسمى الأول مقصورا والثاني مقصورا عليه كقولنا في القصر بين المبتدأ والخبر إنما زيد قائم وبين الفعل والفاعل ما ضربت إلا زيدا"[٢].

وقال صاحب الكليات: الحصر: كل من امتنع من شيء لم يقدر عليه، فقد حصر عنه، ولهذا قيل: حصر في القراءة وحصر عن أهله، والقصر في الاصطلاح: جعل أحد طرفي النسبة في الكلام سواء كانت إسنادية أو غيرها مخصوصا

بالآخر، بحيث لا يتجاوزه، إما على الإطلاق أوبالإضافة بطرق معهودة"[٣].

وهذه التعاريف تبين صراحة ودلالة أن السابقين يربطون بين الحصر والقصر في الإصطلاح الدلالي، وأن كل منهما يدل على الآخر من حيث المعنى، وهذا الذي جعل الباحث يربط في التعريف الاصلاحي بين المفهومين، فتارة يسمي العلماء الحصر قصراً وتارة يسمون القصر حصراً؛ ذاك لأن الثمرة البلاغية لكليها واحدة، وهي الدلالة على لون الإيجاز البياني حيثما وقع في اللغة والقرآن الكريم الذي هو أبرز أساليب الإعجاز القرآني، مع التأكيد أن الحصر والقصر في القرآن الكريم له معنى أوسع من ذلك وهو عمق المعاني في ذات الألفاظ القرآنية المقتضبه وذلك من خلال النظم القرآني.

ثالثاً: القصر في الاصطلاح القرآني:

لا يقف حد القصر في القرآن الكريم على إثبات الحكم لبعض الأفراد ونفيه عن البعض الآخر بل يتجاوز ذلك لحد أوسع، فهو يشمل:

١. تخير الألفاظ القليلة الغزيرة المعاني، مثل معاني "ولكم في القصاص حياة" وغيرها، من خلال ما سيبين فيما هو آتي.

---

(١) الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص٤١٤.

(٢) المناوي، التعاريف، (٥٨٣/١)

(٣) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري،(ص٣٦٠)و(ص٧١٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. ومن خلال ترابط الألفاظ القرآنية بعضها ببعض تقديماً وتأخيراً، وما لـه من أثر على مدلول الكلام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: طرق الحصر والقصر في القرآن الكريم: [١].

من يدقق النظر في كتب البلاغة المعتمدة، يجدها تركز عند كلامها عن طرق الحصر على الحصر من خلال الأدوات، والحضر من خلال دلالات الكلام التي تفهم منه، ولكن الأمر أوسع من ذلك فعلى سبيل التمثيل لا الحصر، فإن العبارة تدلُّ عليه بمادَّتها اللّغويَّة صراحةً تعد من أساليب القصر، كذا فإن العبارة بالقرائن المرافقة لها، فإنه يُستفادُ منها الحصر والقصر، وعلى هذا فإن للحصر والقصر طرق أربع هي:

الطريق الأول: أن يكون بعبارة تدلُّ عليه بمادَّتها اللّغويَّة صراحةً.

مثل: "دخولُ مكةَ مقصورٌ على المسلمين - غرفة القصر العليا خاصّةٌ بسيِّد القَصْر - سبق الفارس خالدٌ جميعَ الْمُتَسابقين - دخل الزوج إلى مخدع العروس وحده - سدُّ الصّين أعظم سَدٍّ في الأرْض وأطولُه - أبو حنيفة فَرِدٌ من بَيْنِ المجتهدين في باب الاعتماد على الرأي الثاقب"[٢].

الطريق الثاني: يكون بدليلٍ خارجٍ عن النصّ، كدليل عقلي، أو دليل حِسِّي، أو دليل تجريبي، أو دليل من القرائن الذّهنيَّةِ أو الحاليّة.

ومثاله قول المتنبي:

لاَ يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأَذَى حتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوانِبِهِ الدَّمُ[٣].

مثل: فلانٌ رئيسُ الجمهوريّة، ومن التنزيل قوله تعالى: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا)(الكهف:١٤)، يقول أبو السعود: "ضمّنوا دعواهم ما يحقق فحواها ويقضي بمقتضاها فإن ربوبيتَه عز وجل لهما تقتضي ربوبيتَه لما فيهما أيَّ اقتضاءٍ"[٤]، فكأنه نفى وجود أي رب في السماوات من نجوم وشمس وكواكب وغيره مما يدعيه

---

[١] تناولت كتب البلاغة هذا الفن بنوع من الإيجاز والتلميح مثل السكاكي في مفتاح العلوم وغيره،وكذا كتب علوم القران مثل السيوطي في الإتقان في علوم القرآن وغيره، وقد أجاد إبرازه الدكتورالميداني في كتابه البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها فقد جمع ما قاله السابقون وزاد عليه ص٤٢١.

[٢] ينظر السكاكي، مفتاح العلوم، ص١٢٩.والميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص٤٢١.

[٣] ينظر القلقشندي، أحمد بن علي،صبح الأعشى في صناعة الإنشا – القلقشندي، دار الفكر،دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، تحقيق: د.يوسف علي طويل، (١٩٩/١١)، والواحدي، شرح ديوان المتنبي، (١٧٣/١)

[٤] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٤ / ٢٤٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوثنون، وكذا في الأرض من حجر وجبل وشجر؛ كل هذه المعانى ما كانت لتكون لولا تعريفه لطرفي الإسناد.

الطريق الثالث: أن يكون القصر ببعض الأدوات التي تدلُّ عليه بالوضع اللّغوي.

وهي: النفي والاستثناء - وكلمتا "إنَّما" و"أنَّما" - والعطف بالحروف التالية: "لا - بل - لكن".

أولاً : النفي والاستثناء،

مثل: قوله تعالى: " فاعلم أنه لا إلَه إلاّ الله" (محمد:١٩)؛ فهذه العبارة مع قصر ألفاظها إلا أنها تدل دلالة شمولية على نفي الألوهية عن جمع الموجودات سوى الله، وكذا جميع ما مثلها من الآيات، ومنها قوله تعالى: "وَمَا مِنْ إلَـه إلاّ الله"(ص:٦٥)، وقوله تعالى: "وَمَا كان لنفس أن تموت إلاّ بإذن الله"(يونس:١٠٠)، وقوله تعالى: "وَإِنْ مِنْ شيءٍ إلاّ عِنْدَنَا خَزَائِنُه"(الحجر:٢١)، وقوله تعالى: "فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُم لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إلاّ قَلِيلاً "(القصص:٥٨)، وقوله تعالى: "وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلاّ أَيَّاماً مَعْدُودَة"(البقرة:٨٠) - وقوله تعالى: "قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إلاّ مَا كَتَبَ اللهُ لنا"(التوبة:٥١)؛ فهذه العبارة تحمل ... مَا كَتَبَهُ اللهُ وَأَوْجَبَهُ لَنَا بِوَعْدِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَقْدِيرِهِ لِنِظَامِ سُنَنِهِ فِي خَلْقِهِ، ... مِنْ تَمْحِيصٍ وَشَهَادَةٍ، وَضَمَانٍ لِحُسْنِ الْعَاقِبَةِ هُوَ مَوْلَانَا ... وَلَا نَطْلُبُ ... التَّوْفِيقِ وَالنَّصْرِ[1] ومثل إلاّ في الاستثناء كلمة "غَيْر" ونحوها.

ومثل النفي ما يدلُّ على معناهُ، كالاستفهام[2].

ووجه إفادته الحصر أن الاستثناء المفرغ لا بد أن يتوجه النفي فيه إلى مقدر وهو مستثنى منه؛ لأن الاستثناء إخراج فيحتاج إلى مخرج منه، والمراد التقدير المعنوي لا الصناعي،ولا بد أن يكون عاماً ؛ لأن الإخراج لا يكون إلا من عام ولا بد أن يكون مناسبا للمستثنى في جنسه مثل ما قام إلا زيد أي أحد وما أكلت إلا تمرا أي مأكولا[3].

---

(١) للمزيد ينظر محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (١٠ / ٤١٣).

(٢) للمزيد ينظر أ د. فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانهان، ص٣٦٨، وما بعدها.

(٣) الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص٤٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا بد أن يوافقه في صفته: أي إعرابه، وحينئذ يجب القصر إذا أوجب منه شيء بالضرورة ببقاء ما عداه على صفة الانتفاء، وأصل استعمال هذا الطريق أن يكون المخاطب جاهلاً بالحكم، وقد يخرج عن ذلك فينزل المعلوم منزلة المجهول؛ لاعتبار مناسب نحو وما محمد إلا رسول[١]؛ فإنه خطاب للصحابة وهم لم يكونوا يجهلون رسالة النبي؛ لأنه نزل استعظامهم له عن الموت منزلة من يجهل رسالته لأن كل رسول فلا بد من موته.

ويكون المقصور بالنفي والاستثناء هو ما قبل الاستثناء صفةً كان أو موصوفاً، أمّا المقصور عليه فهو ما بعد أداة الاستثناء ومثله: قوله تعالى:"لا يُصيبُنا إلاّ ما كتب الله لنا"أي:مُصيب ما كتب الله لنا"صفة"وهو"موصوف"أي:ما يُصيبُنا أنَّه مكتوبٌ لنا لا علينا [٢].

وكذا لا صاحب للرسول في الغار (صفة)إلاّ أبو بكر الصديق"موصوف"

و يكون إفرادا أو قلباً ليس زيد إلا شاعرا أو ما زيد إلا شاعرا وإن زيد إلا شاعرا وما زيد إلا قائم أو ما زيد إلا يقوم، ومن الوارد في التنزيل على قصر الإفراد قوله تعالى"وما محمد(موصوف) إلا رسول"صفة؛ "فمعناه محمد مقصور على الرسالة لا يتجاوزها إلى البعد عن الهلاك نزل المخاطبون لاستعظامهم أن لا يبقى لهم منزل المبعدين لهلاكه؛ وهو من إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر، وقوله تعالى"إن حسابهم إلا على ربي"فمعناه حسابهم مقصور على الاتصاف بعلى ربي لا يتجاوزه على أن يتصف بعلى، وقوله تعالى: (وما أنا بطارد المؤمنين إن أنا إلا نذير)(الشعراء:١١٤)؛ فمعناه أنا مقصور على النذارة لا أتخطاها إلى طرد المؤمنين، فجيء بالعلّة أي: "ما أنا إلا رسولٌ مبعوثٌ لإنذار المكلّفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواءً كانُوا من الأعزّاء أو الأذلاّء فكيف يتسنَّى لي طرد الفُقراء لاستتباع الأغنياء، أو ما عليَّ إلاّ إنذارُكم بالبرهان الواضح وقد فعلتُه وما عليَّ استرضاءُ بعضكم بطردِ الآخرين[٣]، وقوله تعالى: (وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون)(يس:١٥) فالمراد لستم في دعواكم للرسالة بين الصدق وبين الكذب كما يكون ظاهر حال المدعي إذا ادعى بل أنتم عندنا مقصورون على الكذب لا تتجاوزونه إلى حق كما تدعونه وما معكم من الرحمن منزل في شأن رسالتكم،"أي:ما أنتم إلاّ تكذبون في دعوى ما تدّعون من ذلك، فأجابوهم بإثبات

---

[١] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١٣٦/٢)، مع الإشارة أن السيوطي يسمي الطرق أقساماً وهذا من شأن السابقين حيث أنهم يجملون في العلوم، أما المحدثون فقد تميزوا بالتفصيل والتفريق ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١٤٣/٢)

[٢] ينظر السكاكي، مفتاح العلوم، ص١٢٩.

[٣] أبوالسعود، إرشاد العقل السليم، (٥ / ١٥١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رسالتهم بكلام مؤكد تأكيداً بليغاً لتكرر الإنكار منهم، وهو قولهم:(إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ)، فقد أكدوا الجواب بالقسم الذي يفهم من قولهم:ربنا يعلم ، وبإنّ ، وباللام، وما علينا إلاّ البلاغ المبين،أي:ما يجب علينا من جهة ربنا إلاّ تبليغ رسالته على وجه الظهور، والوضوح، وليس علينا غير ذلك[١].

ومن الوارد على قصر القلب[٢]، قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله)(المائدة:١١٧) لأنه قاله في مقام اشتمل على معنى أنك يا عيسى لم تقل للناس ما أمرتك لأني أمرتك أن تدعو الناس إلى أن يعبدوني ثم إنك دعوتهم إلى أن يعبدوا من هو دوني ألا ترى على ما قبله (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله)(المائدة:١١٦) وفي قصر الصفة على الموصوف إفرادا ما شاعر إلا زيد أو ما جاء إلا زيد لمن يرى الشعر لزيد ولعمرو أو المجيء لهما، وقلباً ما شاعر إلا زيد ما جاء إلا زيد لمن يرى أن ليس بشاعر وأن ليس بجاء[٣].

ثانياً :كَلِمتا"إنَّما"بكَسْر الهمزة، و"أنَّما"فتح الهمزة.

والمقصور بواحد منهما هو ما يلي الأداة، والمقصور عليه هو الذي يجيءُ بعده.

ومثاله:قول الله عز وجل:(إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ) (النساء، ١١١).

أي:يكسبُهُ إلاّ على نفسه، والمعنى أنّ المكسُوبَ من الإِثم"وهو هنا موصوف"مقصور على صفة واحدة هي كونه على نفس الكاسب، فهو من قصر موصوف على صفة، أي:يضرّ به إلاّ نفسه، وظاهرٌ أنَّه من قسم القصر الإِضافي، إذ الكلام يدور في دائرة الجزاء عند الله،أمّا غير دائرة الجزاء الرّبَاني فقد يضرّ كاسب الإِثم به غيره من عباد الله ضرراً دنيويّاً .

---

[١] الشوكاني، فتح القدير للشوكاني، (٦ / ١٥٦)

[٢] القصر الحقيقي:ما كان الواقع شاهداً عليه، والإضافي بعكس ذلك، وقصر الإفراد هو قصر الصفة أو الموصوف على فرد واحد، وقصر المقلوب هو ما كان البغية منه قلب المعنى الظاهر، ينظر أ د. فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص٣٦٥، وما بعدها

[٣] ينظر السكاكي، مفتاح العلوم (١٣٠/١)، والميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص٤٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذاقول الله عزَّ وجلَّ خطاباً لرسوله ﷺ: (قُلْ إِنَّمَآ أُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ)(الأنبياء:١٠٨)في هذا النَّص قَصْران: أحدهما بأداة"إنَّما"بكسر الهمزة والآخر بأداة"أنَّما"بفتح الهمزة.

وهذان القصران مساويان لقولنا:لا يُوحَى إليَّ إلاَّ أنَّه ما إلَهكُمْ إلاإلَهٌ واحد.

فالْمَقْصُورُ بالأداة الأولى"إنَّما"هو الموحَى به، وهو هُنَا"موصوفٌ"والمقصورُ عَلَيْهِ مَضْمُونُ جُمْلَةِ"إِلَهُكِمْ إِلَهٌ واحداً "أيوحدانية إلَهكُم، وهو هنا"صفة"أي:صفة الموحَى به كونُ مضْمُونِه هذه الحقيقة.

والمقصور بالأداة الثانية"أنَّما"هو"إِلَهُكُمْ"وهو هنا"موصوف".

والمقصورُ عليه هو كونُه إلَهاً واحداً، وكونه إلهاً واحداً صِفَةٌ .

فالمثالانقصرِ مَوْصُوفٍ على صِفَةٍ، وظاهر أنهما من قبيل القصر الإِضافي، إذ الكلام مع المشركين يدور في دائرة التوحيد والشرك، ومن المعلوم أنَّ الله عزَّ وجلَّ كان إبَّانَ نُزولَ النّصّ يُوحِي إلى رَسُولِهِ بياناتٍ ومعلومات أُخْرَى غير كون إلَهِهم إلَهاً واحداً .

يقول النسفي: "إنما" لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم نحو؛ إنما زيد قائم، وإنما يقوم زيد، وفي على"إِلَيَّ أَنَّمَا إلهكم إله وَاحِدٌ"والتقدير يوحي إليَّ وحدانية إلهي، ويجوز أن يكون المعنى أن الذي يوحي إليّ فتكون ما موصولة[١].

منها قوله تعالى (إنما حرم عليكم الميتة) (المائدة:٣) بالنصب فإن معناه ما حرم عليكم إلا الميتة لأنه المطابق في المعنى لقراءة الرفع فإنها للقصر فكذا قراءة النصب والأصل إستواء معنى القراءتين[٢].

قول الله عزَّ وجلَّ خطاباً للمؤمنين: (اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (المائدة:٩٢).

لا يَجِبُ عَلى رَسُولِنَا إلاَّ البلاغُ المبينُ والمقصورُ بأداة"أنَّما"هو الوجوبُ على الرسول، وهو هنا"فِعْلٌ "والمقصورُ عليه هو البلاغ المبين، وهو هنا"موصوف"فهو من قصر صفة على موصوف أيصفةُ تكليف الرسول مقصورةٌ على موصوف هو تبليغهُ ما أَمَرَهُ الله بتبليغه بَلاَغاً مبيناً ، وهذا يعني نفي مجموعة واسعة من المعاني المدلول عليها بطريق الإشارة مثل إسقاط الرزق من السماء أو الإتيان بالعذاب كما أخبر القرآن الكريم أو إجبار الناس على إتباعه أو غير ذلك من المعاني التي ما كانت لتكون لولا هذا النظم البديع الموجز بالفاظه.

---

[١] النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (٢ / ٣٤٣)

[٢] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١٣٦/٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا القصر هو من قبيل القصر الإِضافي، إذ الكلام حول مسؤولية الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه قومه في موضوع رسالته، ولا يدخل في هذه الدائرة الخاصة ما يجب على الرسول من واجبات أخرى تجاه ربِّه وتجاه أصحاب الحقوق، وواجبات أخرى غير ذلك[١].

ويقال في قصر الموصوف على الصفة:إنَّما اللهُ إلَهٌ واحد"وهو قصر إضافي.

ونقول في قصر الصفة على الموصوف:إنَّما الإِلَه الله"وهو قصر حقيقي[٢].

الثاً: العطف بالحروف التالية: "لا ـبَلْ ـ لكن"[٣].

فكلمة"الإثبات"فَيُعطَفُ بها لإِخراج المعطوف ممّا دخل فيه المعطوف عليه، مثل: أكَلْتُ بصَلاً لا عَسَلاً، ولبستُ خزّاً لاَ بزّاً، وللعطف بها ثلاثة شروط:

الأول:أن يكون المعطوف بها مفرداً، أي: غير جملة.

الثاني: أن تكون مسبوقة بإيجاب أو أمْرٍ أو نداء.

الثالث:أن لا يَصْدُقَ أحد معطوفيها على الآخر، وهذا الشرط بدهي[٤].

والعطف بكلمة"لا"يُفيد الْقَصْر، وكلٌّ من المقصور والمقصور عليه يأتيان قبل أداة العطف، وكلٌّ منهما قد يكون هو المعطوف عليه، أمّا المعطوف بها فهو مقصور عنه، ففي قولنا: حاملُ راية المسلمين في فتح خيبر عليٌّ لا غَيْرُه.

عليٌّ: هو المقصور عليه، وهو موصوف هنا، وحَمْلُ الراية في فتح خيبر: هو المقصور، وهو صفة هنا.

غَيْرُ علي: هو المقصور عنه.والقصر في هذا المثال حقيقي، من قصر الصفة على الموصوف.

وفي قولنا: مالك بن أنس فقيه مجتهد لا شاعر، فمالك بن أنس: هو المقصور، وهو موصوف هنا، فقيه مجتهد: هو المقصور عليه، وهو صفة هنا.

شاعر: هو المقصور عنه، والقصر في هذا المثال قصر إضافي، وهو من قصر الموصوف على الصفة[٥].

وأمّا كلمة"بل"العاطفة، ومعناها الإِضرابُ عن الأول، والإِثبات للثاني.

---

[١] ينظر السكاكي، مفتاح العلوم (١٢٩/١) والميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص٤٢١.

[٢] الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها،ص٤٢١.

[٣] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١٣٦/٢)

[٤] الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص٤٢١.

[٥] ينظر السكاكي، مفتاح العلوم،ص١٢٩، و الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص٤٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وللعطف بها شرطان.

الأول: أن يكون المعطوف بها مفرداً، أي: غير جملة.

الثاني: أن تكون مسبوقة بإيجابٍ أو أمْرٍ أو نهْيٍ أو نَفْيٍ[١].

فإن وقعت بعد كلام مثبت خبراً كان أو أمراً، كانت للإضراب والعدول عن شيءٍ إلى آخر، وإن وقعت بعد نفْيٍ أو نَهْيٍ كانت للاستدراك بمنزلة "لكِنْ".

والعطف بكلمة "بل" يفيد القصر، والمقصور عليه بها هو ما بعدها، المعطوف بها، ففي قولنا: "لا تأكل دُهْناً حيوانيّاً بل دهناً نباتيّاً".

دهْناً نباتيّاً: هو المقصور عليه، وهو المعطوف بكلمة "بل".

دُهْناً حَيَوانيّاً: هو المقصور عنه. وهو المعطوف عليه.

الأكْل المفهوم من "لا تأكل": هو المقصور.

ليكن أَكْلُكَ بالنسبة إلى الأدهان مقصوراً على الدهن النباتي، ومبتعداً عن الدهن الحيواني.

وهذا قصر إضافيٌّ من قصر الصفة على الموصوف، إذ الموصوف هنا مطلق "الدُّهن" والصفة كونه دهناً نباتيّاً، والوصيةُ توجّه أن يكون المأكول من الأدهان الدّهن النباتي.

ومن أمثلة ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: (وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ نَتَّبِعُ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(البقرة:١٣٥)، يعني بل نتبع ملّة إبراهيم حنيفاً مائلاً عن الأديان كلّها إلى دين الإسلام[٢]، ففي هذا المثال حصر قصر الهداية على اتباع ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام دون غيره من الملل سواء ذكرت أم لم تذكر، وهذا لم يكن ليعلم لولا هذا النظم البديع الذي يدلي نحو الإيجاز القرآني من حيث وفرة الألفاظ مع سعة المعاني.

وأمّا كلمة "لكِنْ" العاطفة، فهي للاستدراك بعد النفي، وللعطف بها ثلاثة شروط:

الأوّل: أن يكون المعطوف بها مفرداً، أي: غير جملة.

الثاني: أن تكون مسبوقة بنفي أو نهي.

الثالث: أن لا تقترن بالواو[٣].

---

[١] الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص٤٢١.

[٢] ينظر الواحدي، الوجيز، (١ / ٣٦).

[٣] الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص٤٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعطف بكلمة"لكن"يفيد القصر، وحالها كحال"بل"فالمقصور عليه بها هو ما بعدها للمعطوف بها، ويصلح هنا مثالاً قولك"تأكل لا دُهْناً حيَوانيّاً لكن دُهْناً نباتيّاً "بوضع كلمة"لكِنْ "بدل كلمة"بل"

والفرق بين بل ولكن أن بل للإضراب ولكن للاستدراك هذا من جهة ومن ثانية فإن بل تأتي في النفي والإثبات تقول ما جاء زيد بل عمرو أما (لكن) فيشترط أن يسبقها نفي أو نهي فإذا جاءت في جملة مثبتة لم تكن حرف عطف ولذا لا يجوز أن تقول جاء زيد لكن عمرو وتعرب حرف عطف فـ(بل) تكون في هذا المثال ابتدائية وعمرو: مبتدأ خبره محذوف أي لم يجيء [١].

ومن أمثلة ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى:(أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ) (الزمر:٢٠)ففي هذا المثال قصر الغرف التي تجري من تحتها الأنهار بالمتقين دون من حقت عليهم كلمة العذاب.

وقد لخص الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس الفروق بين الحالات الثلاثة السابقة بما يلي:

إذا كان القصر بـ إنما فإنه يليها المقصور

مثال قوله تعالى(إنما المؤمنون أخوة..)(الحجرات:١٠) ولا يصح أن نقول إنما إخوة المؤمنون لوجود الأخوة بين الكافرين أيضاً

وإذا كان (بما وإلا)يكون المقصور عليه بعد إلا غالباً ومثاله ما شاعر إلا المتنبي،فقد قصرنا الشعر على المتنبي

وإذا كان العطف بـ (لا) فالمقصور عليه يكون قبلها وقد سبق المثال[٢].

الطريق الرابع: أن يكون القصر بدلالات في الكلام تفهم من:

أولاً :تقديم ما حقُّهُ التأخير في الجملة.

وهنا في باب القصر نبَّهَ البلاغيون على أنّ تقديم ما حقّه التأخير في الجملة قد يُفِيدُ القصر في بعض صُوره، ومن ذلك ما يلي:

تقديم المعمول على عامله.

---

[١] للمزيد ينظر أ د. فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص٣٦٨وما بعدها، بتصرف.

[٢] للمزيد ينظر عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص٣٦٨وما بعدها، بتصرف..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقديم المسند إليه إذا كان حقُّه في الجملة التأخير.

تقديم المسند إذا كان حقُّه في الجملة التأخير[١].

ومن الأمثلة على الصورة الأولى قول الله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة:٥).

إيَّاكَ: الأولى مفعول به لفعل (نَعْبُد)، وإيّاكَ: الثانية مفعول به لفعل (نَسْتَعِين)، والأصل في المفعول به أن يكون متأخراً عن عامله، فقدّ هذا التقديم على تخصيص الله عزّ وجلّ بالعبادة والاستعانة، فالمعنى: لا نَعْبُد إلاّ إيّاك، ولا نستعين إلاّ بك[٢]، والقصر هنا من قصر الصفة على الموصوف، وهو قصر حقيقي[٣]، وأمَّا تقديم المسنَدِ إليه إذا كان حقُّه في الجملة التأخير، فقد يفيد القصر في بعض أحواله، وقد يفيد مجرّد التقوية والتأكيد، ودلالة القصر يساعد عليها سِيَاق الكلام وسياقه، وقرائن الحال، والمقصور عليه هو المقدّم.

فمن الأحوال التي تفيد القصر على ما ذهب إليه عبدالقاهر الجرجاني ما يلي[٤]:

الأول: يكون المسند إليه معرفةً والمسنَدُ فعلاً مثبتاً، كأنْ تقول: "أنا قمت - أنا سعيت في حاجتك"، فإذا كان القصر قصر "إفراد" جاء التأكيد بنحو: أنا قمتُ وحْدِي - أنا سعيْتُ في حاجَتِكَ وحْدِي"، وإذا كان قصر "قلب" جاء التأكيد بنحو: أنا قُمْتُ دون غيري - أنا سعيتُ في حاجَتِكَ لا غيري" وكذلك إذا كان القصر قَصْرَ تعيين.

ومنه ما جاء في قول الله عزّ وجلّ في عرض قصّة هَدِيَّة ملكه سبأ لسليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (النمل:٣٦).

جاء في هذا النصّ تقديم المسند إليه (أَنتُمْ) على المُسْنَدِ (تَفْرَحُونَ) مع تقديم المعمول بِهَدِيَّتِكُمْ على عامله (تَفْرَحُونَ)[١].

---

[١] ينظر السكاكي، مفتاح العلوم (١٢٩/١)، و الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص ٤٢٤.

(٢) الزمخشري، تفسير الكشاف، (٣/١)، والرازي، مفاتح الغيب، (٢٢٥/١)

[٣] الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص ٤٢٤ ومن الأمثلة أيضاً قول الله عزّ و جلّ خطاباً للّذينَ آمنوا:

وَلَئِنْ مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (آل عمران:١٥٩)، إلى الله: معمول لفعل (تُحْشَرُونَ) لأنّه معلّقٌ به، والأصل فيه أن يكون متأخّراً عن عامله، ومعناه لإلى الله تُحْشَرُونَ لا إلى غيره، أي: ليحاسبكم ويجازيكم، ومعلوم أنّ الحشر يوم القيامة يكون لله وحْدَه، فهو وحده الذي يحاسِبُ عباده ويجازيهم يوم الدين، مع ما في هذا التقديم من داعٍ جمالي رُوعي فيه تناسُق رؤوس الآيات، ولا مانع من اجتماع عدَّة دواع بلاغيَّةٍ لظاهرة واحدة.

[٤] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ١٥٣، واللفظ للميداني، البلاغة العربية، ص ٤٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني يكون المُسْنَدُ منْفيّاً، كأن تقول لمن تخاطبه "لَسْتَ بكاذب" فهذه العبارة أبلغ من أن تقول له: "لا تكذبُ أنت" وهذا التقديم قد يفيد القصر بمساعدة القرائن.

ومنه قول الله عز وجل: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَ عَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَ عَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَ اللهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) (البقرة:٢١٦).

ففي قوله: (وَ اللهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) قَصْرُ عَدَمِ الْعِلْم على المخاطبين في النَّصّ، وساعد على هذه الدلالة قوله تعالى قبله وَ اللهُ يَعْلَمُ.

الثالث: أن يكون المسند إليه نكرةً مثبتاً، كأن تقول: "رَجُلٌ جاءني".

فقد يفيد تقديم المسند إليه فيه هذه الحالة القصر بمساعدة القرائن من الحال أو من المقال.

فإذا كنت في معرض تساؤل متسائل هل الذي جاءك من الرجال أو من النساء؟ كان قولك: "رجلٌ جاءني" مفيداً أنّه ليس امرأة.

وإذا كنت في معرض تساؤل متسائل هل جاءك رجلٌ أو أكثر؟ كان قولك: "رجلٌ جاءني" مفيداً أنّه رجل واحد لا أكثر.

الرابع: أن يأتي قبلَ المسند إليه حَرْفُ نفي، كأن تقول: "ما أنا قلتُ هذا القول" أي: أنا لم أقُلْه مع أنّ غيري قالَهُ، بعبارتك على قَصْرِ النفي على نَفْسِك، مع إثبات القول لغيرك

وأمّا تقديم المسند إذا كان حقُّهُ في الجملة التأخير، فقد يفيد القصر بمساعدة قرائن الحال أو المقال، والمقصور عليه هو المقدّم.

ويمكن أن يمثّل له بالقول خطاباً للكفّار:

لَنْ تَهْزِمُوا إِيمَانَنَا بِسِلاَحِكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا الكُفَّارُ

فجاء في هذا الكلام تقديم "جُبَناء" وهو مسنَدٌ حقُّه في الجملة الاسميّة التأخير، تأخير "أنتم" وهو مسند إليه وحقُّه هنا التقديم لإِفادة القصر بمساعدة قرينة المقال السابق، وقرينة حال الاستبسال، والمعنى أنتم وحدكم الجبناء بكفركم، أمّا نحن فشجعان بإيماننا وتوكّلنا على ربّنا[٢].

---

[١] الميداني، البلاغة العربية ، ص ٤٢٧.

[٢] الميداني، البلاغة العربية ، ص ٤٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً - مجيء ضمير الفصل في الجملة:

ضمير الفصل: ضمير منفصل مرفُوعٌ يُؤْتَى به فاصلاً بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله مبتدأ وخبر، ويفيد تقوية الإِسناد وتوكيده، وقَدْ يفيد القصر بمساعدة قرائن الحال أو المقال، والمقصور عليه هو ما دل عليه ضمير الفصل.

والأصل أنّه لا محلّ له من الإِعراب، وقد يؤتَّى به على أَنَّهُ مبتدأ وما بعده خبرٌ له، وتكونُ الجملة منه ومن خبره هي الخبرَ لما قبلهما.

ومثاله قول الله عزّ وجلّ بشأن المنافقين:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَآ آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ آمَنَ السُّفَهَآءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَآءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ (البقرة:١٣).

يقول العلامة الزمخشري: ردّ الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ ردّ وأدله على سخط عظيم ، والمبالغة فيه من جهة الاستئناف، وما في كلتا الكلمتين "ألا وإن" من التأكيدين، وتعريف الخبر وتوسيط الفصل، وقد أتوهم في النصيحة من وجهين : أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجرّه إلى الفساد والفتنة. والثاني : تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوى الأحلام ، ودخولهم في عدادهم، فكان من جوابهم أن سفهوهم لفرط سفههم، وجهلوهم لتمادى جهلهم، وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة[١].

قد جيء بضمير الفصل مرَّتين في هذا النص (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ –أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَآءُ).

ونلاحظ أنّه مع تقوية الإِسناد وتوكيده في الجملتين، فقد أفاد ضمير الفصل بمساعدة القرائن القصر، والمعنى المفسدون وهُمُ السُّفَهاء، لا المؤمنون الذين يتَّهِمُهُم المنافقون بإفسادِ وحْدَةِ جماعة قومهم بدينهم الجديد، وبالسّفاهة في عقولهم، أي: الطيشِ ونقصان العقل.

قول الله عزّ وجلّ في عرض سؤال الله عزّ وجلّ عيسى عليه الصلاة والسلام: (أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ الهيْنِ مِن دُونِ اللهَّ ِ) وفي أجوبته عليه الصلاة والسلام قال لربّه: (مَا لاَ مَآ أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللهَّ َ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (المائدة: ١١٧)فقد جاء في هذا النصّ ضمير الفصل في حكاية قول عيسَى عليه الصلاة والسلام: (أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) أي:

---

[١] الزمخشري، الكشاف،(١ / ٦٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كُنْتَ أَنْتَ الرَّقيب عليهم ونحن إذْ تَوَفَّيْتَنِي أَجَلِي بينهم، ورفعْتَنِي بعيداً عنهم، فليس لي رقابَةٌ عليهم[١].

الثاً تعريف طَرَفي الإسناد المسند والمسند إليه.

ويكون هذا في الْجُمَل الاسميّة، ومن أبرز الأمثلة التي تدلل على هذا اللون في القرآن الكريم قوله تعالى:ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)(البقرة:٢)، فاللام للعهد والمعنى أن هذه السورة هو الكتاب أي العمدةُ القصوى منه، فكأنه في إحراز الفضل كلُّ الكتاب المعهودِ، الغنيُّ عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله صلى الله عليه وسلم: (الحجُّ عَرَفة)[٢] وعلى تقدير كون المسمَّى كلَّ القرآن فالمرادُ بالكتاب الجنسُ ، واللامُ للحقيقة، والمعنى أن ذلك هو الكتابُ الكاملُ الحقيقُ بأن يُخصَّ به اسمُ الكتاب، لتفوقه على بقية الأفرادِ في حيازة كمالاتِ الجنس كأن ما عداه من الكُتُب السماوية خارجٌ منه بالنسبة إليه كما يقال هو الرجل، أي الكاملُ في الرجولية الجامعُ لما يكون في الرجال من مراضي الخِصال[٣] ومنه أن تقول المتنبي الشاعر، والرافعي الأديب.

وبذلك يظهر لنا ما لطرق القصر من دلالة واضحة على تراكيب الجمل من حيث أثرها في الإيجاز البياني على لسان المتكلم، فكيف إن إرتبط الأمر بكتاب الله عز وجل كان الأمر أوضح، فعندما تقصر الكلمات والجمل القرآنية بالأدوات التي سبق ذكرها مثل إنما أو تعريف طرفي الإسناد وغيرها فإنها تعطي معنىً أوسع مما يدل عليه اللفظ بذاته؛ كما تم بيانه سابقاً، وذلك دليل على الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

---

[١] وكذا قول الله عزّ وجلّ في سورة القصص:(وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٥٨)،نأي نحن لا غيرنا الوارثين ، فقد أفاد ضمير الفصل هنا القصر بقرينة سوابق الجملة، ومنه (فالله هو الولي، وأولئك هُمُ المفلحون، هذا لَهُو القَصَصُ الحقّ، شانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ، هُوَ أضْحَكَ وأَبْكى)ينظر الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص ٤٢٩.

[٢] ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ،١٩٧٠م، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الأحاديث مذيلة بأحكام الأعظمي والألباني عليها،وقد صححه الأعظمي،(٢٥٧/٤)

[٣] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٢٢/١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث: أركان إيجاز القصر وأقسامه في القرآن الكريم:

أولاً :أركان إيجاز القصر

للإيجاز بالقصر أربعة أركان هي:

الركن الأول:المقصور، صفةً كان أو موصوفاً.

الركن الثاني:المقصورُ عليه، صفةً كان أو موصوفاً[١].

الركن الثالث: المقصورُ به، وهو المنفيُّ المستَبْعَدُ بالْقَصر.

الركن الرابع:القولُ الْمَقصُورُ به.

ففي كلمة التوحيد: "لا إلَه إلاَّ الله"وهي من القصر الحقيقي بقصر صفةٍ على موصوف، فالمقصورصفة الإِلَهيَّة للمعبود بحقّ ، والمقصور عليه قصراً حقيقاًالله عزَّ وجلَّ الموصوف بأنَّالإِلَه بحقّ ، والمقصورُ عنهكلُّ ما سوى الله عزَّ وجلَّ، والقول المقصور به: النفي والاستثناء في العبارة: "لا إلاَ .."

وفي عبارة(مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ)وهي من القصر الإِضافي بقصر موصوف على صفة:

فالمقصور: "محمّد"الموصوف بأنه رسول، والمقصور عليهقصراً إضافياً : صفة رسالته، المفهومة من"رسول"، والمقصور عنه قصراً إضافياًصفة تبرُّئِه من أني كون عرضةً للموت، لتصحيح تصوُّر متوهمي ذلك فيه، ظانين ظنّاً توهميّاً أنه لا يموت، والقول المقصور به: النفي والاستثناء في العبارة: "مَا..إلاَّ ..."[٢].

---

[١] عد أ د. فضل عباس في كتابه البلاغة فنونها وأفنانهان، هذين الطرفين هما الركنان وهو الصواب لأن ما بعدهما تابع لهما وليس بالأصل، ينظر أ د. فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها ص٣٦٠.

[٢]الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص ٤١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: أقسام إيجاز القصر:

الكلام عن أقسام إيجاز القصر فرع عن طرقه، فكما أن من العلماء من أوجز الحديث عن طرق إيجاز الحصر والقصر، فكذا الحال بالنسبة للأقسام وهو شأن السابقين كما أشرنا أما المحدثين من العلماء فهم يفصلون الحديث عنه ويكثرون من الأمثلة حوله، وهذا من باب التوضيح لا الزيادة عما قاله السابقون، والجمع بين المذهبين هو الأولى وهو ماذهب إليه الباحث، وعليه فأقسام القصر تكون على النحو الآتي:

١. بحسب أحوال المقصور والمقصور عليه

فينقسم القصر من هذا الوجه إلى القصرالحقيقيّ والقصر الإِضافي(وقد سماه السيوطي القصر المجازي)[١]، ويقع على قسمين:

أ. قصر موصوف على صفةٍ دون غيرها.

ويكون قصراً حقيقيّاً وقصراً إضافياً (مجازياً).

ب.قصر صفةٍ على موصوفٍ دون غيره.

ويكون قصراً حقيقيّاً وقصراً إضافياً (مجازياً).

ومقصودنا بالوصف والموصوف كلُّ معنىً من المعاني يتّصف به موصوف ما، كالفعل يتصف به الفاعل باعتبار كونه فاعلاً، ويتصف به المفعول به باعتبار كونه مفعولاً به، كَالخبر يتَّصفُ به المبتدأ، وكالحال يتّصفُ به صاحبُ الحال، وكَفِعْلٍ مَا يتَّصفُ بكونه قد وقع في مكانٍ ما أو زمانٍ ما، وهكذا.

فقد يريد المتكلّم أن يَقْصُرَ مثلاً الفعلَ على الفاعل، أو على المفعول به، أو يقصر الخبر مثلاً على المبتدأ، أو الحال مثلاً على صاحب الحال، وهكذا، وليس مجرد الوصف النحوي.

وقد يريد المتكلّم أَنْ يقصر مثلاً الفاعل أو المفعول به على الفعل، أو المبتدأ مثلاً على الخبر، أو صاحب الحال على الحال، وهكذا [٢].

ومثل قصر الموصوف على الصفة حقيقياً نحو ما زيد إلا كاتب أي لا صفة له غيرها و أمثلة ذلك عزيزة لا يكاد يوجد (لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها بالكلية وعلى عدم تعذرها يبعد أن تكون للذات صفة واحدة ليس لها غيرها) ولذا لم يقع في التنزيل[١]

---

[١] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١٣٤/٢)

[٢]الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص ٤١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما مثال القصر المجازي للموصوف على الصفة قوله تعالى (وما محمد إلا رسول) أي أنه مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبري من الموت الذي استعظموه الذي هو من شأن الإله.

ومثال قصر الصفة على الموصوف حقيقياً (لا إله إلا الله)، فحينما نقول: لا إلَه إلاّ الله فإنّنا نقصر وصف الإلَهيّة الحق على موصوف هو الله وحده"هذا من قصر الصفة على الموصوف - وهو قصر حقيقي،ومثاله مجازياً لقصر الصفة على الموصوف قوله تعالى(قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة..)(الأنعام:١٤٥)، "فالآيةإيذانٌ بأن لحظَ الحلِّ والحُرمةِ هو الوحيُ وأنه صلى الله عليه وسلم قد تتبع جميعَ ما أوحيَ إليه وتفحّص عن المحرمات فلم يجد غيرَ ما فُصِّل ، وفيه مبالغةٌ في بيان انحصارِ ها في ذلك"[٢]، وسبب النزول يبن حقيقة الحصر وذاك؛ أن الكفار لما كانوا يحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به،وكانوا يحرمون كثيراً من المباحات وكانت سجيتهم تخالف وضع الشرع ونزلت الآية مسبوقة بذكر شبههم في البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، وكان الغرض إبانة كذبهم، فكأنه قال لا حرام إلا ما أحللتموه والغرض الرد عليهم والمضادة لا الحصر الحقيقي[٣].

فحينما نقول:"ما لإبليس من عمل في الناس إلاّ الوسوسة والإغواء"فإنّنا نقصر عمل إبليس في الناس على صفتي الوسوسة والإغواء، فعمل إبليس في النّاس موصوف، والوسوسة والإغواء صفة"هذا من قصر الموصوف على الصفة".

فإذا كان لا صفة لعمله في الناس بحسب الواقع إلاّالوسوسة والإغواء كان قصراً حقيقيّاً، وإذا كان لعمله صفات أخرى غير الوسوسة والإغواء كان قصراً إضافيّاً .

وحينما نقول: "علم قيام الساعة عند الله لا عند غيره"فإننا نقصر علم قيام الساعة على الله وننفيه عن غيره"هذا من قصر الصفة على الموصوف -وهو قصر حقيقيّ"[٤].

فعلى ما سبق القصر المجازي للصفة والموصوف هو القصر الذي يحصر فيه القائل صفة للموصوف مع وجود صفات أخرى له في الحقيقة.

---

[١] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١٣٤/٢)

[٢]أبو السعود، إرشاد العقل السليم،(٤٤٣/٢)

[٣] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١٣٥/٢)

[٤]الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص ٤١٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. بحسب أحوال من يوجّه له الكلام

فالذي يوجّه له الكلام إما أن يكون خالي الذهن، أو يراد تصحيح تصوّره الذي هو مخطىء فيه بحسب اعتقاده القول، أو يُرادُ رَفْعُ شَكِّه وتردّده، ولكل وجه من هذه الوجوه أثره من حيث مراد أقسام الحصر ويمكن فرزها كما سبق على النحو الآتي:

أن يكون الكلام المشتمل على القصر موجّهاً لخالي الذهن، أو إعلاناً عن اعتقاد المتكلم، أو اعترافه بمضمون ما يقول، أو تعبيره عما في نفسه لمجرّد الاعلام به، وأُسمِّيهِ: قصراً إعلامياً ابتدائياً "[١].

أن يكون الكلام المشتمل على القصر موجّهاً لمن يُرادُ إعلامُه بخطأِ تصوُّرِهِ مُشَارَكةَ غيرِ المقصور عليه في المقصور.

ويُسمِّي البلاغيُّون هذا القصرَ إفراد".

فمثال المقر بالتوحيد قولنا لهم: " خَالِقَ إلاَّ الله".

هذا قصر حقيقيٌّ، من قصر الصفة على الموصوف، ويُرادُ منه إفراد الله عزَّ وجلَّ بالخلْقِ، ونَفْيُ صفةِ الخلْقِ عن كلّ ما سواه ومن سواه من الشركاء، لتعريف المخالفِ بأنه مخطىء في تصوّره مشاركةَ غَيْرِ اللهِ في الخلْق، فهو قصرُ إفراد"[٢].

أن يكون الكلام المشتمل على القصر موجّهاً لمن يُرادُ إعلامه بخطأ تصوُّره نسْبَةَ المقصور إلى غَيْر المقصور عليه.

ويُسَمِّي البلاغيون هذا القصرَ قَلْب"كما ذكره السكاكي وغيره من أهل البلاغة[٣].

يعتقده الملحد الذي يَجْحَدُ وجُود اللهِ عزَّ وجلَّ، وينْسُبُ أحداثَ الكون المتقنة العجيبة إلى التطوّر الذاتيّ، وإلى المصادفات، فنقول له: "لا مُحْدِثَ لأحداث الكون إلاَّ الله".

هذا قصرٌ حقيقيٌّ، من قصر الصفة التي هي إحْدَاثُ أَحْداثٍ الكون، على موصوف واحدٍ هو الله عزَّ وجلَّ، ويُرادُ منه قلْبُ تصوُّر من يُوَجَّهُ له الخطاب، وتعريفُهُ بأنَّ ما يَنْسُبُه إلى التطوُّر الذّاتي وإلى المصادفات هو لله وحده، فهو قصْر قلْب".

---

[١] لم يأخذ هذا القسم من الحصر الوقت والمساحة الكبيرة من البلاغيين؛ لأنه من المسلمات الواضحة للتعين.

[٢] ينظر الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص١٢٠، السكاكي، مفتاح العلوم (١٣٠/١)، سعد الدين التفتازاني، مختصر المعاني، دار الفكر،الطبعة: الاولى ١٤١١هـ، ص١١٠، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن(١٣٤/٢) وغيرها

[٣] ينظر السكاكي، مفتاح العلوم (١٣٠/١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دأن يكون الكلام المشتملُ على القصر موجَّهاً لمن يُرإزالَةُ تردُّده وشكِّهِ، هل المقصورُ منسوبٌ إلى المقصور عليه أوْ إلى غَيْره.

ويُسمِّي البلاغيّون هذا "قَصْرَ تعْيين".

مثاله: يسأل متردّد شاكٌّ هل لفظ الكسوف يُسْتَعْمَل لاختفاء ونقصان ضوء الشمس أو نور القمر، فنقول له: لا يُسْتَعْمَل لفظ الكسوف إلاَّ للشمس، أمّا ما يحدث للقمر فيُسَمَّى الْخُسُوف"[١] هذا قصرٌ إضافي، لأنّ كلمة "الكسوف" تُستعْمَلُ لمعانٍ أخرى غير ما يحدث للشمس، ومنها تنكيس الطَّرْف، وهو من قصر الصفة على الموصوف. ويرَادُ منه إزالة شكِّ وتردّد من يوجّه له القول بتعيين المقصور عليه، فهو "قَصْرُ تعيين"[٢].

ويربط بين هذه الفروع صاحب الكليات[٣] حيث يقول "فقولنا: (ما قام إلا زيد) لمن اعتقد أن القائم هل هو زيد أو عمرو: كلاهما قصر إفراد، ولمن اعتقد أن القائم عمرو لا زيد: قصر قلب، ولمن تردد أن القائم هل هو زيد أو عمرو: قصر تعيين، فكل مادة تصلح مثالاً لقصر الإفراد أو القلب تصلح مثالاً لقصر التعيين من غير عكس.

---

[١] وكما هو معلوم أن من أهل اللغة من جوز التناوب بينها والإبدال ينظر الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، (٢١٥/١)

[٢] يرى البلاغيّون أنّ الإفراد، وقَصْرَ الْقَلْبِ، وقَصْرَ التَّعْيِيرِ أقسامٌ للقصر الإِضافِيِّ فقط، والصواب أن منها ما هو قصرٌ حقيقيٌّ، منها ما هُو قَصْرٌ إضافي كما ذهب لذلك الميداني، ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ص ٤١٨

[٣] أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ص٧١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الرابع: شواهد من الإيجاز بالقصر، وأثرهما في الإعجاز القرآني.

لقد ذكرت كتب التفسير العديد من العبارات المبينة للحصر والقصر في كتاب الله عز وجل، خاصة في الآيات التي تحوي أداة من أدوات الحصر والقصر مثل إنما أو أسلوب من أساليب الحصر مثل التقديم،ولايكاد يخلو كتاب من كتب التفسير من الحصر والقصر الذي هو أحد أنواع الإيجاز، الذي ينطوي عليه إعجاز القرآن الكريم، وكان أكثرها ذكراً كتب التفسير البلاغي والنحوي؛ مثل كتاب الكشاف للزمخشري، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.

وفي هذا المبحث نذكر إن شاء الله بعض النماذج على سبيل الاستدلال التأصيلي لا الحصر:

فمن ذلك ما قاله الشيخ الشعراوي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ وبُهُمْ وَاللَّهُ وَتُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (البقرة:٢)

فقال "يذيل الحق تبارك وتعالى هذه الآية الكريمة[١]، التي نحن بصددها بقوله: (وعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)ومُتَعلّق الجار والمجرور دائماً يكونمتأخراً، بينما هنا يتقدم الجار والمجرور؛ لذلك ففي الأسلوب حصر وقصر، مثلما نقول:(لزيد المال) أي أن المال ليس لغيره، وقول الحق: وعلى (رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) أي لا يتوكلون على غيره، بل قصروا توكلهم على الله سبحانه وتعالى، والتوكل:أن تؤمن بأن لك وكيلاً يقوم لك بمهام أمورك، بدليل أن الشيء الذي لا تقوى عليه تقول بصدده: (وكلت فلاناً ينجزه لي على خير وجه)وحتى تختار الذي توكله ويكون مناسباً لأداء تلك المهمة فأنت تعلن باطمئنان: أنك قد وكلت فلانا"[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)(البقرة:٩)

وهنا يطرح الإمام الآلوسي شبهة عند هذه الآية وهي" كيف يصح حصر الخداع على أنفسهم، وذلك يقتضي نفيه عن الله تعالى والمؤمنين، وقد أثبت أولاً، ويجيب عليها إن المخادعة إنما تكون في الظاهر بين اثنين فكيف يخادع أحد نفسه، فنقول المراد أن دائرة الخداع راجعة إليهم وضررها عائد عليهم، فالخداع هنا هو الخداع الأول والحصر باعتباره أن ضرره عائد إلى أنفسهم؛ فتكون العبارة الدالة عليه مجازاً أو كناية عن انحصار ضررها فيهم أو نجعل لفظ

---

(١) من أهل العلم من يتورع من إطلاق تسمية الذيل على أواخر الآي في القرآن الكريم، بل تسمى خواتيم أو رؤوس، ولعل هذا أوجه والله أعلم.

(٢) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، (٣١٩٧/١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخداع مجازاً مرسلاً عن ضرره في المرتبة الثانية، وكونه مجازاً باعتبار الأول"[١]، ويمكن حمل التعبير هنا بالمخادعة للمشاكلة، أي كافأهم بجنس عملهم؛ فكل يحاسبه على شاكلته.

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) (البقرة:١٦)، فكأن السامع بعد سماع ذكرهم وإجراء تلك الأوصاف عليهم كأنه يسأل: من أين دخل على هؤلاء هذه الهيئات؟ فالجواب: بأن أولئك المستبعدين إنما جسروا عليها؛ لأنهم اشتروا الضلالة بالهدى حتى خسرت صفقتهم وفقدوا الاهتداء للطريق المستقيم ووقعوا في تيه الحيرة والضلال، وقيل: هو فذلكة[٢]، وإجمال لجميع ما تقدم من حقيقة حالم أو تعليل لاستحقاقهم الاستهزاء الأبلغ والمد في الطغيان أو مقرر لقوله تعالى: (وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) (البقرة: ١٥)، وفيه حصر المسند على المسند إليه لكون تعريف الموصول للجنس بمنزلة تعريف اللام الجنسي وهو ادعائي باعتبار كمالهم في ذلك الاشتراء[٣]، وإن كان الكفار الآخرون مشاركين لهم في ذلك لجمعهم هذه المساوىء الشنيعة والخلال الفظيعة، فبذلك الاعتبار صح تخصيصهم بذل، وهذا من تمام الإعجاز القرآني.

ومنه في تفسير قوله تعالى: (لَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (البقرة: ٢٢٩)، فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢) وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥) لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧) حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠) وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥) أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٤٨) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢) تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (البقرة:٢٥٥)

---

(١)الآلوسي، روح المعاني، (١٥١/١)

(٢) الفذلكة: هو مأخوذ من قول الحساب (فذلك كان كذا)، فذلك إشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته، ثم أطلق لفظ الفذلكة لكل ما هو نتيجة متفرعة على ما سبق حسابا كان أو غيره، ونظير هذا الأخذ أخذهم نحو البسملة والحمدلة ونظائرهما من الكلمات المركبة المعلومة، وهذا يسمى بالنحت، ينظر أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، (ص ٦٩٧).

(٣) بتصرف: الآلوسي، روح المعاني، (١٧١/١)

(٤) بتصرف: ابن عاشور، التحرير والتنوير ، (٣٩٣/٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"ففي الآية دلالات منها: أن الكفر أعظم الظلم؛ ووجه الدلالة منه: حصر الظلم في الكافرين؛ وطريق الحصر هنا ضمير الفصل: (هم).

وقوله تعالى: (لا تأخذه سنة ولا نوم) أي لا يعتريه نعاس، ولا نوم؛ فالنوم معروف؛ والنعاس مقدمته، وقوله تعالى في الجملة الثالثة: (له ما في السموات وما في الأرض) أي له وحده؛ ففي الجملة حصر لتقديم الخبر على المبتدأ"[(١)]؛ و(السموات) جمعت؛ و(الأرض) أفردت؛ لكنها بمعنى الجمع؛ لأن المراد بها الجنس.

وعند ذكر قوله تعالى: (وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (آل عمران:١٨٥)

فهذه الجملة (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) فيها حصر طريقة النفي والإثبات، وهو أعلى طرق الحصر[(٢)]، (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)، يغتر بها الإنسان، فيلهو ويلعب ويفرح ويبطر ثم تزول.

وكذا قوله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (آل عمران:١٩)

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) صيغة حصر، وهي تقتضي في اللسان حصر المسند إليه، وهو الدين، في المسند، وهو الإسلام، على قاعدة الحصر بتعريف جزئي الجملة(٣)، أي لا دين إلا الإسلام، وقد أكد هذا الانحصار بحرف التوكيد.

(أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (البقرة:٥)، فأولئك (الثانية) مبتدأ، (هم) مبتدأ ثانٍ، و (المفلحون) خبره، والجملة خبر الأول، ويجوز أن يكون (هم) فصلاً أو بدلاً، و (المفلحون) الخبر.

"وفائدة الفصل: الفرق بين الخبر والتابع، ولهذا سمي فصلاً، ويفيد أيضاً - التوكيد.

وهو يأتي لفائدتين"[(٤)]:

إحداهما: الدلالة على أن « الوارد » بعده خبر لا صفة.

---

(١) للمزيد ينظر ابن عثيمين، تفسير القرآن،(١٩٤/٥)

(٢) ابن عثيمين، تفسير القرآن، (٣٧/١٥)

(٣) بتصرف: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٤٧/٣)

(٤) ابن عادل الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ١٤١٩ هـ،١٩٩٨ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض- (٧٣/١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والثاني: حصر الخبر في المبتدأ، فإنك لو قلت لإنسان ضاحك فهذا لا يفيد أن الضاحكية لا تحصل إلاّ في الإنسان.

وعند قوله تعالى: (بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ) (الأنعام:٤١)، فـ "بل" حرفُ إضرابٍ وانتقال لا إبطال لما عَرَفْتَ غيرَ مرة من أنها في كلام الله كذلك. و (إياه) مفعول مقدَّم للاختصاص[١]، ولذلك يقال: تَخُصُّونه بالدعاء، وقد يكون للاستثناء، وإن كان ثَمَّ حَصْرٌ واختصاص فمِنْ قرينة أخرى. (أي تقديم إياه على الجملة).

ومن ذلك في تفسيره قوله تعالى: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (الأنعام:٥٩)

يقول أبو حيان: "مفاتح الغيب: الأمور التي يستدلّ بها على الغائب فتعلم حقيقته من قولك: فتحت على الإمام إذا عرّفته ما نسي، و"لا يعلمها إلا هو" حصر أنه لا يعلم تلك المفاتح ولا يطلع عليها غيره تعالى، ولقد يظهر من هؤلاء المنتسبة إلى الصوف أشياء من ادعاء علم المغيبات والاطلاع على علم عواقب أتباعهم وأنهم معهم في الجنة مقطوع لهم ولأتباعهم بها يخبرون بذلك على رؤوس المنابر ولا ينكر ذلك أحد هذا مع خلوهم عن العلوم يوهمون أنهم يعلمون الغيب"[٢].

وكذلك في تفسيره قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لله وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَالله غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (المائدة:٩٢)

يقول الزمخشري رحمه الله"ولقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في أبدانهم استطاعة، والذين عدموا آلة الخروج، والذين سألوا المعونة فلم يجدوها[٣]، وهذا من باب الحصر بذكر جميع أصناف الشيء.

وعند قول الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ الله وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلاَيَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ

---

(١) بتصرف يسير: السمين الحلبي، الدر المصون في علم الكتاب المكنون، (١٦٠٨/١)

(٢) أبو حيان، البحر المحيط (١٧٤/٥)

(٣) الزمخشري، الكشاف- (٤٦٠/٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (الأنفال:٧٢)، فهؤلاء القوم لا بد أن يكونوا أولياء، وهذا هو الحكم المطلوب منهم، ولكنه سبحانه في هذه الآية الكريمة: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) (الأنفال: ٧٤)، ولم يتكلم الحق سبحانه وتعالى هنا عن الولاية ولم يعط حكماً بها، وإنما قال سبحانه وتعالى: (هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) وهذا حصر يسمونه قصراً، أي أن غيرهم لا يكون مؤمنا حقا، مثلما تقول: فلان هو الرجل، يعني أن غيره لا تعد رجولته كاملة من كل نواحيها. وهذه مبالغة إيمانية[١].

وفي ذكر قوله تعالى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (التوبة:١٨) فجعل عمارة المسجد دليلاً على الإيمان، بل الآية تدل بظاهرها على حصر الإيمان فيهم، لأن كلمة إنما للحصر[٢]. وهو من باب الحصر بـ (إنما)

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (الإسراء:٦٠)، فالتخويف بالآيات عند التكذيب إما من العذاب المعجل أو من عذاب الآخرة، "فإن قيل: المقصود الأعظم من إظهار الآيات أن يستدل بها على صدق المدعي فكيف حصر المقصود من إظهارها في التخويف؟،" قلنا: المقصود أن مدعي النبوة إذا أظهر الآية فإذا سمع الخلق أنه أظهر آية فهم لا يعلمون أن تلك الآية معجزة أو مخوفة، إلا أنهم يجوزون كونها معجزة، وبتقدير أن تكون معجزة فلو لم يتفكروا فيها ولم يستدلوا بها على الصدق لاستحقوا العقاب الشديد، فهذا هو الخوف الذي يحملهم على التفكر والتأمل في تلك المعجزات، فالمراد من قوله: (وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) هذا الذي ذكرناه، والله أعلم"[٣].

ومن ذلك ما ذكره الشنقيطي في تفسير قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) (طه:٩٨)، فبيّن جلّ وعلا في هذه الآية: أن العجل الذي صنعه السامري من حلي القبط لا يمكن أن يكون إلهاً؟ وذلك لأنه حصر الإله أي المعبود بحق بـ(إِنَّمَا) التي هي أداة حصر على التحقيق في خالق السموات والأرض[٤]، والذي لا إله إلا هو؛ أي لا معبود بالحق إلا هو وحده جلّ وعلا، وهو الذي وسع كل شيء علمً.

---

(١) بتصرف يسير: الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، (٣٣٤٩/١)

(٢) الرازي، مفاتح الغيب، (٢٩٦/٢)

(٣) ينظر الرازي، مفاتح الغيب، (٨٠/١٠)

(٤) بتصرف: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،- (٩٣/٤)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما برع ابن عطية في إبراز نوع القصر بذكر تفاصيل الشيء، فتراه يكثر من الإشارة لهذه الجزئية، ومن ذلك في تفسير قوله تعالى:(الم غُلِبَتِ الرُّومُ الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (الروم:٤)

فقوله تعالى: (ويومئذ) يحتمل أن يكون عطفاً على القبل والبعد، كأنه حصر الأزمنة الثلاثة الماضي والمستقبل والحال، ثم ابتدأ الإخبار بفرح المؤمنين بالنصر، ويحتمل أن يكون الكلام تم في قوله من بعد، ثم استأنف عطف جملة أخبر فيها أن يوم غلبت الروم الفرس، يفرح المؤمنون بنصر الله[١]، وعلى هذا الاحتمال مشى المفسرون.

كما في قوله تعالى:(عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (السجدة:٦)

يقول ابن عطية:" قالت فرقة أراد ب"الغيب"الآخرة، وب"الشهادة"الدنيا، وقيل أراد ب"الغيب"ما غاب عن المخلوقين وب"الشهادة"ما شوهد من الأشياء فكأنه حصر بهذه الألفاظ جميع الأشياء[٢]، وهذا من اختلاف التنوع الذي يمكن الجمع بينه.

وفي تفسير قوله تعالى:(يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ) (الأحزاب:٦٣)، "أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة أن يقول للناس الذين يسألونه عن الساعة:(عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ)، ومعلوم أن(إِنَّمَا) صيغة حصر.

فمعنى الآية أن الساعة لا يعلمها إلا الله وحده.

وهذا المعنى الذي دلّت عليه هذه الآية الكريمة، جاء واضحًا في آيات أُخر من كتاب الله، كقوله تعالى:(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ) (لقمان:٤٣)"[٣].

وعند تفسير قوله تعالى:(وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) (فاطر:٢٨)، فقوله:"يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ العلماء" تكملة لقوله تعالى:(ذلك الذين يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بالغيب) بتعيين من يخشاه عزَّ وجلَّ من النَّاس بعد بيانِ اختلافِ طبقاتِهم وتباينِ مراتبِهم في الأوصافِ المعنويَّةِ فبطريقِ التَّمثيلِ وأما في الأوصافِ الصُّوريةِ فبطريقِ التَّصريحِ توفية لكلَّ واحدةٍ منهما حقَّها اللائقَ بها من البيانِ أي إنَّما يخشاه تعالى بالغيب العالمين به عزَّ وجلَّ وبما يليق به من صفاتِه الجليلةِ وأفعالِه الجميلةِ لما أنَّ مدارَ الخشية معرفةُ المخشيِّ والعلمُ بشؤونه فمن كان أعلم به تعالى كانَ أخشى منه عزَّ وجلَّ

---

(١) ابن عطية، المحررالوجيز،، (٢٤١/٥)

(٢) بتصرف يسير: ابن عطية، المحررالوجيز،، (٢٨٠/٥)

(٣) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- (٢٥٧/٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ :"أنا أخشاكُم لله وأتقاكُم له"[١] تلك عقَّب بذكرِ أفعالِه الدَّالَّةِ على كمالِ قُدرتِه وحيث كان الكَفَرةُ بمعزلٍ من هذه المعرفةِ امتنع إنذارُهم بالكلِّيةوتقديمُ المفعولِ لأن المقصودَ حصرُ الفاعليَّةِ ولو أُخِّر انعكسَ الأمرُ[٢].

وفي تفسيروقولهتعالى:(وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (الزخرف:١٩)، فقولهتعالى: مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (الزخرف:٢٠)، قراءة عِبَاد جمعالعَبْد ولفظ العباد في القرآن مخصوصٌ بالمؤمنين، "فقولهعِبَاد الرَّحْمَنِ " يفيدحَصْرَالعُبُودِيَّة فيهم[٣] إذا كَانَ اللَّفظُ الدّالُ على العُبُوديَّة دالاً على حصر الفضل والقرب والشرب لهم وجب كونهم أفضل.

يُطَافوقولهتعالى:عَلَيْهِمْ"بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍوَفِيهَاتَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْفِيهَاخَالِدُونَ وَتِلْكَالْجَنَّةُالَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَلَكُمْفِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (الزخرف:٧٣)، فما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين: "هو حصر لأنواع النعم، لأنها إما مشتهاة في القلوب، أو مستلذة في العيون"[٤].

ومنه قول اللهتعالى:(تَبَارَكَالَّذِيلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (الزخرف:٨٥)،فتبارك من تفاعل البركة، أي تزيدت بركاته. والسماوات والأرض وما بينهما حصر لجميع الموجودات المحسوسات[٥].

وفيقولهتعالى:(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (محمد:٢)، فقولهتعالى: الحق مِن رَّبِّهِمْ؛ بطريقِ حصرِ الحقِّيةِ فيهِ، وحقِّيتُه بكونِه ناسخاً غيرَ منسوخٍ ، فالحقُّ على هذا مقابلُ الزائلِ وعلى الأولِ مقابلُ الباطلِ ، وأيّاً ما كانَ فقولُه تعالى من ربِّهم حالٌ من ضميرِ الحقِّ [٦]، فنلاحظ ما حملت هاتين الكلمتين القليلتين من الألفاظ من واسع المعاني، وهومن باب الحصر بالتوكيد وتعريف طرفي الإسناد.

---

(١) ينظر ابن خزيمة، محمد بن إسحاق أبو بكر السلمي النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠ هـ- ١٩٧٠م، الأحاديث مذيلة بأحكام الأعظمي والألباني عليها،ولم يحكما عليه، رقم ٢٠١٤، (٣ / ٢٥٢).

(٢) بتصرف أبو السعود، إرشاد العقل السليم- (٣٩٥/٥)

(٣) بتصرف: ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب،، (١١٨/١٤)

(٤) أبو حيان، البحر المحيط، (٢٥/١٠)

(٥) ابن عطية، المحرر الوجيز، (٨٤/٦)

(٦) أبو السعود، إرشاد العقل السليم ، (١٤٩/٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما أشار الباحث دليل واضح على إعجاز وشمولية القرآن الكريم على هذا الفن الرائد في دلالاته، المنير في معانيه، الواضح في مظاهره، المعجز في بيانه؛ فالإيجاز بالحصر والقصر الذي هو من أبرز معالم إعجاز القرآن الكريم البياني ليغرس المعاني الواسعة بالألفاظ القليلة وقد سبق التدليل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: الإيجاز بالتضمين وأثره في الإعجاز القرآني.:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التضمين في اللغة والاصطلاح٠

المطلب الثاني: مذاهب العلماء في إثبات الإيجاز بالتضمين ونفيه.

المطلب الثالث: أنواع الإيجاز بالتضمين في القرآن الكريم٠

المطلب الرابع: شواهد من الإيجاز بالتضمين، وأثرها في إعجاز القرآن الكريم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول: التضمين في اللغة والاصطلاح:

أولاً: التضمين في اللغة:

قال ابن فارس: "الضاد والميم والنون أصلٌ صحيح، وهو جَعْل الشَّيء في شيءٍ يحويه. من ذلك قولهم: ضمَّنت الشيء إذا جعلته في وعائه. والكفالة تسمَّى ضَمَاناً من هذا؛ كأنَّه إذا ضمِنَه فقد استوعَبَ ذمّته والمَضَامِين: ما في بطون الحوامل"[١].

والتكفيل يُضَمِّنُ الشيءَ وبه ضَمْناً وضَمَاناً كَفَل به وضَمَّنَه إياه كَفَّلَه، وفي الحديث من مات في سبيل الله فهو ضامِنٌ على الله أَن يدخله الجنة[٢]، أَي ذو ضمان على الله"[٣].

وجاء في المعجم الوسيط: "

يقال: أضْمَنَهُ الله؛ جعله ضمِيناً، وضَمِنَ فلاناً الشيء جعله يضْمنه وألزمه، وتضامنوا؛ أي التزم كل منهم أن يؤدي عن الآخر ما يقصر عن أدائه، والتضامن التزام القوي أو الغني معاونة الضعيف أو الفقير، والتضمين عند علماء العربية على معان منها: إيقاع لفظ موقع غيره ومعاملته معاملته؛ لتضمنه معناه واشتماله عليه، ومنها أن يكون ما بعد الفاصلة متعلقا بها، وفي علم القوافي أن تتعلق قافية البيت بما بعده على وجه لا يستقل بالإفادة، وفي البديع أن يأخذ الشاعر أو الناثر آية أو حديثا أو حكمة أو مثلا أو شطرا أو بيتا من شعر غيره بلفظه ومعناه[٤].

والتضمين يأتي بمعنى الإيداع، يقولون: ضمن الشيء الوعاء؛ أي جعله فيه، وأودعه إياه [٥].

ومن ذلك يتضح لنا أن التضمين في أصل اللغة مأخوذ من جَعْل الشَّيء في شيءٍ يحويه ثم أخذت المعاني تتفرع من هذا الأصل على النحو الذي أشارت إليه كتب اللغة حتى وصل الأمر لعلماء العربية الذين فصلوا القول به بين فروع العربية.

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٣٧٢/٣

(٢)القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث، (٢ / ٦٠).

(٣) بتصرف ابن منظور، لسان العرب، (٢٥٧/١٣)٠

(٤) بتصرف مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (٥٤٤/١)

(٥) ينظر ابن منظور، لسان العرب، (٢٥٧/١٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: التضمين في الاصطلاح:

قال الجرجاني في التعريفات: "التضمين في الشعر هو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح إلا به والتضمين المزدوج هو أن يقع في أثناء قرائن النثر والنظم لفظان مسجعان بعد مراعاة حدود الأسجاع والقوافي الأصلية كقوله تعالى: (وجئتك من سبأ بنبأ يقين)(النمل:٢٢) وكقوله عليه الصلاة والسلام: (المؤمنون هينون لينون) [١]، ومن النظم

تعود رسم الوهب والنهب في العلا... وهذان وقت اللظف والعنف دأبه... [٢]".

فلا يعني التضمين أن يتجرد الفعل من معناه الأول؛ ليكتسبمعنىً جديد، بل القصد أن يجمع الفعل بالتضمين بين دلالته الأولى ودلالة الفعل الذي أشرب معناه[٣]".

وعرَّفه ابن جني - بأنه: "اتصال الفعل بحرف ليس مما يتعدى به؛ لأنه في معنى فعل يتعدى به". [٤].

ويمكن تعريفه بأنه : اتصال الفعل بحرف ليس مما يتعدى به؛ لأنه في معنى فعل يتعدى به. من ذلك قوله أُحِلَّ لَكُمْ ليلةَ الصِّيَامِ الرَّفثُ إلى نِسَائِكُمْ) لما كان في معنى الإفضاء عداه بإلى.

أما السيوطي فقد ذهب إلى أن التضمين"يطلق على أشياء:

أحدهما: إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه وهو نوع من المجاز

الثاني: حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم هو عبارة عنه

الثالث: تعلق ما بعد الفاصلة بها وهذا مذكور في نوع الفواصل

الرابع: إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى أوترتيب النظم وهذا هوالنوع البديعي

---

(١) المناوي، زين الدين محمد المعروف بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ-١٩٩٤م،(٣٣٥/٦)، وقد حسنه محمد بن ناصر الدين الألباني في مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير، (مختصر فيض القدير شرح الجامع الصغيرللإمام عبد الرؤوف المناوي)، إعداد وترتيب: أبو أحمد معتز أحمد عبد الفتاح، (٣٨٣/١).

(٢) الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي السيد الدين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي (٨٢٦ هـ)، التعريفات،(٨٤/١).

(٣)تومة، عبد الجبار، الفعل في القرآن الكريم، رسالة جامعية، جامعة حلب،١٩٨٦م، ص٦٠.

(٤)ابن جني، الخصائص، ٤٣٥/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال ابن أبي الإصبع[١]: ولم أظفر في القرآن بشيء منه إلا في موضعين تضمنا فصلين من التوراة والإنجيل قوله تعالى: (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس)(المائدة:٤٥) وقوله تعالى: (محمد رسول الله...)(الفتح:٢٩)

ومثله ابن النقيب[٢] وغيره بإيداع حكايات المخلوقين في القرآن كقوله تعالى حكاية عن الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها)(البقرة:٣٠)

وكقوله تعالى حكاية عن المنافقين: (أنؤمن كما آمن السفهاء)(البقرة:١٣)

وكقوله تعالى حكاية عن اليهود والنصارى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)(التوبة:٣٠)[٣].

الذي يهمنا من هذه الأنواع النوع الأول فحسب لأنه هوالذي يدخل ضمن فروع الإيجاز الذي هومحط بحثنا

كما أشار إليه الزمخشري بقوله:إيقاع لفظٍ موقع غيره ومعاملته معاملته، لتضمنه معناه، واشتماله عليه، أوهوإشراب فعلٍ أومشتقٍ أومصدرٍ معنى فعل آخر أومشتق أومصدر، ليجري مجراه في التعدي والمعنى، مع إرادة معنى المتضمن. والغرض منه إعطاء مجموع المعنيين [٤]،

وذهب الدكتور الخالدي في حديثه عن االتضمين في القرآن: هوعبارة عن فعلين في فعل وحرفين في حرف وهذا يقود إلى معنيين مختزلين في تعبير واحد[٥].

فالتّضمين: هوإعطاء معنى كلمة أُخْرى، وجَعْلُ الكلام بعدها مَبْنيّاً على الكلمة غير المذكورة، كالتعدية بالحرف المناسب لمعناها[١]، فتكون الجملة بهذا التضمين بقوّة جملتين، دلَّ

---

(١)عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري،شاعر، من العلماء بالادب. مولده٥٩٥ هـ في مصر ووفاته ٦٥٤ هـ بمصرأيضاً . له تصانيف حسنة، منها " بديع القرآن في أنواع البديع الواردة في الآيات الكريمة، وتحرير التحبير والخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح أي فواتح القرآن، والبرهان في إعجاز القرآن والمختارات في الأدب، الزركلي، الأعلام،(٤ / ٣٠).

(٢)عبد القادر بن يوسف النقيب الحلبي، ويقال له نقيب زاده: فقيه حنفي. ولد ونشأ بحلب. وسكن المدينة سنة ١٠٦٠ هـ وتوفي فيها سنة ١١٠٧ هـ. له كتب، منها لسان الحكام في فقه، ومعرفة الرمي بالسهام وشرح شواهد الرضي على الكافية، الزركلي، الأعلام،(٤ / ٤٨).

(٣) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٢٤٣/٢)

(٤) الزمخشري، الكشاف: ٤٨١/٢

(٥) الخالدي، إعجاز القرآن البياني، ص١٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الكلمة المذكورة التي حُذِف ما يَتَعلَّقُ بها، ويُقَدَّرُ معناه ذهْناً، ودَلَّ على الأَخْرَى الكلمةُ التي جاءتْ بعدها المتعلّقةُ بالكلمةِ المحذوفةِ الْمُلاحَظِ مَعْنَاها ذهْناً(١).

وإذا قمنا بالنظر إلى هذه التعريفات فستدلّنا إلى معنى إجمالي للتضمين وهو احتواء النص القرآني على دلالات بيانية وبلاغية ناتجة عن ارتباط أجزاء النص القرآني بطريق مغايرة للمألوف.

(١)الميداني، عبد الرحمن حبنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها١/٥٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: مذاهب العلماء في إثبات الإيجاز التضمين ونفيه:

لقد كان للعلماء ثلاثة مذاهب في إثبات الإيجاز التضمين ونفيه:

المذهب الأول: نفي التناوب والتضمين.

وقد ذهب أصحاب هذا المذهب إلى نفي التضمين والتناوب في القرآن الكريم.

ويمثل هذا الفريق الدكتور محمد حسن عواد، فهو يرى أن كل حرف في القرآن له دلالة خاصة بحيث لا يمكن أن ينوب عنه غيره ولا يتضمن هو غيره[١].

ودلل لما ذهب إليه بعدة أمثلة منها

قوله تعالى: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) البقرة:١٢٩ فقال"الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة، فالإفضاء معنى من معانيه، كما أن الجماع معنى من معانيه وهو بالآية تعدى بإلى؛ لأن المراد الإفضاء ولا نقول ضمن الرفث معنى الإفضاء"[٢].

وكذلك نفى التضمين من طريق الفعل هدى حيث بين أن له ثلاثة أحوال من حيث الوضع النحوي:

١. أنه يتعدى لمفعول به بنفسه ومثال ذلك قوله تعالى:﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(البقرة:١٨٥)

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(الأنعام:١٤٩)

وقوله تعالى﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(النحل:٩)

وجعل الهداية في هذا الجانب من الإرشاد العام

٢. وأنه يتعدى لمفعول به بنفسه وبحرف الجر اللام؛لأنه ينصب مفعولين به ومثال ذلك قوله تعالى:﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(الأعراف:٤٣)

وجعل الهداية في هذا الجانب من الإرشاد الخاص لأن"اللام"تفيد الاختصاص

٣. وأنه يتعدى لمفعول به بنفسه وبحرف الجر إلى؛لأنه ينصب مفعولين به ومثال ذلك قوله تعالى:﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(الأنعام:١٦١)

---

(١) د محمد حسن عواد، تناوب الحروف في لغة القرأن، دار القرقان، عمان، ١٩٨٢، ص٧٥

(٢) د عواد، تناوب الحروف في لغة القرأن، ص٧٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجعل الهداية في هذا الجانب تفيد الإرشاد الأخص لأن إلى تفيد إيصال المطلوب [١]

المذهب الثاني: القائلون بتناوب حروف الجر في المعاني.

وهو مذهب الكوفيين، ومنهم المرادي في كتابه الجنى الداني [٢]، وابن هشام في كتابه مغني اللبيب[٣]، ومعهم علماء الكوفة [٤]، وآخرون ممن سماهم ابن قيم الجوزية[٥]، بظاهرية النحاة إلى أن حرف الجر في هذه الظاهرة تضمَّن معنى حرف جر آخر، فالفعل إذاً باقٍ على معناه المعهود، ولم تنتقل دلالته المعنوية إلى معنى فعل آخر، واختلاف المعنى محصور في الحرف، إذ اكتسب معنى حرف آخر يستحق هذه التعدي.

وممّن ينحوهذا المنحى في التفسير الإمام ابن قتيبة في كتابه"تأويل مشكل القرآن"[٦].

وقد عقد باباً بعنوان"دخول بعض حروف الصفات مكان بعض"[٧]، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى: (ولأصلبنكم في جذوع النخل)(طه:٧١)

فيرى أن حرف الجر"في"بمعنى"على"، والمعنى: على جذوع النخل، وبقوله تعالى: (فاسأل بهخبيراً) (الفرقان:٩٥) أي: عنه، وبقوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى)(النجم:٣)

أي بالهوى، فحرف الجر"عن"بمعنى الباء.

أما ابن هشام في"مغني اللبيب"فقد عبّرعن هذا الباب بالمرادفة[٨]، وأورد طائفة من الآيات على هذا المصطلح. ومن ذلك قوله تعالى: (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) (التوبة:١٠٤) فيرى أن الحرف"عن"مرادف للحرف الآخر"من". ولعل سير من ذهبوَ فق هذا الفهم أنهم لا يتأمّلون في الفعل الذي سبق حرف الجر،ولا يرونه متجاوزاً دلالته المعنوية، وإنما يرون حرف الجرقد تعاور حرفاً آخر.

---

(١) د عواد، تناوب الحروف في لغة القرأن، بتصرف ص٤٥_٧٦

(٢) ينظر المرادي،الجنى الداني في حروف المعاني،ص٦.

(٣) ابن هشام، مغني اللبيب:(٤٨/١)

(٤) ينظر:الزركشي، البرهان في علوم القرآن ٤٣/٣

(٥) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبوعبد الله ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي، أشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ١٩٩٦م،ص٩٢٠.

(٦)ابن قتيبة، أبومحمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت لبنان،ص٥٦٧.

(٧) ويعني بها الحروف

(٨) ابن هشام، مغني اللبيب:(٤٨/١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المذهب الثالث: أن التضمين خاص بالأفعال والأسماء دون الحروف.

فهالذي يُطْلق على هذه الظاهرة مصطلح"التضمين"، ويرى أن الفعل قد تضمّن معنى فعل آخر،وحرف الجر مَسُوق لإتمام معنى هذا الفعل. وانتصر كثيرون لنظرية التضمين في الأفعال لا الحروف، ومنهم ابن العربي الاشبيلي [١]، يقول: "وكذلك عادة العرب أن تحمل معاني الأفعال على الأفعال لما بينهما من الارتباط والاتصال، وجهلت النحوية هذا، فقال كثير منهم: إن حروف الجر يبدل بعضها من بعض، ويحمل بعضها معاني البعضفخفي عليهم وضْعُ فعلٍ مكان فعل وهوأوسع وأقيس، ولجؤوا بجهلهم إلى الحروف التي يضيق فيها نطاق الكلام والاحتمال". وممن نصر هذا المذهب من المحدثين الدكتور محمد نديم فاضل، فقد كان معنيّ ببيان صحة المذهب الثالث مشغول بهذا الرأي شديد الحماسة لهيرفض رفضاً باتاً أيَّ دعوى أوحجة لتضمين الحروف، وكانت أطروحته في تعزيز ما اعتقده، وقد حشد أدلته للوفاء به، وكانت في جزءين: القسم النظري، ثم القسم التطبيقي. وقد أشار إلى خطر اللغة وأهميتها ضمن القضايا الإنسانية الكبرىوخَلُصَ إلى أنها الكفيلة بإيضاح حقائق القرآن الكريم، والإفصاح عن خفايا التأويل، وإظهار دلائل الإعجاز، وشرح معالم الإيجاز، وعن طريق التضمين في الأفعال تنحلُّ كثيرٌ من العقد يقول "ترى الحرف مع الفعل فيوحشك الحرف،ويبقى الفعل قلقاً ،فإذا حَملته على التضمين تمكّنَ الفعل وآنسك الحرف"[٢].

ويذكر كلام الحافظ السيوطي إذ يقول: "إيقاع لفظ موقع غيره لتضمن معناه"[٣]. وهوفي سبيل إبطالالتضمين في الحروف يلجأ إلى مناقشة مستفيضة لوظيفة كل قسمٍ من أقسام الكلمة الثلاثة: الإسم والفعل والحرف. يقول: "المعنى الإفرادي للاسم والفعل هوفي أنفسهما، والمعنى للحرف هوفي غيره،فالباء مثلاً لا تدل على معنى حتى تضاف إلى الإسم الذي بعدها، لا أنه يُتحصّل منها منفردةً فلا بيئة للحروف خارج سياقها، والعربي في العصور الأولى إذا تجاوز في استعماله هذه الروابط فإن سبب عدوله من حرف إلى حرف هوالسياق، وهوالذي وضع الفعل في معنى معيّن وخصصه به، وعداه بحرف يناسبه، فإبدال حرف مكان حرف، أوقيام حرف مقام حرف، وتضمين الحروف كثير الإيهام ولا حقيقة تحته." [٤].

---

(١) ابن العربي، أحكام القرآن (٣٥٠/١)

(٢) نديم،التضمين النحوي، ص١٠.

(٣) السيوطي، معترك الأقران،ص٣٩٨.

(٤) نديم،التضمين النحوي، ص٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى الدكتور النديم أن النحاة حين يقولون: إن"إلى"بمعنى اللام والباء بمعنى"في"، و"عن"بمعنى"على"ثم يردد المفسرون أوأكثرهم، لم يسألوا عن سبب تناوب هذه الحروف، ولم يتعرضوا للعلّة التي من أجلها جرى التعاور، فليس التناوب في الحروف إلا أسلوباً من الهروب في مواجهة المشكلة، وإن الفكر باعتماده على الهوية المجردة للحروف أو الأداة أو اللفظ دون ربطه بالنص وبواقعٍ له زمان ومكان،وبظروفٍ اجتماعية وتاريخيةٍ ونفسيةٍ معينةٍ ينتهي إلى تأملات مجردة وهذا من مخاطر العقلية المثالية [١].

وأشار الدكتور محمد نديم إلى مسألة: هل التضمين سماعيٌ أو قياسي ؟ ويستعرض أقوال العلماء الذين ذهبوا إلى أنه سماعي، وذكر آخرون أنه قياسي. وقد رجح الباحث هذا المذهب، وأجاز استعماله للعارفين بدقائق العربية وأسراراها، والبلغاء يستعملونه في كلامهم بلا حرج فكيف نسد بابه في اللغة، وهو يرجع إلى أصول ثابتة فيها.

المذهب الرابع: القائلين بالتضمين بالأسماء والأفعال والحروف:

وهو مذهب البصريين[٢]، ومن القائلين بذلك ابن جني[٣]، وأبوهلال العسكري[٤] وابن تيمية[٥]،ومعظم المعاصرين، ويسوقون على ذلك عدة أمثلة تؤيد ما ذهبو إليه غير ما سبق ذكره من أمثلة تختص بالأسماء والأفعال، أوفتقولهتعالى:(يُؤْ مِنُواْ لَكُمْ وَ قَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ) فإن آمن هنا ضُمِّن معنى الاستجابة أو الاطمئنان فكأن المعنى هل تطمعون أن يستجيبوا لكم أو يطمئنوا لكم فيستجيبوا بناء على هذا الاطمئنان ؟

قال أبوالسعود في تفسيره"واللام في (لَكُمْ) لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله عز وجل: (وَمَنْ آلَهُ لُوطٌ) أي في إيمانهم مستجيبين لكم"[٦].

وقد اجتمعت التعديتان - بالباء واللام - في آية واحدة فيها من البلاغة ما نستشعره حين نقرأها

---

(١) نديم،التضمين النحوي، ص٨٢.

(٢) المرادي،الجنى الداني في حروف المعاني،ص٦.

(٣) ابن جني،الخصائص، (٢ / ٣٠٨).

(٤) أبو هلال العسكري، الصناعتين، (١ / ٥٠)

(٥)ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)،مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار،دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥ م،(١٢٤/٢١)

(٦) أبوالسعود، إرشاد العقل السليم،(١٤٨/١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(التوبة:٦١)فهنا معرض دفاع عن النبي الكريم في قولهم إنه أذن.. قال أبو حيان: "يقال رجل أذن؛ إذا كان يسمع مقال كل أحد، يستوي فيه الواحد والجمع.

وقال الزمخشري: الأذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع، ويقبل قول كل أحد، سمي بالجارحة التي هي آلة السماع، كان جملته أذن سامعة ونظيره قولهم للرئية: عين. وقال الشاعر:

قد صرت أذناً للوشاة سميعة... ينالون من عرضي ولوشئت ما نالوا[١].

وهذا منهم تنقيص للرسول صلى الله عليه وسلم، إذ وصفوه بقلة الحزامة والانخداع"[٢]،[٣].

فمن خلال الآية السابقة اجتمعت التعديتان بحرفين متغايرين، الأول"الباء"الذي جاء فيه الفعل على معناه الظاهر، والثاني"اللام"الذي جاء يتضمن معنى الاستجابة، وبذلك يتضح الفرق بين الحالتين.

---

(١) لقد بحثت في دواوين الشعر فلم أجده، فاكتفيت بالنقل عن أبي حيان.

(٢) أبوحيان، البحر المحيط، (١٨١/٦)

(٣) وقد آثر الباحث تأخير أمثلة التضمين بالحروف إلى المبحث الآتي حتى لا يحدث التكرار.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث: أنواع الإيجاز بالتضمين في القرآن الكريم٠:

يتبين لنا مما سبق أن الراجح أن التضمين يقع على ثلاثة أحوال:

أولاً: في الأسماء:

ونحوه في تفسير قوله تعالى:(من أنصاري إلى الله) (آل عمران: ٥٢)، فقد ضمن النصرة معنى الولاء أوالتوجه أوالقصد.

حقيق قوله تعالى:(لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل)(الأعراف:١٠٥).

قال الزمخشري"ضمن حقيق "معنى حريص[١].

وكذلك عند ذكر قوله تعالى:(لنسئلنك بسؤال لنعجته إلى نعاجه...)(الصافات:٢٤)

إنّ كلمة "سؤال" لا تُعدَّى بحرف "إلى" لكنّها ضُمّنت معنى الجمْع والضّمّ فعدّيَتْ بحرْفِ "إلى"والتقدير:ظلمك بسؤال نَعْجَتِكَ ضامّاً إيَّاها إلى نعاجه.

والعرب تُضمّن الفعل معنى الفعل، وتُعَدِّيه تعديته، ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض، كما يقولون في قوله:لنسئلنك بسؤال نَعْجَتِكَ إلى نِعَاجِهِ"أي: مع نعاجه"أَنْصَارِي إلَى الله"أي: مع الله، ونحوذلك [٢].

والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين، فسؤال النعجة يتضمّن جمعها وضَمَّها إلى نعاجه، وكذلك قوله:(كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره)ضُمِّنَ معنى "يغرونك"و"يصدُّونك"و"كذلك قوله:من القوم الذين كذّبوا بآياتنا ضُمّنَ معنى "جَاوَزَ"و"صَفَحَ"ذلك قوله:(يشرب بها عباد الله)ضُمِّنَ "رَوَى بها"ونظائره كثيرة.

ثانياً: في الأفعال:

ومن أمثلته قوله تعالى: (قد يعلم الله الذين يتسللون منكملواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره) (النور:٦٣) فالفعل (يخالفون) يتعدى بنفسه وبـ إلى، وحين عدي"بعن"ضمن معنى صدَّ أوأعرض. وتعبير التسلل يتمثل فيه الجبن عن المواجهة، وحقارة الشعور المرافق له في

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٢٦٦/٢

(٢) الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، (ص٥٠٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النفوس. والفعل (خالف) بمعنى (حاد) لتصوير الحالة النفسية للنماذج البشرية حول رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتحذير الرهيب من الله أن تصيبهم فتنة في الدين أوالدنيا، التحذير لا لمن خالف وإنما لمن حاد عنها، والحيدان أدنى درجات المخالفة عن المنهج الرباني. ولم جاء التعبير بالمخالفة ؟ الحيدان قد يكون سهواً وغفلة، وأما المخالفة فإنها تصدر عن تصميم وقصد وعدم مبالاةٍ بالأوامر شأن المنافقين الذين يتسللون ويذهبون بغير إذن النبي صلى الله عليه وسلم وفي ذلك يكمن الخطر، تلك الآداب التي تنتظم بين أفراد الجماعة يستقيم أمرها بوقار قائدها وهيبته، وباستقرار هذه المشاعر في أعماق ضميرهاتصبح قانوناً نافذاً في حياتها، وإلا أصابتهم فتنة يختلط فيها الحق بالباطل[١].

ومن أمثلة التضمين في الفعل قوله تعالى:(وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بـ ا فـ ح الله عليكم) البقرة:٧٦. الفعل (خلا) يتعدى بالباء تقول: خلا به أي: انفرد. ولعل تضمين (خلا) معنى ارتاح إليه وسكن أقرب إلى السياق، فخلوٌ هم إلى بعض يجدون فيه السكينة والطمأنينة والارتياح، وفي خلواتهم هذه ما شئت من وسائل الكيد والفتنة[٢].

ومن أمثلته أيضاً قوله تعالى:(واتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا)(البقرة: ١٠٢)،فقد جاء الفعل تتلو متعدياً بحرف الجر على مع أن تلا إذا تعدى بعلى كان المجرور شخصاً يصح أن يتلى عليه، نحو تلوت على زيد القرآن، والملك في الآية ليس كذلك، لذا جاء التضمين لتتلو معنى التقول والتكذيب[٣].

وقد أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية، عند تفسير قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)(المائدة:٦)(صحيح)(يقولون إلى الإ ِلْصَاقِ فَأَفَادَ أَنَّكُمْ تُلْصِقُونَ بِرُءُوسِكُمْ وَبِوُجُوهِكُمْ شَيْئًا بِهَذَا الْمَسْوحِ هَذَا يُفِيدُ فِي الْآيَةِ الَّتِي يَلْتَصِقُ الصَّعِيدُ بِالْوَجْهِ وَالْيَدِ وَلِهَذَا قَالُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ)[٤].

---

(١) للمزيد ينظر نديم،التضمين النحوي، ص:٣١٨

(٢) نديم،التضمين النحوي، ص:٣٦٢

(٣)الصمادي، أحلام، التضمين في القرآن الكريم، رسالة جامعية، الجامعة الأردنية،٢٠٠٠م، ص٦٠ وما بعدها

(٤) ابن تيمية،،مجموع الفتاوى ،(١٢٤/٢١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأمثلة المذكورة في كتب التفسير عند تفسيرقول الله عزَّ وجلَّ:(أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى، اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى، وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى)(النازعات:١٨)

هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى؟: عبارة:هَلْ لَكَ"خبَرٌ مقدَّم والمبتدأ محذوف تقديره:هَلْ لَكَ رَغْبَةٌ"وكلمةُ "رَغْبَةٌ"تُعَدَّى بحرفِ "في"لا بحرف"إلى"لكن ضُمِّنَت معنى فعل"أدعو"فَعُدِّيَتْ تَعْدِيته،والتقدير:هَلْ لَكَ رَغْبَةٌ في أن أَدْعُوَكَ إلى أن تَزَكَّى.

وقول الله عزَّ وجلَّ:(وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (الشورى:٤٢).

إنّ فعل"يَقْبَلُ"يتعدَّى لغة بحرف"من"فيقال:قَبِل الله منه توبته.

ولكنْ عُدِّيَ هنا بحرف"عَنْ"لأنَّه ضُمِّنَ معنى فِعْلِ "عَفَا"أو "صَفَحَ"فَعُدِّي تعديته، والتقدير: والله هو الذي يَقْبَلُ التوبَةَ من عباده إذْ يَعْفُو ويَصْفَحُ عنهم.

وقول الله عزَّ وجلَّ في شأن المنافقين:(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) (البقرة:١٤)

فالفعل"خلا"ضُمّن معنى فعل"جَعُدِّي تَعْدِيته، والتقدير:وإذا خَلَوْا راجِعينَ إلى شياطينهم قالوا لهم:إنّا معكم إنَّما نَحْنُ مستهزئون بالمؤمنين[1]، وقول الله عزَّ وجلَّ:(وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)(الشورى:٢٥)

ولكنْ عُدِّيَ هنا بحرف"عَنْ"لأنَّه ضُمِّنَ معنى فِعْلِ "عَفَا"أو "صَفَحَ"فَعُدِّي تعديته، والتقدير: والله هو الذي يَقْبَلُ التوبَةَ من عباده إذْ يَعْفُو ويَصْفَحُ عنهم.

وقول الله عزَّ وجلَّ بشأن المنافقين:(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) (البقرة:١٤).

إنَّ فعل"خَلَا"في اللّغة للدّلالة على معنَى انفراد الإِنسان في خَلْوَة، لا يكون معه فيها أحَدٌ، فيقولون:خلا الرجل، ورُبَّما قالوا:خَلَا بنَفْسِه، فإذا أرادوا بيان أنّ الخلوة حصلَتْ مَعَ فريقٍ آخر قالوا:خَلَا به، أوخلا معه، ولاَ يُعَدَّى فِعْلُ"خَلَا"بحرف"إلى"بحسب أصل الاستعمال.

لكنَّ فعل"خلا"ضُمّن معنى فعل"جَعُدِّي تَعْدِيته، والتقدير:وإذا خَلَوْا راجِعينَ إلى شياطينهم قالوا لهم:إنّا معكم إنَّما نَحْنُ مستهزئون بالمؤمنين.

---

(١) الميداني،البلاغة العربية، (١ / ٥٠٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعند ذكرقول الله عزَّ وجلَّ:(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ)(التوبة:٣٨).

اثّاقلتم إلى الأرض : أصله: أتثاقلتم إلى الأرض، فعُدِّيت كلمة "اثّاقلتم" بحرف "إلى" لأنها ضُمّنت معنى كلمة "أخلد" أو "مال".

وقال تعالى في محاورة نبي الله يعقوب مع بنيه بعد فقد يوسف: (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)(يوسف:١٦)

وهنا سؤال؛ لماذا جعل القرآن كلمة مؤمن تتعدى باللام فقال: بمؤمن لنا.. مع أن الفعل آمن لا يتعدى باللام ولكن بالباء ؟ فتقول: آمنت بالله.. ولا تقول: آمنت لله ؟ فأن تعدية آمن باللام جاء على طريقة التضمين المعنوي، وهو تضمين الفعل معنى فعل آخر بالإضافة إلى معناه الأول فيكون الفعل فيه معنيان: معنى الفعل الأول ومعنى الفعل الثاني الذي ضُمِّن معناه ... فقولهم: وما أنت بمؤمن لنا أعطت الفعل معنى آخر غير معنى التصديق الذي هو أصل استعماله مع أنها لم تسلبه هذا المعنى فهو مستعمل هنا كالمشترك اللفظي في معنييه معا:المعنى الأول: التصديق.. فيكون المعنى: ما أنت بمصدقنا.

الثاني: الطمانينة: وهذا المعنى هوالذي تضمنه الفعل لما تعدى باللام، لأن الفعل اطمأن يتعدى باللام.. فالمعنى: ما أنت بمطمئن لنا.

فيكون تعدية الفعل باللام قد جعله متنوع الدلالة فكأنهم قالوا: ما أنت بمصدقنا ولا بمطمئن لطريقة كلامنا أي أنك لن تثق في كلامنا وتطمئن له.

ومثله: فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه.. وقوله: آمنتم له قبل أن آذن لكم.. يعني هنا التصديق مع الركون والاطمئنان.

ثالثاً في الحروف:

ويسوقون على ذلك عدة أمثلة تؤيد ما ذهبوإليه عير ما سبق ذكره من أمثلة تختص بالأسماء والأفعال، منها قوله تعالى:(وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا)(النساء:٣).

يقول الإمام الزمخشري:(مثنى وثلاث ورُبَاعَ) معدولة عن أعداد مكررة، وإنما منعت الصرف لما فيها من العدلين: عدلها عن صيغها، وعدلها عن تكررها،وهي نكرات يعرّفن بلام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعريف. تقول: فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع، ومحلهن النصب على الحال مما طاب، تقديره: فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد، ثنتين ثنتين وثلاثاً ثلاثاً وأربعاً أربعاً . فإن قلت: الذي أطلق للناكح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أوثلاث أوأربع، فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع؟ (قلت): الخطاب للجميع، فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق له[١].

وبناءً عليه فقد ذهب الدكتور الخالدي إلى أن المراد بيان أن هنالك أصنافاًثلاثةً من الأزواج صنف يتزوج باثنتين وصنف يتزوج بثلاث وصنف يتزوج بأربع ثم عطف الأصناف بعضها على بعض[٢].

ومن الأمثلة التي ساقها أصحاب هذا الفريق قوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ الاعراف:١٢٤

والتصليب: مبالغة في الصلب. والصلب: ربط الجسم على عود مُنتصب أوَقَتْلُهُ عليه بمسامير، وتقدم عند قوله تعالى: (وما قتلوه وما صلبوه) النساء:١٥٧.

والمبالغة راجعة إلى الكيفية أيضاً بشدّة الدقّ على الأعواد، ولذلك عدل عن حرف الاستعلاء إلى حرف الظرفية تشبيهاً لشدّة تمكّن المصلوب من الجذع بتمكن الشيء الواقع في وعائه.

وتعدية فعل(لأُصلّبَنَّكُم) بحرف (في)مع أنّ الصلب يكون فوق الجذع لا داخله ليدل على أنه صلب متمكن يُشبه حصول المظروف في الظرف، فحرف (في) استعارة تبعيّة تابعة لاستعارة متعلَّق معنى (في)لمتعلَّق معنى"على"[٣].

---

(١)الزمخشري، الكشاف ٣٧٣/١.

(٢) الخالدي، إعجاز القرآن البياني،، ص١٦٥.

(٣) بتصرف ابن عاشور، التحرير والتنوير٢٦٥/١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الرابع: شواهد من الإيجاز بالتضمين، وأثرها في الإعجاز القرآني.

من كتب التفسير التي أشارة إلى التضمين في القرآن الكريم، كتاب الكشاف للزمخشري، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.

وفي هذا المبحث نذكر إن شاء الله بعض النماذج على سبيل الاستدلال لا الحصر:

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (البقرة:٣)، يلحظ الباحث أن الفعل فيؤمنون مضارعُ آمَنَ بمعنى صَدَّقَ آمَنَ مأخوذٌ من أَمِنَ الثلاثي، فالهمزة في (أَمِنَ) للصيرورة نحو أَعْشَبَ المكانُ أي: صار ذا عشبٍ، أو لمطاوعةِ فَعَّلَ نحو كَبَّبْتُهُ فَأَكَبَّ وإنما تعدَّى بالباء لأنه ضُمِّن معنى اعترف،وقد يتعدَّى باللام كقوله وتعالى: (أَنَّى بِمُؤْمِنٍ لَّنَا)(يوسف: ١٧) وقوله تعالى: (آمَنَ لموسى)(يونس: ٨٣)إلا أنَّ في ضمنِ التعدية باللام التعديةَ بالباء[1] فهذا فَرْقُ ما بين التعديتين.

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)(البقرة:١٠).

قال أبوحيان رحمه الله"من قرأ: وما يخادعون أويخدعون مبنياً للمفعول، فانتصاب ما بعد إلا على ما انتصب عليه زيد غبن رأيه، إما على التمييز على مذهب الكوفيين، وإما على التشبيه بالمفعول به على ما زعم بعضهم، وإما على إسقاط حرف الجر، أي: في أنفسهم، أو عن أنفسهم، أو ضمن الفعل معنى ينتقضون ويستلبون، فينتصب على أنه مفعول به"[2]، كما ضمن الرفث معنى الإفضاء فعدى بإلى في قوله: (الرفث إلى نسائكم) ولا يقال رفث إلى كذا، وكما ضمن هل لك إلى أن تزكى معنى أجذبك.

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(البقرة:٢٨)، فمعلوم أن كَفَرَ يتعدَّى بحرف الجر نحو كَفَرُونَ بِاللَّهِ وكَفَرُوا بِآيَاتِ الله)(آل عمران: ٧٠) وكَفَرُوا بالذكر)(فصلت:٤١)، وذلك أنه ضُمِّن معنى جَحَدوا، وقد تعدَّى بنفسه في قوله تعالى: (كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِّثَمُودَ)(هود: ٦٨).

وفي قوله تعالى: (وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَنَادَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ هَا أَنتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَلاَ تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُ

(٤٦البقرة:)، "فمعنى: قفينا، أتينا به، يقفوآثارهم أي يتبعها[١]، وهذا على سبيل التضمين أي: ثم جئنا على آثارهم بعيسى ابن مريم قافياً لهم، وليس التضعيف في قفينا للتعدية، إذ لو كان للتعدية ما جاء مع الباء المعدية، ولا تعدى بعلى.

وذلك أن قفا يتعدى لواحد قال تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم)(الإسراء:٣٦) وتقول: قفا فلان الأثر إذا اتبعه، فلوكان التضعيف للتعدي لتعدى إلى اثنين منصوبين، وكان يكون التركيب: ثم قفينا على آثارهم عيسى ابن مريم، وكان يكون عيسى هوالمفعول الأول، وآثارهم المفعول الثاني، لكنه ضمن معنى جاء وعدي بالياء[٢]، وتعدى إلى آثارهم بعلى.

وكذا قوله تعالى:(عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)(البقرة:٥٧)، فقوله "وظللنا عليكم الغمام"، فالغمام:مفعول على إسقاط حرف الجرّ، أي بالغمام، كما تقول: ظللت على فلان بالرداء، أو فعول به لا على إسقاط الحرف،ويكون المعنى جعلناه عليكم ظللاً ، فعلى هذا الوجه الثاني يكون فعل فيه، يجعل الشيء بمعنى ما صيغ منه كقولهم:عدّلت زيداً ،أي جعلته عدلاً ، فكذلك هذا معناه: جعلنا الغمام عليكم ظلة، وعلى الوجه الأول تكون فعل فيه بمعنى أفعل، فيكون التضعيف أصله للتعدية، ثم ضمن معنى فعل يعدى بعلى، فكان الأصل: وظللناكم، أي أظللناكم بالغمام، نحو ما ورد في الحديث: (سبعة يظلهم الله في ظله)[٣]، ثم ضمن ظلل معنى كلل أو شبهه مما يمكن تعديته بعلى، فعداه بعلى[٤].

وفي تفسير قوله تعالى:(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا)(البقرة:١٠٢)، فجعل هذا من تضمين تتلو معنى تتقول[٥].

وفي تفسير قوله تعالى:(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى)(البقرة:١٢٥) أي صيِّروا، واجعلوا؛ وفيها قراءتان؛ إحداهما: بفعل الأمر: اتخِذوا؛ والثانية: بفعل الماضي: "اتخَذوا"أي: واتخذ الناس؛ وعلى الأولى:اتخذوا أنتم من مقام إبراهيم مصلّى؛ ومِن: هنا لبيان الجنس؛ ويجوز أن تُضمَّن"في"[٦]؛ يعني:واتخذوا في هذا المقام مكاناً للصلاة، وقوله تعالى:(وعهدنا إلى إبراهيم)؛ والعهد: الوصية بما هوهام؛ وليست مجرد الوصية؛ بل لا تكون عهداً إلا إذا كان

---

(١)أبوحيان، البحر المحيط، (٢٨٢/١)

(٢)أبوحيان، البحر المحيط، (٤٥٣/٤)

(٣) البخاري،الجامع صحيح، رقم٦٦٠،(١ / ١٦٨)

(٤) بتصرف: أبو حيان، البحر المحيط، (٢٨٢/١)

(٥) بتصرف:الآلوسي، روح المعاني، (٣٣٧/١)

(٦)تفسير القرآن للعثيمين، (٣٥/٤)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمر هاماً؛ ومنه عهْد أبي بكر بالخلافة إلى عمر ؛ ومعلوم أن أهم ما يكون من أمور المسلمين العامة الخلافة.

وقوله تعالى: "وإذا خلوا إلى شياطينهم)؛ فضُمِّن الفعل هنا معنى"رجعوا"؛ ولذلك عُدِّي بـ إلى، لكن عُدِّي بالفعل"خلوا"ليكون المعنى: رجعوا خالِين بهم[١]؛ والمراد بـ شياطينهم: كبراؤهم.

وفي التفسير يقول تعالى: (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(البقرة:٢٢٧)، فلقد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد[٢]، فكأنه قيل: يبعدون من نسائهم مؤلين أومقسمين.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: (الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ مِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)(المائدة:٤٨)، فقد ضمن لاَ تَتَّبِعْ معنى ولا تنحرف[٣]؛ فلذلك عدّي بعن كأنه قيل: ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعاً أهواءهم،لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ أيها الناس شريعة.

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)(الأنعام:١٥١)

فقد رجح صاحب البحر المديد القول أن حرم تعني وصى فيقول"والأحسن أن يكون ضَمَّنَ حرَّم معنى وَصَّى، وتكونأنْ مصدرية، ولا نافية، ولا تفسد المعنى؛ لأن الوصية في المعنى تكون بتحريم وتحليل وبوجوب وندب، ويدل على هذا قوله بعد ذلك: ذلكم وصاكم به، ولا ينكر أن يريد بالتحريم الوصية؛ لأن العرب قد تذكر اللفظ الخاص، وتريد به العموم"[٤]، كما تذكر اللفظ العام وتريد به الخصوص، فتقدير الكلام على هذا: قل تعالوا أتل ما وصاكم به ربكم، ثم أبدل منه، على وجه التفسير والبيان، فقال: ألاَّ تشركوا، ووصاكم بالإحسان بالوالدين،

---

(١)تفسير القرآن للعثيمين، (٢٦/٣)

(٢)الزمخشري، الكشاف، (١٩٩/١)

(٣)الزمخشري، الكشاف، (٣٢/٢)

(٤)ابن عجيبة، البحر المديد، (٢٢٠/٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فجمعت الوصية ترك الإشراك؛ أي جمع بين الوصية المرادة والحكم المراد من الوصية وهو التحريم..

وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)(الاعراف:١٠٣)، فضمن ظَلَمُوا بِهَا أي كفروا بها أجري الظلمُ مُجرى الكفرِ لكونهما من واد واحدٍ[١]، فهُما مّن معنى الكفرِ أوالتكذيبِ أي ظلموا كافرين بها أومكذّبين بها، أوكفروا بها مكان الإيمانِ الذي هومن حقها لوضوحها فوضعوا المعنى وُضع ظَلَموا موضعَ كفروا.

ويدخل في التضمين أيضاً قوله تعالى: "ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ"(الأعراف:١٠٥)، فنلاحظ كيف ضمن حَقِيقٌ معنى حريص [٢].

وفي تقديم قوله تعالى: "وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(يوسف:٢٥)

يقول العلامة الآلوسي: إنه ضمن الاستباق معنى الابتدار فعدى تعديته فقدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ ،يحتمل أن يكون معطوفاً على استبقا [٣].

وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ)(الحجر:٦٦)، فعدي قَضَيْنَا بإلى؛ لأنه ضمن معنى: أوحينا، كأنه قيل: وأوحينا إليه مقضياً متوتاً . وفسر "ذَلِكَ الْأَمْرَ" بقوله: (أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ)، وفي إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له[٤]، فقال: إنّ دابر هؤلاء. آخرهم، يعني: يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد.

وقوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا)(الإسراء:٥٧) ففي "أيُّ" هذه وجهان، أحدُهما: أنها استفهامية ، وضُمِّنَ يَبْتَغُونَ الوسيلةَ معنَى يَحْرِصُون، فكأنه قيل: يَحْرِصُون أيُّهم يكون أقربَ "[٥].

---

(١) أبوالسعود، إرشاد العقل السليم، (٢٥/٣)

(٢) بتصرف الزمخشري، الكشاف، (٢٦٦/٢)

(٣)الآلوسي، روح المعاني، (٤٨٤/٨)

(٤) بتصرف الزمخشري، الكشاف، (٣١٧/٣)

(٥) ينظر السمين الحلبي، الدر المصون في علم الكتاب المكنون،(٣٨٢٠/١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا)(مريم:٩٨)، ويحمل على أنه ضمّن التيسيرَ معنى الإنزال[١]، أي: يسرنا القرآن وأنزلناه بلغتك (لتُبشّر به المتقين) أي: السائرين إلى التقوى بامتثال ما فيه من الأمر والنهي.

وفي تفسير قوله تعالى: (وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ)(الأنبياء:٩٣).

وكذا ضمن تَقَطَّعُوا معنى توزعوا عدي إلى"دينهم"فنصبه. والأصل: تقطعوا في دينهم وتوزعوه [٢].

وعند ذكر قوله تعالى: (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ)(النمل:٧٢)، فقد استعجل كفار قريش العذاب الموعود فقيل لهم عسى أن يَكُونَ ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء في قوله تعالى: (لاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ)(البقرة:١٩٥)، أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو: دنا لكم وأزف لكم[٣]، ومعناه: وتبعكم ولحقكم.

وفي قوله تعالى: (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ، وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)(النمل:٧٥)، فقوله عسى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الذى تَسْتَعْجِلُونَ وهوعذاب يوم بدر، فزيدت اللام للتأكيد كالباء في قوله تعالى: (لاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ)(البقرة: ١٩٥)، أوضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم[٤]، ومعناه تبعكم ولحقكم.

وفي سبب قوله تعالى: (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)(القصص:٢٤)

قَالَ رَوَلَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)؛ فالمعنى إني لأي شيء أنزلت إلي من خير قليل أوكثير غث أوسمين لفقير،وإنما عدى فقيراً باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب"[٥].

---

(١) ينظر ابن عجيبة، البحر المديد، (٤٩٤/٣) بتصرف.

(٢) بتصرف ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٠٤/١٧)

(٣) بتصرف الزمخشري، الكشاف، (١٠٣/٥)

(٤)الرازي، مفاتح الغيب، (٤٧/١٢)

(٥)الرازي، مفاتح الغيب، (٧٣/١٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والله تعالى:(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)(الزمر:٢٣)

يقول الزمخشري"فإن قلت: ما وجه تعديه بإلى؟ قلت:ضمن معنى فعل متعدّ بإلى، كأنه قيل: سكنت. أو اطمأنت إلى ذلك الله لينة غير متقبضة، راجية غير خاشية"[١].

ومنه قوله تعالى:(فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ)(فصلت:٦) ومنه قوله تعالى:(فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ)(التوبة:٧) فالاستقامة هنا بهذا المعنى، وإنما عدي بحرف"إلى"لأنها كثيرا ما تعاقب اللام، يقال: ذهبت له وذهبت إليه، والأحسن أن إيثار"إلى"هنا لتضمين"استقيموا"معنى: توجهوا، لأن التوحيد توجه، أي صرف الوجه إلى الله دون غيره، كما حكى عن إبراهيم:(إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(الأنعام:٧٩)، أو ضمن"استقيموا"معنى: أنيبوا[٢]، أي توبوا من الشرك كما دل عليه عطف واستغفروه.

وقوله تعالى:(عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ)(الإنسان:٦)، فالجملة الفعلية صفة عيناً أي يشربونَ منها[٣]، فالمعنى يتلذذ، ضُمِّن يشرب مَعْنى يلتذُّ، فكأنها لطيب شرابها تكاد تكون آلة للشرب فتكون الباء للآلة على بابها نحو شربت بالكأس[٤]، فأراد لشدة شوقهم كأنهم يلتقمون العين كلها في أفواههم.

وكذا في تفسير قوله تعالى:(سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ)(المعارج:١)، فقد ضمن سَأَلَ معنى دعا، فعدّي تعديته، كأنه قيل: دعا داع بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ،من قولك: دعا بكذا ؛إذا استدعى وطلبه، ومنه قوله تعالى: (يدعون فيها بكل فاكهة)(الدخان: ٥٥)"[٥].

---

(١)الزمخشري، الكشاف، (٥٩/٦) وأضاف فإن قلت: لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة؟ قلت:لأنّ أصل أمره الرحمة والرأفة، ورحمته هي سابقة غضبه فلأصالة رحمته إذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته إلا كونه رؤوفاً رحيماً . فإن قلتلم ذكرت الجلود وحدها أوّ لاً، ثم قرنت بها القلوب

(٢) بتصرف ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٤/٢٥)

(٣) بتصرف أبوالسعود، إرشاد العقل السليم، (٤٢٠/٦)

(٤) بتصرف أبوبكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر،أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م،٣٨٠/٤.

(٥) بتصرف الزمخشري، الكشاف، (١٤٠/٧)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمعلوم أن مادة سأل لا تتعدى بالياء كتعديها هنا ولذا قال ابن كثير "إن الفعل ضمن معنى فعل آخر يتعدى بالباء وهو مقدر ما استعجل"[1]، واستدل لذلك بقوله تعالى: "يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ"، وذكر عن مجاهد أن سأل بمعنى دعا.

ومن أراد مزيد من الأمثلة في تعدي الأسماء والأفعال والحروف فلينظر في كتب تفاسير لكل من الآيات الآتية، قوله تعالى:(وهو الذي يقبل التوبة عن عباده)(الزمر:٢٥) أي يقبل التوبة من عباده ويعفو عن عباده، قوله تعالى:(وما ينطق عن الهوى)النجم:٣) أي بهواه وعن خاطره، وقوله تعالى:(وإذا خلا بعضهم إلى بعض)(البقرة:٧٦) أي خلا مع بعض وأومأ إلى بعض، وقوله تعالى:(ولا تعد عيناك عنهم) (الكهف:٢٨)، لا تجاوزهم وتصرف بصرك عنهم وقوله تعالى:(فليحذر الذين يخالفون عن أمره) (النور:٦٣) أي يخالفونه ويعرضون عن أمره، وقوله تعالى:(أو لتعودن في ملتنا)(الأعراف:٨٨) أي إلى ملتنا وفي ديننا وقوله تعالى:(وأخبتوا إلى ربهم)(هود:٢٣) خشعوا لله ورجعوا إلى ربهم ،وقوله تعالى:(ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء) (الفرقان:٤٠) أي إلى القرية وعلى آثارها، وقوله تعالى:(ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا)(الأنبياء:٧٧)؛ أي ونجيناه من القوم ونصرناه على القوم، وقوله تعالى:(فاستحبوا العمى على الهدى)(فصلت:١٧)؛ أي اختاروا الضلالة على الهداية والعمى على البصيرة، وقوله تعالى:(وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه)(هود:٨٨)؛ أي ما أريد أن أخالفكم عما أنهاكم وأميل إلى ما أنهاكم.

وبذلك نلحظ مدى الغزارة المترتبة على هذا النظم البديع للتركيب القرآني الذي يجمع في ألفاظه القليلة المعاني الكثيرة، التي ما كانت لتوجد بدون مصدره الرباني بغاية مقصودة وحكمة جلية لكل ذي لب من أهل المعرفة والدراية، ليشهد القاصي والداني ومن هو من أهل الفصاحة ومن بعده على إعجاز كتاب الله عز وجل فيما ذكر.

---

(١) ينظر الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني ت ١٣٩٣هـ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م،٨/٢٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد:

جاءت هذه الدراسة مبينة لوناً من ألوان الإعجاز البياني في القرآن الكريم؛ وهو المتعلق بوجود المعاني الغزيرة في اللفظ المحدود، وهذه أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها هذه الدراسة:

أولاً : أهم النتائج.

١.الإيجاز معلم من أبرز معالم الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ويمكن تعريفه: بأنه قلة في الألفاظ مع وفرة وعمق في المعاني وكثرة.

٢. ثمة إشارات في كتب البلاغة والبيان والتفسير لهذا اللون من الإعجاز.

٣. ينبني الإيجاز على أصول نظرية وأخرى تطبيقية، أما النظرية فتتمثل في الآيات القرآنية والأدلة العقلية التي تدل على الإيجاز القرآني، ويختص الجانب التطبيقي بتحليل الآيات تحليلاً لغوياً بلاغياً يبرز المدلول.

٤. من جوانب التي تفضي بمضمونها إلى الإيجاز ما يتعلق بالبلاغة والبيان، وذلك فيما عرض القرآن من أساليب في التشبيه والاستعارة والمبالغة وغيرها، وإن كانت لا تتعلق مباشرة بهذا العلم.

٥. من جوانب الإيجاز في القرآن الكريم ما يتعلق بإيجاز الحذف وفنونه، وأظهر الباحث ذلك من خلال:

أ. الإيجاز بالحذف دراسة نظرية وتطبيقية و بيان علاقته بالإعجاز القرآني.

ب. الإيجاز بالاحتباك والاكتفاء في القرآن الكريم، دراسة نظرية وتطبيقية وبيان علاقته بالإعجاز القرآني.

٦.من جوانب الإيجاز في القرآن الكريم ما يتعلق بإيجاز القصر وفنونه في القرآن الكريم، ويظهر ذلك من خلال عدة أساليب مكمنها في اختيار الألفاظ ونظمها، وقد صاغها الباحث على النحو الآتي:

أ. الإيجاز بالقصر دراسة نظرية وتطبيقية وبيان علاقته بالإعجاز القرآني.

ب. الإيجاز بالتضمين دراسة نظرية وتطبيقية وبيان علاقته بالإعجاز القرآني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً :أهم التوصيات.

- إيجاد دراسات تبحث في الدلالات الظنية البلاغية وأثرها في الإيجاز القرآني، التي تختص بمظان الإيجاز غير مباشرة، وهي الدلالات البلاغية التي تفضي بمعانيها إلى الإيجاز ولا تدل عليه مباشرةً مثل العدول والالتفات والمضمرات والفاصلة القرآنية ودلالات حروف المعاني ودلالات النداء ودلالات أسماء الإشارة ودلالات الأسماء الموصولة والنص بالعبارة والنص بالإشارة الفقهية أو الصوفية ودلالة السياق، والقشرة اللفظية، ومعاني الألفاظ القرآنية كأن تقول العزيز هو القوي القاهر، فتحتاج هذه الدلالات بهذا العرض لرسائل جامعية أخرى لإثبات أثرها في الإيجاز القرآني الذي هو محور الإعجاز عند معظم العلماء.
- إيجاد مجامع تستقرئ كل من الإيجاز بالحذف والذكر، والإيجاز بالتضمين والإيجاز بالاحتباك، والإيجاز بالاكتفاء، والإيجاز بالفجوات المقصودة، في القرآن الكريم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The conciseness and its impact to show the Inimitability in the Noble Qur'an

(A fundamental Study)

By

Abd Allah Ali Abd Al Rahman Abu Al So'ud

Supervisor

Dr. Ahmad ALbashairh

Abstract

This thesis aims to clarify the conciseness concept and its impact to show the inimitability of The Noble Qur'an ,it is a fundamental study, to establish the origin that the The Noble Qur'an's expressions are concise and its meanings are wide, and to show the aspects of conciseness in The Noble Qur'an concerning advancing and delaying, inclusion ,elision , apocopation ' and omission, and try to cite evidences as far as possible using The Noble Qur'an verses and the words of interpretation experts

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المصادر والمراجع

١. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة - بيروت – ٤١٩هـ ١٩٩٨م، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري

٢. أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي (٤٥٠هـ)، أعلام النبوة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٩٨٦م.

٣. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤. أبو الفتح، ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد

٥. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية، تحقيق: سمير جابر.

٦. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية، تحقيق: سمير جابر.

٧. أبو حيان، الأندلسي،تفسير البحر المحيط، دار الفكر

٨. أبو داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود، مسند أبي داود الطيالسي، المتوفى سنة ٢٠٤ هـ، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٩. أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى، القاهرة

١٠. أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن ليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، دار الفكر العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م

١١. أبو موسى،محمد محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأثرها في الدراسات البلاغية،مكتبة وهبه، الطبعة الثانية،١٩٨٨م

١٢. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، بيروت.

١٣. أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤، الأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليه.

١٤. أبوبكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر،أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م،

١٥. أبو محمد القاسم الأنصاري السجلماسي،المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق د. علال الغازي، مكتبة المعارف، ط ١/١٩٨١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٦. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق:طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

١٧. ابن الجزري،الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي،المتوفي سنة ٨٣٣هـ، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع

١٨. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، زاد المسير، ط٣،المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٩. ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، إصلاح المنطق، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة،١٩٤٩م، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون

٢٠. ابن النديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، الفهرست، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٨ هـ- ١٩٧٨م

٢١. ابن تيمية، أحمد بن تيمية، النبوات، أصول السلف، ط١/٢٠٠٠م

٢٢. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)،مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار،دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

٢٣. ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، عالم الكتب، بيروت، تحقيق: محمد علي النجار

٢٤. ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبومحمد، الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٢٥. ابن حزم، أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، المحلى، تحقيق لجنة إحياء التراث، دار الجيل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٢٦. ابن سيده،أبوالحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعروف بابن سيده،في المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧هـ ١٩٩٦م،الطبعة الأولى.

٢٧. ابن سيده،علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيد،شرح المشكل من شعر المتنبي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧هـ ١٩٩٦م،الطبعة الأولى.

٢٨. ابن عادل الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض

٢٩. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)،التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٣٠. ابن عثيمين، محمد بن صالح العثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م

٣١. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٣٢. ابن قتيبة، أبومحمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت لبنان.

٣٣. ابن كثير، إسماعيل بن كثير،(ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣٤. ابن معصوم علي صدر الدين المدني ت:١١٢٠هـ،أنوار الربيع في أنواع البديع، حققه شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، ط1 ، النجف الأشرف،١٣٨٨هـ١٩٦٨م

٣٥. ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري،لسان العرب،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

در صادر – بيروت، ط١

٣٦. أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة – القاهرة، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها

٣٧. أرسطو، الخطابة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ١٩٨٠م.

٣٨. الأزهري، أبومنصور محمد بن أحمد الأزهري،تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى

٣٩. إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربى

٤٠. الآلوسي، محمود (ت١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤١. الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن يحيى (ت ٧٥٦ هـ)، المواقف في علم الكلام، شرح السيد الشريف علي ابن محمد الجرجاني ٨١٦هـ، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١هـ ١٩٩٧م.

٤٢. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، إعجاز القرآن، دار المعارف – القاهرة، تحقيق: السيد أحمد صقر.

٤٣. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري).

٤٤. البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (المتوفى: ٥١٠هـ)،معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٤٥. بنت الشاطئ، عائشة، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، ط٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٦. البوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري،إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، دار الوطن، الرياض، الطبعة: الأولى - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٤٧. البوطي، محمد سعيد، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، دار الرسالة، ١٤١٦٩هـ-١٩٩٦م.

٤٨. البيجوري، ابراهيم بن محمد، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ١٩٨٣م

٤٩. البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد (ت٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، دار الجيل.

٥٠. تاج الدين السبكى، ينظر / تاج الدين عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي السبكي، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

٥١. الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى(٢٠٩، ٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م، وعليها حواشي وتعقيبات للشيخ: عبد الرحمن الفقيه

٥٢. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها

٥٣. التهانوى، محمد على، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت،١٩٩٦م.

٥٤. الجابي، سليم، من الاختزال في القرآن الكريم،دار سلام، دمشق ط١،١٩٩٤م.

٥٥. الجارم، علي، وأمين، ١٩٨٦م، مصطفى، البلاغة الواضحة، ط١، لبنان، دار المعارف.

٥٦. الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، تحقيق: د.محمد التنجي.

٥٧. الجرجاني، الشافية، مطبوع ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القـرآن)، تحقيـق: محمـد خلـف الله، د.محمـد زغلـول سـلام، ط٣، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م.

٥٨. الجرجـاني، علـي بـن محمـد بـن علـي السـيد الـدين أبـو الحسـن الحسيني الجرجاني الحنفي (ت٨٢٦ هـ)، التعريفات، ط١،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٥٩. الجرجاني، علي بن محمد بن علي السيد الدين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي (٨٢٦ هـ)، التعريفات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م

٦٠. جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الفكر - بيروت، ط٦، ١٩٨٥، تحقيق: د.مازن المبارك ومحمد علي حمدالله.

٦١. الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، ط١،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.

٦٢. حبنكة، عبد الرحمن حسن، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم دمشق، ط٥، ١٤٠٨هـ١٩٨٨ م

٦٣. حمودة، د طاهر سليمان، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية.

٦٤. الحموز، عبدالفتاح، معجم الأفعال التي حذف مفعولها غير الصريح في القرآن الكريم،دار الفيحاء ودارعمار، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٦م

٦٥. الخالـدي، د.صـلاح عبـد الفتـاح، إعجـاز القـرآن البيـاني، دار عمار، ط١، ٢٠٠٠م

٦٦. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، البيان في إعجاز القرآن، ط٣، دار عمار، عمان،١٤٢٣هـ١٩٩٢م.

٦٧. الخطابي، أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمد خلف الله، د.محمد زغلول سلام، ط٣، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م.

٦٨. الخطيب التبريزي، محمد بن عبد الله، مشكاة المصابيح،المكتب الإسلامي – بيروت، الثالثة - ١٤٠٥ – ١٩٨٥م،تحقيق: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٩. الخطيب الشربيني، محمد الشربيني الخطيب، الإقناع، تحقيق مكتب البحوث والدراسات - دار الفكر، دار الفكر، ١٤١٥هـ، بيروت

٧٠. الخطيب القزويني، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق الشيخ بهيج غزاوي،دار إحياء العلوم، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، بيروت

٧١. الخطيب عبد الكريم، إعجاز القرآن الكريم في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٧٥م.

٧٢. الخولي، أمين، مناهج التجديد، دار المعرفة، مصر،١٩٦١م.

٧٣. الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد، سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ

٧٤. دراز، د.محمد عبد الله، النبأ العظيم، نظرة جديدة في القرآن، دار القلم، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م

٧٥. الدغامين، زياد خليل محمد، إعجاز القرآن، وأبعاده الحضارية في فكر النورسي عرض وتحليل، دار النيل، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٧٦. الدوري، محمد ياسين خضر، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط١/٢٠٠٦م

٧٧. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، تذكرة الحفاظ، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م

٧٨. الذهبى، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٧٩. الرازي محمد بن أبي برك بن عبد القادر، (ت٦٦٠هـ)، مختار الصحاح، ط١، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م

٨٠. الرازي، فخر الدين (ت٦٠٦هـ)، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ط١، تحقيق إبراهيم السامرائي و محمد بركات أبو علي،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دار الفكر، عمان، الأردن، ١٩٨٥م.

٨١. الراغب الأصفهاني، الحسين بن أحمد، المفردات، المكتبة التوفيقية

٨٢. الرافعي –إعجاز القرآن والبلاغة النبوية -ط٤- مطبعة الاستقامة –القاهرة- ١٩٤٥م.

٨٣. الرافعي، مصطفى صادق،(ت١٩٣٧م)، إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان.

٨٤. رضا، محمد رشيد، (ت١٩٣٥)، تفسير القرآن الحكيم (المنار)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

٨٥. رضا، محمد رشيد، (ت١٩٣٥م)، الوحي المحمدي، ط٩، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٨٦. الرماني،علي بن عيسى،(ت٣٨٦هـ)، النكت في إعجاز القرآن، ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ط٣، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م.

٨٧. الزبيدي، السيد محمد مرتضى، تاج العروس، ط١، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي.

٨٨. الزرقاني، محمد عبد العظيم،(ت١٩٤٨م)، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٨٩. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه

٩٠. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الخامسة عشرة،أيار/مايو ٢٠٠٢ م.

٩١. الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة،، دار صادر ودار بيروت للنشر والطباعة، ١٩٦٥م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩٢. الزمخشري، محمود بن عمر،(ت٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢١هـ٢٠٠١م.

٩٣. الزيات، أحمد، دفاع عن البلاغة، مطبعة الرسالة، ١٩٤٥م.

٩٤. السائح، عبد الحميد، عقيدة المسلم، مطابع وزارة الأوقاف والشؤون والمقدّسات الإسلاميّة، عمّان - الأردن، ط١ ١٣٨٩ هـ، ١٩٧٨ م.

٩٥. السامرائي، فاضل صالح، التعبيرالقرآني، دار عمار، ط٢، ١٩٩٨، ص٧٤.

٩٦.السَّخاوي، عبد الرحمن، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، دار الكتاب العربي.

٩٧. سعد الدين التفتازاني، مختصر المعاني، دار الفكر،الطبعة: الاولى ١٤١١هـ

٩٨. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت١٣٧٦هـ)، تيسير العزيز الرحمن في تفسير كلام المنان،ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ٢٠٠٠م.

٩٩. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن عبدالله، نتائج الفكرفي النحو، تحقيق: محمد ابراهيم البنا، دار الرياض، الرياض، ط٢، ١٤٠٤هـ١٩٨٤م.

١٠٠. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: د.أكرم عثمان يوسف منشورات جامعة بغداد _ مطبعة دار الرسالة الطبعة الأولى _ بغداد 1402 _ هـ / ١٩٨٢ م

١٠١. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، المحقق : عبد السلام محمد هارون الناشر:مكتبة الخانجي - القاهرة الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ1988 م.

١٠٢. السيوطي، عبد الرحمن بن كمال، الإتقان في علوم القرآن، دار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١/١٤٢٤هـ٢٠٠٣م.

١٠٣. السيوطي، عبد الرحمن بن كمال، معترك الأقران، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩م.

١٠٤. الشعراوي، معجزة القرآن، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

١٠٥. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني ت ٣٩٣هـ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م

١٠٦. شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر ويسمى (منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءآت)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية - لبنان – ١٤١٩هـ١٩٩٨م،الطبعة: الأولى

١٠٧. الصنعاني، عبدالرزاق بن همام، مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ

١٠٨. طاش كبري زادة، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.

١٠٩. الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١١٠. عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١١١. عباس، فضل حسن، سناء فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، بدون دار نشر،١٩٩١م.

١١٢. عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب،حقيق محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

١١٣. عبده،محمد، ١٣٦٣هـ، رسالة التوحيد، ط١٠، مصر، مطبعة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عيسى البابي الحلبي.

١١٤. عبيدات، محمود سالم، العقيدة الإسلامية، المطابع العسكرية، عمان – الأردن

١١٥. العجلوني،إسماعيل بن محمد الجراحي، كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس، دار إحياء التراث العربي.

١١٦. العز الشافعي، عبدالعزيز بن عبدالسلام الشافعي، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، دار الحديث، القاهرة، طبعة قديمة بدون تاريخ.

١١٧. العلي، إبراهيم، صحيح السيرة النبوية، دار النفائس، ط٥، ٢٠٠٠م

١١٨. عماد الدين عبدالجبار بن أحمد، تنزيه القرآن عن المطاعن، دار النهضة الحديثة لبنان

١١٩. الفخر الرازي، محمد فخر الدين، التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م

١٢٠. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الرسالة، ط٣

١٢١. القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ)، الشفا في تعريف حقوق المصطفى، تحقيق: حسين عبد الحميد نيل، دار الأرقم، بيروت-لبنان.

١٢٢. القالي البغدادي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، سنة الولادة ٢٨٨هـ/ سنة الوفاة ٣٥٦هـ، الأمالي في لغة العرب، دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، بيروت

١٢٣. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ١٩٦٤م

١٢٤. قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار المعرفة بمصر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢٥. قطب، سيد،(ت١٩٦٦م)، في ظلال القرآن، ط١٥، دار الشروق، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٢٦. القلقشندي، أحمد بن علي،صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: د.يوسف علي طويل، دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

١٢٧. القمي النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية،الطبعة:الأولى، بيروت / لبنان -١٤١٦ هـ١٩٩٦م

١٢٨. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، مقدمة الشيخ محمود شاكر

١٢٩. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة ١٩٨٩م

١٣٠. محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي.

١٣١. محمد بن فتوح الحميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: د. علي حسين البواب، دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م،الطبعة: الثانية.

١٣٢. محمد حسن عواد، تناوب الحروف في لغة القرأن، دار القرقان، عمان، ١٩٨٢.

١٣٣. محمد عبده، رسالة التوحيد، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١٠، ١٣٦١هـ، مصر

١٣٤. محمد عبده، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، مجلة المنار، المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، نسجة الحرم المدني.
محمد كريم راجح وعلوي بن محمد بن أحمد بلفقيه، القرآءات العشر المتواترة، دار المهاجر للنشر والتوزيع،ط٤/١٤٢٥هـ٢٠٠٤م.

١٣٥. المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

١٣٦. مسلم، ابن الحجاج (ت٢٦١هـ)، صحيح الإمام مسلم، ط١،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحدث، القاهرة،١٤١٨هـ١٩٩٧م.

١٣٧. المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥ ه - ١٩٩٤ م

١٣٨. المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ١٤١٠هـ.

١٣٩. النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، المجتبى من السنن، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليه.

١٤٠. النورسي، بديع الزمان سعيد النورسي، االكلمات، ترجمة:إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر – اسطنبول، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م

١٤١. النورسي، بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ترجمة:إحسان قاسم

١٤٢. الصالحي، دار سوزلر – اسطنبول، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م.

١٤٣. وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين، ١٣٤٢هـ-١٩٢٤م.

الأبحاث والرسائل الجامعية

١. تومة، عبد الجبار، الفعل في القرآن الكريم، رسالة جامعية، جامعة حلب،١٩٨٦م.

٢. الصمادي، أحلام، التضمين في القرآن الكريم، رسالة جامعية، الجامعة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأردنية،٢٠٠٠م.

٣. العكيلي، أ. د. حسن منديل، نظرات في إعجاز القرآن، كلية التربية للبنات – جامعة بغداد، al_igeali@yahoo.com

٤. شمس الدين النواجي، الشفاء في بديع الاكتفاء، تحقيق د. محمود حسن أبوناجي، منشورات دار مكتبة الحياة، ط ١، بيروت،١٤٠٣هـ١٩٨٣م، بحث المحكم الشفاء في بديع الاكتفاء، شمس الدين محمد بن حسن النواجي،المتوفى سنة٨٥٩هـ، حسن محمد عبد الهادي، كلية الآداب - جامعة الخليل، الخليل - فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية المجلد التاسع - العدد الثاني٢٠٠١م.

٥. زاهد، الدكتور عبد الأمير كاظم ظواهر دلالية في التعبير القرآني مقاربة في المضمون وأدوات التعبير، بحث شارك به في ندوة اعجاز القرآن السنوية لقسم اللغة العربية، كلية التربية للبنات ٢٠٠٢م

٦. الطيب، الدكتورة: بلقيس محمد، من المتشابه اللفظي في سورتي البقرة وآل عمران، دراسة بلاغية، مجلة الجامعة الإسلامية،المدينة المنورة، العدد١٤١، لسنة ٤٠_١٤٢٨هـ.

٧. عدنان عبد السلام اسعد،الإيجاز بالاحتباك في القران الكريم،دراسة بلاغية، جامعة الموصل،العراق،٢٠٠٦،البحث منشور على موقع ملتقى أهل التفسير الإلكتروني.

٨. فاطمة الكبيسي، تعاقب الذكر والحذف في القرآن الكريم ، الجامعة الأردنية، رسالة دكتوراه، ١٩٩٨م.

٩. فرعون، روضة عبد الكريم، إعجاز النظم القرآني في آيات التشريع، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن٢٠٠٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit